

دورة الزمان ومصير أصحاب الحوزة

دراسة تحليلية لحوزة الكاهونا

الذين مثلوا المجتمع العلمي في الحضارات القديمة

الجزء الحادي عشر من مجموعة من نحن

تأليف

علاء الطيبي

دورة الزمان ومصير أصحاب الحوزة

دراسة تحليلية لحوزة الكاهونا

الذين مثلوا المجتمع العلمي في الحضارات القديمة



الفهرس

٥ مقدمة .. بقايا حضارة عظيمة
١٠ الشمال الأفريقي الخصب
١٥ مصر الخضراء
١٧ الهجرة من مصر
٢٥ الأصل المصري لسكان هاواي
٣٧ الحوزة السرية
٤١ انحدار الحضارة الإنسانية
٤٣ الدورات الزمنية.. الطبيعة الدورية لمسيرة الحضارة الإنسانية
٦٣ مبدأ الأطوار الأربعة
٨١ العصور الأربعة للسنة الكبرى
٨٣ العصور الأربعة خلال دورة الصعود والهبوط
٩١ الشمس التوأم
٩٨ نجم الشعري
١٠٢ نجم الشعري والمحافل السرية المصرية
١٠٦ التعاليم السرية لشعب الدوغون
١١٢ نجم الشعري والمحافل السرية العصرية
١٢٧ نجم الشعري غير لونه
١٣٠ خلاصة نهائية
١٣٤ انحدار مستوى الحضارة تناغماً مع الإيقاع الكوني
١٤٠ الانحدار الحضاري كان شاملاً
١٤٦ الكاهونا
١٥٣ عصر الظلام يجتاح الجزيرة
١٥٨ الحوزة ليست دين بل علم تطبيقي

- ١٦١ قدوم الكاتب لونغ إلى الجزيرة
- ١٧٢ القوة الهائلة المستخدمة في السحر.. كيف تتجلى ومن أين تأتي؟
- ١٧٥ ياباني يعالج بالنار
- ١٧٦ الأساسيات الثلاثة في السحر وتجلياتها المختلفة
- ١٨٠ أخشاب مُكهربة
- ١٨١ الطبيعة الجاذبة لهذه القوة الحيوية
- ١٨٣ هذه القوة الحيوية قابلة للبرمجة
- ١٨٤ تقديم ذبيحة لكائن خفي
- ١٨٦ الكينونة الفكرية وفق مفهوم الكاهونا
- ١٨٨ طقس الموت
- ١٩٢ الاسترفاع في الهواء
- ١٩٦ رفع الحجارة
- ١٩٩ صيد السمك بطريقة عجيبة
- ٢٠٠ التحكم بالريح
- ٢٠١ استبدال عظمة مكسورة بأخرى جديدة
- ٢٠٢ القوة العقلية/الحيوية التي نسميها سحر
- ٢٠٥ ثلاثة كيانات منفصلة داخل كل انسان
- ٢١٥ ملاحظات حول التقسيم الثلاثي للكاتب لونغ
- ٢١٦ أقسام العقل وفق مفاهيم أكاديمية
- ٢١٨ الأقسام الرئيسية للعقل كما وصفتها في هذه السلسلة من الكتب
- ٢١٩ جدلية بخصوص العقل الواعي والنفس الوسطى
- ٢٢٧ جدلية بخصوص العقل اللاواعي والنفس الدنيا
- ٢٣٤ النفس العليا
- ٢٣٨ تعدد النفوس لدى المصريين القدماء
- ٢٤٥ عودة إلى تعاليم شجرة الحياة
- ٢٥٥ نظرة مختلفة إلى موضوع الإيمان
- ٢٦١ دور العقد النفسية في الأمراض والعلل

٢٦٤	قناعات تحكم العقل الواعي والباطن معاً
٢٦٨	المسرحيات الذهنية وحالتنا الصحية
٢٧١	الإيمان هو نمط محدد للوعي، ونمط الوعي يحدد الحالة الصحية
٢٧٥	وفقاً للتعاليم السرية، الإنسان هو ساحر بالفطرة
٢٧٧	السحر انقلب على الساحر
٢٧٩	الإيمان بكائن أعلى كشرط أساسي لتفعيل القوة الخارقة في كياننا
٢٨٥	الإيمان وحده لا يكفي، وجب أن يتمحور حول التسليم بوجود النفس العليا
٢٨٧	الفرق بين الكاهونا والمشعوذ
٢٨٩	فكرة موجزة عن مناهج اليوغا الأساسية
٢٩٢	معرفة الذات الحقيقية تعتبر الدرس الأول في الراجا يوغا
٣٠١	الخاتمة
٣٠٧	المراجع

—

مقدمة

بقايا حضارة عظيمة

ازدهرت يوماً في فترة مجيدة من الماضي البعيد لكنها غائبة كلياً في ذاكرتنا

الدلائل هي قليلة لكنها قوية التي دفعت بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأنه في عالم ما قبل الطوفان كان هناك حضارة أخرى معاصرة لأطلنطس وربما نافستها من حيث القوة والعظمة. هذه الامبراطورية التي يُشار إليها أحياناً بالامبراطورية الأوزيرية Osirian Empire ازدهرت قبل حوالي ١٥ ألف سنة، وشملت أوروبا الجنوبية وأفريقيا الشمالية والمنطقة التي تتوسطهما والتي غمرتها مياه المحيط الأطلسي خلال الكارثة العظمية لتتحول إلى ما نعرفه اليوم بالبحر الأبيض المتوسط. هذه الامبراطورية كانت معاصرة للامبراطوريات الأسطورية الأخرى مثل أطلنطس المزدهرة في المحيط الأطلسي وراما التي احتلت المنطقة المعروفة اليوم بالهند. يشرح الباحث "ديفيد هاتشر تشيلدرس" David Hatcher Childress نظرية الامبراطورية الأوزيرية قائلاً:

".. وفقاً للتقاليد الإيزوتيرية، قبل حوالي ١٥ ألف سنة ازدهر عدد من الحضارات فائقة التطور على كوكبنا، وكل منها حازت على تقنيات تتقدم تقنيتنا العصرية بمستويات كبيرة. يُقال بأنه في أيام ازدهار أطلنطس وراما كان حوض البحر المتوسط عبارة عن وادي خصب كبير، بدلاً من البحر الذي نراه اليوم. كان نهر النيل الخارج من أفريقيا، كما يفعل اليوم، يُسمى نهر "ستيكس" Styx. لكن بدلاً من أن يصب في البحر المتوسط عند دلتا النيل في شمال مصر، تابع مسيرته نحو وادي المتوسط، ثم يلتف نحو الغرب ليتجمع في الجزء العميق من الوادي (جنوبي جزيرة "كريت") ليشكل بحيرة كبيرة، ثم يتابع جريانه بين جزيرتي "مالتا" و"صقليا"، ثم جنوب "سردينيا"، ثم يخرج على الحوض الأطلسي عند جبل طارق (أعمدة هرقل). هذا الوادي الخصب الكبير، مصحوباً مع الصحراء الأفريقية الشمالية المترامية الأطراف التي كانت سهول خضراء دائمة الخصوبة، كانت معروفة في الأزمنة القديمة بالامبراطورية الأوزيرية.."



البحر المتوسط بصيغته الحالية



حوض المتوسط كان عبارة عن وادي خصب يخترقه نهر كبير يمثل امتداد لنهر النيل، يجري هذا النهر على طول الوادي ليصب أخيراً في المحيط الأطلسي عند جبل طارق

وفقاً لـ"تشيلدرس"، يوجد حول العالم كتابات باطنية توصف دمار الامبراطورية الأوزيرية بطريقة تجعلها مرتبطة بدمار أطلنطس. كتب يقول:

".. وفقاً للمعلومات التي وفرتها المخطوطات الإيزوتيرية، والتي قسم كبير منها لازال محفوظاً حتى اليوم في مكتبات سرية في كل من مصر والصين والهند والتبت وأماكن أخرى، تعرضت أطلنطس للدمار نتيجة كارثة مفاجئة أصابت هذه القارة الصغيرة المعزولة، لكن ارتدادات هذه الكارثة امتدت لتطال الحضارة الأوزيرية التي بدأت تتغمر تدريجياً بمياه المحيط فتحول حوضها الخصب لاحقاً إلى ما نعرفه اليوم بالبحر المتوسط. راحت الفيضانات تجتاح المدن العظيمة، وتسارع الأوزيريون باتجاه الأراضي المرتفعة هرباً من المياه. هذه النظرية تساعد في تفسير الآثار العمرانية العملاقة في كافة أرجاء حوض المتوسط، خصوصاً تلك الموجودة في جزر مالطا وسردينيا وكورسيكا

وصقليا وكريت والجزر الأسيانية. وقد تم اكتشاف آثار عملاقة في مواقع مائة بالقرب من سواحل المغرب وأسبانيا. بالإضافة إلى الحقيقة المعروفة في مجال علم الآثار والقائلة بوجود أكثر من ٢٠٠ مدينة غارقة معروفة في قاع البحر المتوسط. الحضارة المصرية وكذلك الحضارة المينونية Minoan والميسينية Mycenaean في كريت واليونان هي نظرياً عبارة عن بقايا لتلك الحضارة العظيمة الأولى.."

يذكر "تشيلدرس" إحدى تلك المواقع الغارقة كمثل، وهو المرفأ الغارق في الاسكندرية بمصر. الموقع المنخفض لهذا المرفأ يمثل دليلاً على أن مستوى البحر المتوسط كان أكثر انخفاضاً من اليوم. بالإضافة إلى ذلك، القطع العملاقة التي يتألف منها المرفأ، ومواقع أخرى قريبة منه مثل أبوديس ومعبد أبو الهول، تسبق زمن المصريين المعروفين تاريخياً، حيث تعود إلى زمن ما قبل السلالات الفرعونية، أي إلى الزمن الذي ازدهرت فيه الحلقة الكهنوتية المشار إليها بـ"شمسو حور" (أتباع حور).

وجد الغطاسون أيضاً، بقيادة "ستيفن شوارتز" Steven Schwartz (مؤلف كتاب "مشروع الاسكندرية" The Alexandria Project) منحوتات عملاقة تشمل قطعة حجرية ضخمة أشاروا إليه باسم "تاج أوزيريس"، وهذه القطعة تعود لتمثال عملاق لأوزيريس ربما يتجاوز ارتفاعه ١٠٠ قدم. كتب "تشيلدرس" شارحاً:

".. مع الامتلاء التدريجي لحوض المتوسط بالماء، لا بد من أن العملية دامت عدة قرون قبل أن يستوي مع المحيط ثم توقف. وقام بعدها البقايا المنحدرين من الحضارة الأوزيرية، مستخدمين التقنيات والعلوم الموروثة من أطلنطس، ببناء منشآت ومرافئ جديدة حسبما سمحت لهم الظروف. لكن لاحقاً، وبعد كارثة كبرى نتجت ربما من انزياح تكتوني (انزياح صفائح قارية) أدى إلى حصول سلسلة من الزلازل، تعرّضت المنطقة الساحلية التي شيّد فيها المرفأ العملاق (بنفس مستوى عظمة أبوديس ومعبد أبو الهول) إلى الانغمار الكامل والمفاجئ تحت الماء فأصبح عديم الجدوى. من المثير ملاحظة أنه وفقاً للنظرية، كان هناك معبد لـ"بوسيدون" Poseidon موجوداً عند موقع "رأس التين". كانت أطلنطس معروفة لدى القدماء باسم "بوسيد" Poseid. و"بوسيدونيس"

Poseidonis أو "بوسيدون" هو اسم الملك الاسطوري لأطلنطس. وبشكل مماثل، يُقال بأن "بوسيدونيس" و"أوزيريس" Osiris يمثلان الشخص ذاته..



آثار رائعة في قاع البحر مقابل الاسكندرية

في البحر الأبيض المتوسط، تُعدّ الحركات الأرضية، مثل الزلازل والبراكين، سبباً رئيسياً لغرق معظم المدن، لكن ليس جميعها. بسبب الارتفاع العام لمستوى المياه للبحر المتوسط، أصبحت أجزاء كبيرة من مدن معروفة جيداً تاريخياً غارقة تحت مياه البحر. ذكرت سابقاً أن جميع علماء الآثار يسلّمون بوجود أكثر من ٢٠٠ مدينة غارقة معروفة في البحر المتوسط. من ضمن هذه المدن الغارقة نجد الكثير من المواقع على طول الساحل الغربي الإيطالي، وكذلك المدن الغارقة في سواحل يوغوسلافيا المطلّة على البحر الادرياتيكي، وكذلك جزء كبير من مدينة "ساراكوس" الواقعة في جزيرة صقليا، ومدينة "لابيس" في ليبيا، بالإضافة إلى مرافئ صور في لبنان وسيزاريا في فلسطين. يُعتقد بأن مدينة "هاليك" Helike تقع في قاع البحر بالقرب من مدينة "كورنيث" التاريخية في اليونان. ففي الزمن القديم كانت هذه المدينة الغارقة عبارة عن هدف

سياحي للزائرين الرومان القادمين إلى اليونان. كانوا يمزّون فوقها بواسطة القوارب ويتمتعون بمنظر آثارها التي يمكن رؤيتها خلال المياه الصافية. أما تمثال "زيوس" الذي كان لا يزال واقفاً في إحدى ساحات هذه المدينة الغارقة، فكان يبدو واضحاً هناك في الأسفل.



يمكن تقييم مدى عظمة الحضارة الأوزيرية من خلال المواقع الأثرية العجيبة المنتشرة حول البحر المتوسط، كحجارة البناء العملاقة التي استخدمت لتشبيد الصروح، كما هو الحال في بعلبك، لبنان، حيث تحتوي المنصة العجيبة (أرضية الموقع الأثري الذي كان معبد) على أكبر حجارة مصقولة في العالم. بعض هذه الحجارة طولها ٢٥ متر، وسماكتها ٤.٥ متر، وتزن كل واحدة منها بين ١٢٠٠ إلى ١٥٠٠ طن.

على بعد ١٠٠٠ قدم من جزيرة "ميلوز" Melos (جزيرة يونانية على بحر إيجه) تقع في قاع البحر مدينة قديمة تمتد على طول ٤٠٠ قدم. تتفرّع منها طرق وشوارع كثيرة، تؤدي نزولاً إلى أماكن مجهولة أعمق من مستوى المدينة بكثير. وجد المستكشف البحري "جاك كوستو" طريق معبّدة طويلة في أعماق البحر المتوسط. كانت جزيرة صقليا موصولة بإيطاليا بواسطة أرض واسعة أصبحت الآن تابعة تحت ممرّ مزدحم للسفن واليواخر.

على بعد خمسة أميال من مارسيل Marseilles على ساحل الريفيرا الفرنسي، وعلى عمق ٨٠ قدم، وجد الغواصون أنفاق مناجم أفقية و عمودية، منشآت صهر و إذابة، وأكوام من خبث المعادن ملقاة في باحة الموقع. قد تكون السكك الغامضة الموجودة في مالطا، والتي تنزل من المنحدرات نحو قاع البحر ثم إلى أماكن مجهولة في الأعماق، من بين شبكة من التزامات (عربات تمشي على سكك) التي شيّدها الحضارة الأوسيرية، ربما استخدمت لنقل حجارة البناء من المقالع إلى المدن التي هي الآن غارقة تحت البحر.

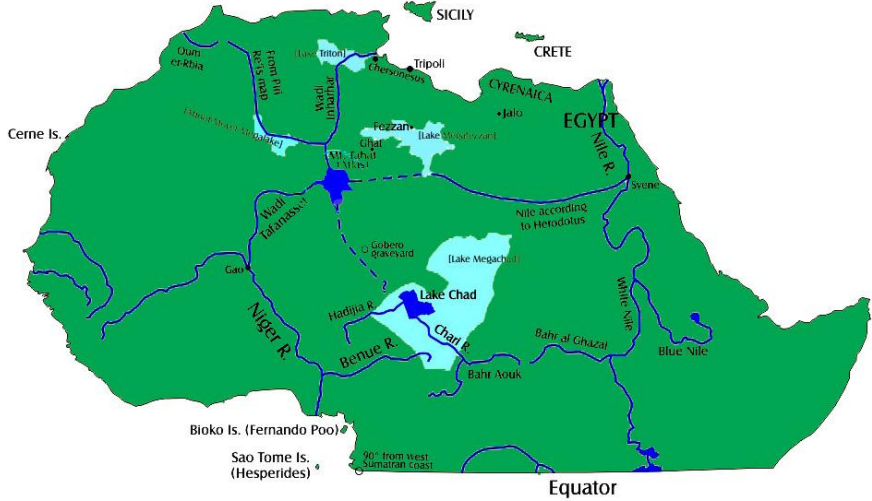
المخيّمات التي استخدمها هاني بعل كنقطة انطلاق لحملة الهادفة إلى غزو روما أصبحت الآن مغمورة بالمياه الضحلة، في "بنسكولا" الواقعة على الساحل الشرقي لأسبانيا.

الشمال الأفريقي الخصب

كانت الصحراء الشمالية جزءاً من المحيط لفترة من الوقت (نتيجة الطوفان العظيم). لكنها أصبحت لاحقاً تتألف من مجموعة مناطق خصبة تحيط ببحر داخلي كبير، هذا البحر الداخلي الذي، بعد اضمحلاله التدريجي، بقي يمثل منطقة خضراء مُفعمة بالحياة. في بداية التاريخ المصري المكتوب ذُكر في السجلات مساحات واسعة من المستنقعات الموزعة في البلاد. ربما بحيرة "تشاد" الحالية هي من بقايا هذه الحالة. كانت بحيرة تشاد تغطي مساحة تقارب ٤٠٠ ألف كيلومتر مربع، وهذه مساحة أكبر من مساحة بحر القوقاز. تبين خريطة "بيري رايس" (العائدة إلى حضارات ما قبل التاريخ) المرسومة بدقة قبل آلاف السنين، وجود بحيرات وأنهار ومدن كثيرة في تلك المنطقة.

الشمال الأفريقي الذي تصوره الأساطير في فترة ما قبل السلالات الفرعونية يختلف تماماً عن ما هو عليه اليوم، إن كان من حيث الروعة التي اتصفت بها طبيعة البلاد أو مدى تقدم الحضارة التي تفوق الخيال. لكن السؤال المطروح هو هل هناك دلائل ملموسة

تثبت صحّة هذه الصورة التي حفظتها لنا السجلات عبر التاريخ، خصوصاً تلك التي قدمها أفلاطون وديودوروس وصولون؟



وفق المسح الطبغرافي والتصوير الجوي الذي أجري للشمال الأفريقي منذ بدايات القرن الماضي، ظهرت بقايا واضحة لأنهار وبحيرات كبرى موزعة في كافة أنحاء المنطقة التي نعرفها اليوم بالصحراء الكبرى.

اكتشفت الحملات الأثرية إلى مناطق مختلفة من الصحراء الشمالية رسومات لأنواع مختلفة من الحيوانات، بالإضافة إلى مجموعات متنوّعة من الأدوات التي صنعها الإنسان. الرسومات المنطوّرة التي اكتشفت في كهوف جبال "تاسيلي" في الجزائر تصوّر البشر والحيوانات في بلاد تملؤها البحيرات والأنهار والأشجار. (غالباً ما كان هذا الفن المنطوّر على جدران الكهوف يتعرّض للتشويه من قبل شعوب بدائية جاءت في فترات لاحقة).

في إحدى النقاط بين "سبها" عاصمة "قزان" الحديثة، وكذلك واحة "غات" على الحدود الجزائرية، هناك أنفاق تمتد لمسافة ٧٠٠ ميل. بعد الأخذ في الحسبان القبور التي يفوق عددها ١٠٠٠٠٠٠٠ والتي اكتشفت في "وادي"، نتوصّل إلى حقيقة أن هذه المنطقة كانت تعجّ بالسكان.

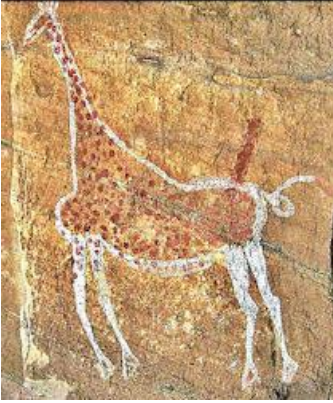


العديد من الرسومات تشير إلى ازدهار بيئة مائية غنية بأنواع مختلفة من الأسماك

أظهرت التحليلات التي أجريت على أنواع غبار الطلع المستخرجة خلال عمليات التنقيب، بأنها تعود إلى أشجار الأرز، الليمون، البأوط، القيقب، الصنوبر و البلسان كانت قد ازدهرت في هذه المنطقة. وبعد أن جفّ المناخ، راحت تختفي أشجار السرو والزيتون أيضاً. لكن يبدو أن شجيرات الأكاسيا بقيت صامدة وكذلك بعض أنواع الأعشاب. حتى في العصر الهيليني (اليوناني)، كانت شمال أفريقيا تُعتبر سلّة الغذاء لأوروبا، حيث الأراضي الخصبة والمروية جيداً. حقول القمح الواسعة والعشرات من البلدات والمدن الرومانية انتشرت في هذه المناطق. وآثار هذه المدن تقع اليوم ساكنة تحت رمال الصحراء المنجرفة.

راح السكان يهجرون المنطقة بعد جفافها أمام زحف الصحراء. منطقة الصحراء الشمالية هي الآن جرداء تماماً. خلال الثمانين سنة الماضية، تحوّلت منطقة بحجم كل من بريطانيا وفرنسا وألمانيا إلى صحراء قاحلة. الصحراء الآن تزحف نحو الجنوب إلى أفريقيا، وبمعدّل ٧ كلم في السنة. وهناك بحر عظيم من الرمال يزحف شرقاً نحو دلتا النيل الخصبة، بمعدّل ١٣ كلم في السنة. في العام ١٩٥٥م، كانت شجيرات الأكاسيا مزدهرة حول مدينة الخرطوم. أما اليوم، أصبحت هذه النباتات الصحراوية، التي يمكنها

العيش على عدة سنتيمترات من المياه سنوياً، موجودة على بعد ٥٤ ميل من العاصمة السودانية.



زرافات ووحيد القرن وغيرها من حيوانات كانت تسرح في السهول الخضراء التي غطت يوماً الصحراء الشمالية الأفريقية

يقول العالم "إمانويل فاليكوفسكي" Immanuel Velikovsky في كتابه "الأرض عند اضطرابها" Earth in Upheaval واصفاً مشهد الشمال الأفريقي في ذلك الزمن الغابر قائلاً:

".. ما نعتبرها اليوم الصحراء الكبرى في شمال أفريقيا كانت في الماضي سهول عشبية واسعة. اكتُشف الكثير من الرسومات المحفورة على الصخور صنعها سكان تلك المناطق تصور قطعان من الماشية بالإضافة إلى مجموعة متنوعة من الحيوانات التي لم يعد لها أثر هناك، وحتى أن بعضها أصبح منقرضاً تماماً. لقد تم تأكيد حقيقة أن الصحراء الكبرى كانت مأهولة بعدد كبير من السكان الذين عاشوا في غابات واسعة وسهول عشبية مترامية الأطراف. اكتُشف عدد كبير من الأواني والأدوات المنزلية بالقرب من تلك الرسومات الصخرية، بالإضافة إلى أدوات الصيد والأسلحة. اكتُشفت هذه الأثار في مواقع مختلفة تمتد من شرقي الصحراء الكبرى حتى غربها. كانت كثافة السكان كبيرة في هذه المناطق التي أصبحت الآن صحراء رملية تمتد عبر آلاف الكيلومترات القاحلة.

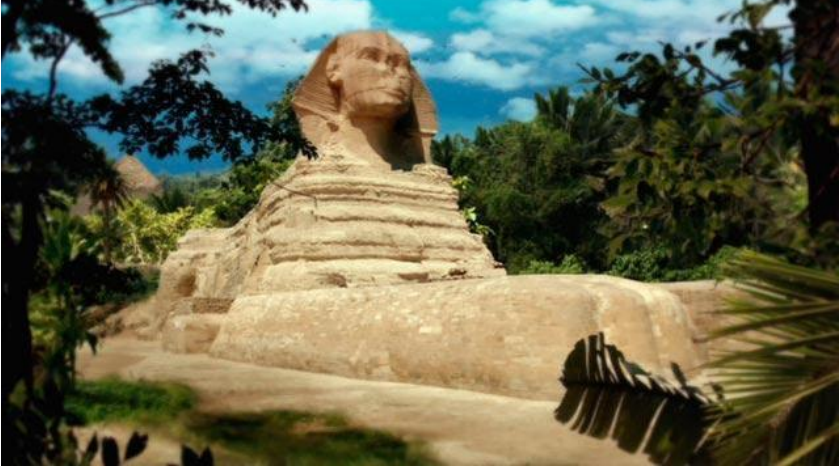
إلى أي زمن تعود تلك الفترة التي سادت فيها ظروف مناسبة لعيش الإنسان في الصحراء الكبرى؟ بعض الباحثين (مثل "موفرز" Movers في القرن التاسع عشر) زعموا بأن تلك الرسومات الصخرية في الصحراء الكبرى تعود للفينيقيين، بينما البعض الآخر (مثل "بارث" Barth في الخمسينات من القرن الماضي) زعم بأن الرسومات تعود إلى أصول مصرية، حيث وجد صور للإله المصري "سيت" محفورة في مواقع صخرية مختلفة. كما تم اكتشاف صور لعربات حربية تجرها الخيول وذلك في منطقة جرداء حالياً بحيث لا تستطيع هذه الحيوانات أن تصمد ليومين بسبب البيئة الصحراوية القاتلة..".



في هذه المنطقة كانت تسرح الفيلة التي استخدمها هاني بعل في حملته العسكرية المشهورة إلى روما، لكن هذا النوع من الفيلة الذي يختلف بجوانب عديدة عن الفيل الأفريقي المؤلف اليوم قد انقرض منذ قرون.

.....

مصر الخضراء



لم تكن مصر دائماً مجرد شريط رفيع من الحياة المحيطة بنهر نيل ويحيطها صحراء واسعة مترامية الأطراف. قبل عشرة آلاف سنة، حين كانت الصحراء الشمالية تشكل مساحة واسعة من السهول العشبية والغابات والأنهار، كانت مصر امتداداً طبيعياً لهذه الجنة الخضراء والتي شهدت تراكم عدد كبير من الثقافات المختلفة.

لمدة قرون طويلة من الزمن، كانت مصر عبارة عن بلاد تكثُر فيها الأمطار الغزيرة. أحدث الكاتب "أنتوني ويست" صدمة كبيرة لعلم الآثار الأكاديمي في أوائل التسعينات من القرن الماضي عندما كشف مع الجيولوجي "روبرت سكاتش" عن حقيقة أن صرح أبو الهول القابع في الحيزة يحمل دلائل على أنه تعرّض للحت والتآكل الناتج من الأمطار الغزيرة. هذا التآكل يشير إلى أن أبو الهول قد نُحت خلال أو قبل فترة هطول الأمطار الغزيرة، أي فترة انتقال أفريقيا الشمالية من حالة الرطوبة إلى حالة الجفاف. أما مدى امتداد الأرض المغمورة بالمياه سابقاً، فقد ذكره المؤرخ الإغريقي "هيرودوتس" الذي قال: ".. ليس هناك أي جزء يمكن رؤيته ما وراء بحيرة "موريس" (بحيرة في الفيوم اسمها الآن "قارون")، المسافة بين البحيرة وشاطئ البحر كانت تمثل رحلة مدتها سبعة أيام..". وبهذا نستنتج بأن مصر المنخفضة كانت مغمورة بالكامل بمياه البحر.



هكذا أصبحت منطقة الجيزة بعد طغيان البيئة الصحراوية القاحلة على مصر

تؤكد الأساطير القديمة بأن الأراضي المرويّة كانت تمتدّ مسافة مئات الأميال غربي النيل، إلى السودان وليبيا (التي هي الآن عبارة عن صحاري قاحلة). في تشرين ثاني من العام ١٩٨١، أظهرت الصور الرادارية المأخوذة من مكوك الفضاء "كولومبيا" وجود أنهار واسعة ووديان فرعية مدفونة تحت الصحراء (بعضها تفوق نهر النيل الحالي من ناحية العرض)، حيث يبدو أنها كانت تجري جنوباً و غرباً لتصبّ في حوض عملاق أكبر من مساحة بحر القوقاز (بحيرة تشاد الآن). هكذا كانت الحال في أفريقيا قبل التاريخ المكتوب بآلاف السنوات. كانت الأمطار غزيرة جداً.

حتى قبل ٢٠٠٠ عام مضى، وصف الجغرافي الروماني "سترابو" الأرض الواقعة غربي الإسكندرية قائلاً: "أرض "ماريوتس" هذه المحببة للقلوب، المليئة بالقرى والمعابد الرائعة، كم هي التربة غنية بحيث أن الكرمة (العنب) تنمو بسرعة وكثافة لدرجة أنهم ينصبون لها العرائش لتنظيم نموها..". هذه الأرض الجميلة التي وصفها "سترابو" هي الآن عبارة عن أرض جرداء قاحلة. في العام ١٤٥٠ قبل الميلاد، كانت بلاد كنعان (فلسطين والأردن) توصف بأنها "تسيل بالحليب والعسل..". لكنها الآن صحراوية. أما الحضارات العظيمة مثل سومر وآشور وبابل التي ازدهرت في بلاد خصبة أصبحت الآن مدفونة تحت رمال الصحراء ومدنها المزدهرة ضاعت إلى الأبد.

.....

الهجرة من مصر

لطالما نُشرت أبحاث أثرية تتحدث عن اكتشاف آثار مصرية في مناطق مختلفة حول العالم من المفروض أن لا تكون هناك وفق المنطق العلمي الرسمي. فقد تم اكتشاف آثار مصرية في معظم أنحاء العالم تقريباً، حتى أبعد المناطق وأقصاها، وتلك المواقع عميقة في الغابات الاستوائية والجزر النائية ووسط الصحارى مترامية الأطراف.

جميع المكتشفات الأثرية تشير إلى وجود فترة في الماضي البعيد حيث كان العالم فيها معروفاً بالكامل وكان السفر حوله آمناً وذو منفعة اقتصادية لكن فجأة تراجعت بعدها الأمم وانحدرت الشعوب إلى مستويات وضيعة جداً إقتصادياً وثقافياً حيث اندثرت الطرق التجارية العالمية ومحيت تماماً من ذاكرة الأجيال المتعاقبة.

تم اكتشاف آثار مصرية في مناطق مختلفة من أمريكا الشمالية كما أن ثقافات بعض قبائل الهنود الحمر متأثرة بشكل واضح بالتقاليد المصرية وأشهرها قبيلة الميكماك التابعة للأمة الالغونكونينية الهندية والتي استخدمت في كتاباتها ٢٠٠٠ سمة هيلوغرافية مطابقة

تماماً لتلك التابعة للمصريين القدماء. وكذلك هنود الهوبي الذين لازالوا يستخدمون عدد كبير من الكلمات المصرية القديمة في لغتهم المحكية.



قطع أثرية مصرية اكتشفت في كهف تحت أرضي بالقرب من أحد أفرع نهر "واباش" Wabash جنوب شرقي ولاية "إلينوي" Illinois. الصورة العليا تبين نقش حجري يصوّر رجل مصري، والصورة الدنيت تبين قطع ذهبية تحمل معالم مصرية.

استخدمت من قبل المصريين القدماء. أما في الباراغواي، فقد تم العثور على كتابات ونقوش في بعض الكهوف في تيوكاري Teyucare تنسب إلى مصر الفرعونية. أما في البرازيل، فقد تم اكتشاف أكثر من ٢٨٠٠ نقش حجري أو على أواني وألواح معدنية، ومعظمها تم إيجاده في قلب الغابات أو قمم الجبال، بعضها يعود إلى ما قبل الفراعنة المصريين، ومنها كتابات هيلوغريفية فينيقية وسومرية. وفي إقليم الأمازون، وجد المهندس الفرنسي "ابولينار فروت" Apollinaire Frot صخرة منحوتة كانت قابعة في الغابة قرب النهر، سجلت هذه الصخرة رحلة كاهن مصري (فرعوني) إلى ما يسمى اليوم بوليفيا. أظهرت هذه الصخرة خريطة تبين الاتجاهات وجب سلوكها للوصول إلى مناجم الفضة والذهب، لكن للوصول إليها وجب قطع مسافة طويلة مروراً بوسط البرازيل.

أما في القارة الأسترالية، فهناك عدد كبير من الآثار المصرية القديمة وفي مناطق مختلفة من القارة. بالإضافة إلى أن تقاليد بعض القبائل المحلية هي متأثرة جداً بالثقافة المصرية القديمة. فمثلاً، حيا السكان الأصليون القاطنون في شمال غرب استراليا أول رجل أبيض (بريطاني) بإشارات يدوية ماسونية والتي أصولها مصرية قديمة. كان لديهم أيضاً تقاليد وطقوس دينية وكلمات واضحة من أصل مصري. بالإضافة إلى زمر دموية وتقاسيم الوجه مشابهة لتلك الموجودة بين سكان الشرق الأوسط. وقد أظهرت رسومات الكهوف في "ونديجينا" أناساً كانوا يرتدون ثوباً غير معروف عند القبائل البدائية، لكن مثل هذا اللباس كان يرتديه البحارة المصريون والفينيقيون قبل ٣٠٠٠ سنة. تقول القبائل المحلية أن الغرباء جاؤا بهذه الأعمال الفنية من جهة المحيط الهندي. وقد وجدت صفيحة برونزية من أصل فينيقي (٦٠٠ قبل الميلاد) استقرت في الترسبات الطينية على الشاطئ الشمالي الغربي لأستراليا قرب منطقة "ديربي" ويقرب منجم قديم. ويوجد صور لرجال ذوات مظاهر غير استرالية مرسومة في جرف صخري غرب منابع "أليس" في وسط استراليا، أحدهم مرتدياً تاجاً يبدو عليه الأسلوب البابلي أو المصري القديم. معتقدات وطقوس الموت المصرية (بالإضافة إلى التحنيط) هي سائدة بين سكان منطقة "أرنهيم"، وسكان مضيق تورس أما طرق ومناهج التحنيط فهي مشابهة لتلك التي سادت في مصر قبل ٣٠٠٠ سنة. العديد من الرموز الغربية، السفن، الصور ذات الأسلوب المصري، الفينيقي، السوري، كانت قد وجدت محفورة على الصخور الممتدة على طول

نهر هكسبوري ، جنوب ويلز الجديدة. كما وجد تمثال للإله المصري "توث" Thoth يعود إلى ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد، وتم اكتشاف أزهار نبتة البردى في كوينزلاند سنة ١٩٦٦. في القرن الماضي، اكتشف في هذه المنطقة الكثير من الأواني والقطع التي تتطابق مع تلك الموجودة في الشرق الأوسط، بالإضافة إلى العديد من الرسوم والأواني الفينيقية والمصرية.

وفي نفس المقاطعة يوجد بناء هرمي الشكل يرتفع مئة قدم فوق الأحرش. وهناك هرم آخر أكبر من الأوّل بمرتين موجود في القرب من سيدني. هذه الأبنية الهرمية هي مطابقة لتلك الموجودة في الشرق الأوسط قبل ٣٠٠٠ سنة.



رسم لأحد الهياكل الهرمية في إحدى المناطق العميقة في أدغال أستراليا وهذه الهياكل الهرمية عديدة في تلك البلاد النائية

تقول الأساطير القديمة التي يتداولها السكان الأصليون كيف أبحر الغرباء في سفن كبيرة تشابه الطيور (كانت مقدمة السفينة الفينيقية على شكل رأس طائر) تأتي إلى الشواطئ الأسترالية. فيدخلون إلى المناطق الداخلية ويحفرون الأنفاق في الجبال (مناجم)، والتزواج مع السكان المحليين.

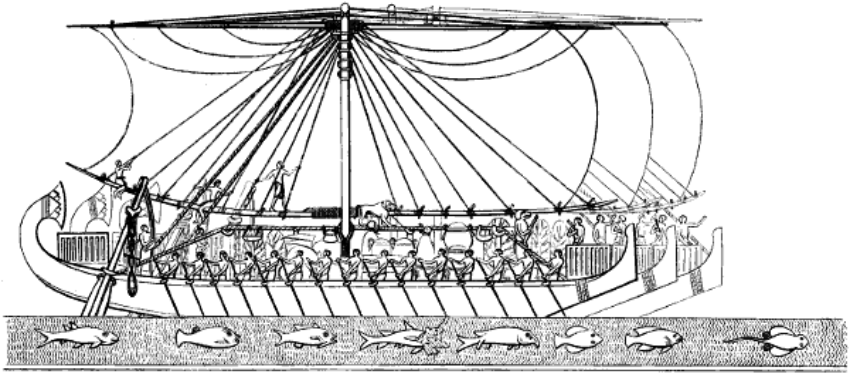
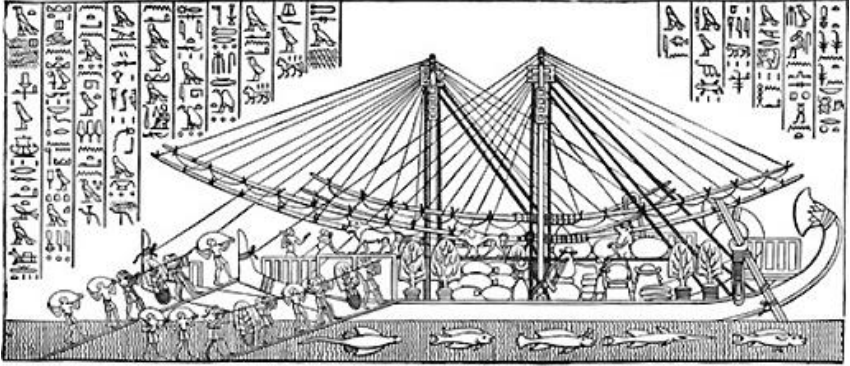


مجموع الكتابات التي وُجِدت في موقع نيو ساوث ويلز، أستراليا. لازلنا نلقى الإهمال من قبل علم الآثار الرسمي. تم ترجمتها من قبل الباحث المستقل "بول وايت".

في الحقيقة لا نستطيع ذكر كافة الاكتشافات الأثرية العائدة إلى الحضارة المصرية القديمة والتي تغطي عدد كبير من المواقع حول العالم لأن هذا سيحتل مساحة كبيرة من هذا الكتاب لكن أعتقد أن الأمثلة المذكورة في الصفحات السابقة هي كافية لإثبات الفكرة المطروحة، لكن السؤال هو كيف وصل المصريون القدامى إلى تلك المناطق المختلفة حول العالم والتي هي بعيدة جداً عن الوطن الأم؟ هل كانت وسائل إبحارهم متطورة إلى هذه الدرجة؟ في الحقيقة لا نستطيع تقييم مستوى علم الإبحار بشكل دقيق لكن وفقاً لما لدينا من مكتشفات أثرية حالية نستطيع تكوين صورة تقريبية لما كان موجود في ذلك الماضي البعيد.

مثلاً، احتوى معجم أكادي قديم للغة السومرية على فصل كامل حول السفن، تضمن قائمة تضم ١٠٥ مصطلحاً سومرياً لأنواع السفن بحسب الحجم والغرض. ارتبط أكثر من ٦٩ مصطلح سومري بمجالات تخص الوظيفة على السفينة بالإضافة إلى مجال بنائها وتم ترجمتها إلى اللغة الأكادية.

أما السفن المصرية القديمة التي تشق عرض البحار فكان يصل طولها إلى أكثر من ١٠٠ متر وعرضها حوالي ٢٥ متر وترتفع أربع طوابق.



بالإضافة إلى الرحلات الاستكشافية التي قام بها البحارين المصريين القدامى والتي شملت معظم مناطق العالم، هناك أسباب كثيرة أخرى دفعت إلى الهجرة من مصر، أهمها الأحداث السياسية والفوضى الاجتماعية التي أصابت البلاد أكثر من مرة، ثم هناك أسباب مناخية وأقصد بذلك التصحر الذي راح يقلص الأراضي الخصبة في شمال أفريقيا حيث كان المستبصرون يستشرفونها مسبقاً ويتخذون الاجراءات اللازمة قبل أن يحين موعدها. هذا بالضبط ما فعلته مجموعة من المصريين قبل أكثر من ٧٠٠٠ سنة وقد هاجروا بعيداً حتى وصلوا إلى جزر بولينيزيا حيث يشكلون اليوم شريحة واسعة من سكانها الأصليين. هل يمكن أن يتوقع أحدكم بأن سكان جُزر بولينيزيا ينحدرون من

أصل مصري أو شمال أفريقي عموماً؟! هناك دلائل كثيرة تشير إلى هذه الحقيقة المهمة أكاديمياً حيث يتجاهلها البحث العلمي بشكل كامل.

الأصل المصري لسكان هاواي!



يبدو أن وسائل الإبحار لدى المصريين القدامى كانت متطورة بدرجة كبيرة مما مكنتهم من الوصول إلى كل هذه المناطق المختلفة حول العالم، بما في ذلك الجزر النائية مثل جزر هاواي وجزيرة إيستر الواقعة في المحيط الهادئ! لكن ما هي نوعية تلك الأدوات التي استخدمها هؤلاء البحارة المغامرون بحيث تمكنوا من الوصول إلى هذه الأماكن البعيدة جداً؟ كيف تمت هذه العملية التي لازالت صعبة الاستيعاب بالنسبة لنا؟ الإبحار

عبر هذه المسافات الشاسعة والنجاح في إدراك الأهداف البحرية في عصرنا هذا تتطلب شبكة واسعة ومتنوعة من التجهيزات الإلكترونية مثل الرادارات والأقمار الصناعية وغيرها من وسائل وتقنيات إبحار متقدمة. كيف نجح القدماء في إنجاز هذه المهمات شبه المستحيلة دون اللجوء إلى أي من تلك الوسائل المتطورة؟!

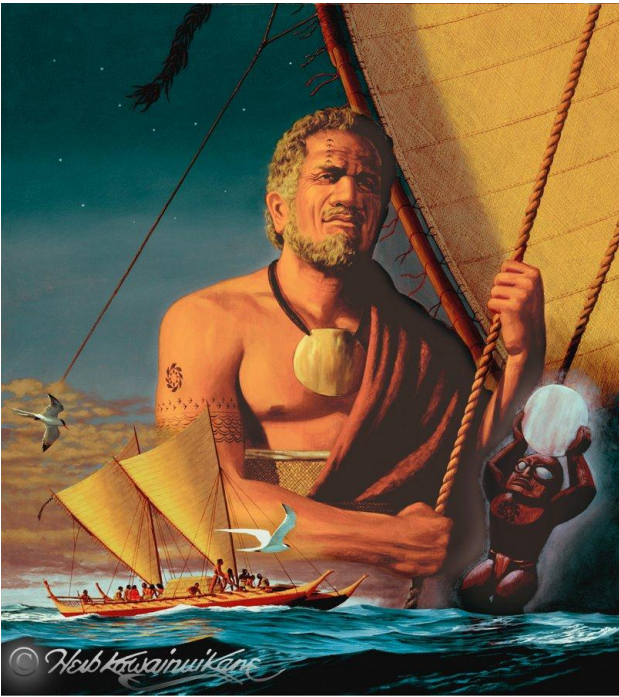
الجواب على هذه التساؤلات لا يكمن في وسائل الإبحار بل في الإنسان ذاته. من الواضح أن شعوب تلك الفترة القديمة لم يملكوا أدوات إبحار متطورة، وهذا ما تثبته الأثار العائدة إلى تلك الحقبة الزمنية، لكن نظرهم للإنسان كانت مختلفة كلياً وهي بكل تأكيد أكثر تقدماً من نظرتنا الحالية.



"بولينيزيا" Polynesia هي منطقة بحرية واسعة تقع في المحيط الهادي وهي مؤلفة من مجموعة كبيرة من الجزر المتناثرة على مساحة واسعة. أشهر الجزر هي نيوزيلاندا وهاواي وفيجي وإيستر وكوك وتاهيتي وتونغا وسامكا وغيرها.

نحن في هذا العصر الحديث لا يمكننا التصديق بأن القدماء حققوا كل تلك الإنجازات البحرية المذهلة لأن نظرتنا إلى الكائن البشري لا زالت ناقصة ومشوهة. لا زالت معارفنا المنهجية تنظر إليه على أنه مخلوق ضعيف ومحدود القدرة بحيث لا يستطيع فعل شيء إزاء عوامل الطبيعة مثل الرياح والأمطار الرعدية والعواصف وغيرها من ظروف بيئية تعتبر أقوى من إرادة الإنسان، بينما أولئك البحارة القدماء كانوا يملكون القدرة على

التحكم بمسار الرياح ودرجة شدتها وكذلك الأمطار الرعدية والعواصف وغيرها من ظروف جوية وبيئية مختلفة! هل أصبت بالصدمة؟ انتظر قليلاً فنحن لم نتعرف على شيء بعد. معارفنا المنهجية تنظر إلى الإنسان على أنه مخلوق غبي ومحدود الإدراك بحيث لا يستطيع إدراك أبعد من دائرة حواسه الخمسة، بينما أولئك البحارة القدماء كانوا يملكون القدرة على إدراك أهداف بعيدة جداً، مكانية وزمانية! أي كانوا يستطيعون تحديد مواقع الأهداف التي تبعد عنهم آلاف الكيلومترات فيتوجهون إليها بشكل مستقيم، كما البوصلة، دون أن يزيحوا عن المسار ولا حتى شبر واحد. أما الهدف الذي يتوجهون إليه بكل ثقة ويقين وسط مساحات بحرية شاسعة فيكونوا قد شاهدوه وحددوا طبيعته ومزاياه عبر الاستبصار (الرؤية البعيدة) والذي يكون من اختصاص أحد أعضاء فريق البحث.



إن قدرة القدماء على الإبحار عبر مساحات بحرية واسعة أذهلت الباحثين وأوقعتهم في حيرة من أمرهم حيث وفقاً للمنطق العلمي لا يمكن تحقيق هذه الإنجازات دون استخدام أدوات إبحار متطورة وهذه الأخيرة كانت غائبة كلياً لدى البحارة القدماء الذين اعتمدوا على القوى الباطنية للإنسان والتي هي أكثر كفاءة وجدوى من الأجهزة الإلكترونية.

بهذا نستنتج أنه ليس وسائل الإبحار تختلف فحسب بل المنطق الذي اعتمد عليه القدماء في تفكيرهم وسلوكهم يختلف عن الإنسان المعاصر. كانت نظرتهم للإنسان والعالم عموماً مختلفة عن نظرتنا العصرية. قد نستبعد كلياً واقعية هذه القدرات المذهلة التي استعرضها البحارة القدماء لولا أنها كانت سائد بقوة في الحياة اليومية لسكان جزر هاواي (ويولينيزيا عموماً) إذ كانت تعتبر ظواهر مألوفة يصنعها سحرتهم الذين يسمون أنفسهم "كاھونا". الأمر لم يتوقف هنا بل تروي موراثنهم الشعبية كيف هاجر هذا الشعب من بلاد مصر! قاطعين البحر الأحمر! وكيف انتهى بهم المطاف في هذه الجزر النائية وسط المحيط الهادئ! وكان ذلك قبل عشرة آلاف سنة! هل يتوقع أحدكم بأن سكان جُزر بولينيزيا يندردون من أصل مصري أو شمال أفريقي عموماً؟! هناك دلائل كثيرة تشير إلى هذه الحقيقة المهملة أكاديمياً، لكن غالباً ما تقود الصدفة إلى ظهور دلائل جازمة غير متوقعة وسوف أذكرها لاحقاً.

بالعودة إلى الكاهونا، أسياذ السحر والحكمة والأعمال الروحية المختلفة. كانوا يعتبرون عنصر أساسى بين سكان الجزر، حيث كما الدور الذي يلعبه الشاماني (طبيب القبيلة) بين الشعوب الأخرى حول العالم، كان الكاهونا يعتبر الطبيب، ليس الجسدي فحسب بل النفسي والروحي أيضاً، بالإضافة إلى مسؤوليته عن أمور كثيرة أخرى تدخل ضمن مجال عمله. لكنه يختلف عن الشاماني العادي بحيث يتقدم عليه من ناحية درجة التأثير والمفعول. فمثلاً، خلال علاجه لحالة كسر في العظام، بدلاً من الشفاء التدريجي الذي نألفه عند أطباء القبائل (الشامانيين) نرى الكاهونا يرمم العظم فوراً وكأنه لم ينكسر أصلاً! مجرد أن وضع يده وتمتم بعض الكلمات يكون الكسر قد رَمَّ كلياً!

يستطيع هذا الإنسان (الكاهونا) أن يمشي على حمم بركانية سائلة حافي القدمين دون أن يصاب بأذى! كما يستطيع التحكم بالطقس (الرياح، الأمطار.. إلى آخره)! بالإضافة إلى قدرته على التحكم بسلوك الحيوانات (بما فيها الطيور والأسماك)! نادراً ما يتعرض الكاهونا بالأذى تجاه أحد لكن في حالات استثنائية مثل المعارك التي تنشب بين قبائل الجزيرة، لديه القدرة على شحن قطع خشبية بقوة كهربائية غامضة بحيث عندما يرميها على الأعداء يصابون بصعقة كهربائية تؤدي إلى شللهم أو موتهم السريع! وقد يتفق

مجموعة من الكاهونا على التخلص من أحد الأشخاص الأشرار في المجتمع فيقيمون ما يسمونه احتفالية الموت (طقوس الموت) والموجهة لذلك الشخص مما يؤدي إلى موته على الفور! الأمر الأكثر عجباً هو احتفالية الطعام التي يقيمها هؤلاء حيث يجلسون حول وعاء كبير له غطاء ويطلبون نوع الطعام الذي يرغبونه (غالباً نوع معين من السمك) فيبدأ الاحتفال الشعائري المكّرس لهذا الغرض وبعد انتهاء الطقس يزيلون الغطاء عن الوعاء فيجدون الطعام الذي يريدونه وبالكمية المرغوبة! كما يستطيعون خلق كينونات فكرية (جن) أو استدعاء أرواح وتوكيلها بمهام مختلفة وغيرها من أعمال أخرى سوف أذكرها بالتفصيل لاحقاً. خلاصة الكلام: لدى هؤلاء القدرة على التحكم بأي شيء أو حالة أو كائن حسب الرغبة والطلب! ما هي هذه القوة ومن أين يستمدونها وكيف؟ هنا يكمن السؤال الكبير. والجواب على هذا السؤال الكبير يساهم في تغيير نظرتنا كلياً تجاه التاريخ البشري. إنه يثبت بشكل جازم أننا لا نتقدم على القداماء من الناحية الروحية بل بالعكس، نحن من هذه الناحية انحدرنا من القمة إلى الحضيض.

كلمة "كاهونا" هي كلمة مركبة تتألف من كلمتين: "كا" و"هونا" أو "هنا" (مع ضم الهاء). ذكرت في ختام الجزء السابق أنها تعني الفرد قد حقق اندماج مع الـ "كا" Ka وهذه الكلمة الأخيرة تمثل مصطلح مصري قديم يستخدم للإشارة إلى الذات العليا في الفرد. وبالتالي عندما يقول الفرد "كاهنا" أو "كاهن" (حسب لغة المنطقة) يقصد بأن الـ"كا" قد حضرت لديه، أي أصبح يحوز على الـ"كا" أو لديه قدرة التواصل مع الـ"كا"، وبالتالي يمكن اعتبار كلمة "هونا" أو "هنا" بأنها تعني معرفة أو حوزة أحرزها الفرد. لهذا السبب أشرت إلى الكاهونا باسم "أصحاب الحوزة" لأنه يصف حالتهم بشكل دقيق. هذه القدرة التي يتمتعون بها لا تخلق معهم بل يتعلموها عبر الممارسة، وبالتالي فهي معرفة مكتسبة وليست قدرة فطرية، ومن هنا أشرت إلى هذه المعرفة بكلمة "حوزة". لأنهم لا يتوقفون عند حدود معرفة الـ"كا" (النفس العليا) وإدراكها بل يتواصلون معها وهي تتعاون معهم وفقاً لرغبتهم (المشروطة طبعاً بسبب أخلاقياتهم العالية التي تمنعهم من فعل أشياء مؤذية). أما المشعوذين الذين يسودون الجزيرة ويسمون أنفسهم كاهونا فليس لهم أي صلة بالمعنى الذي يمثله هذا اللقب. هناك فرق كبير بين الشعوذة وممارسة الكاهونا وهذا الفرق سيتوضّح مع توالي الفصول.

في العصور القديمة، تم تطوير عدد من الفنون والعلوم ومجالات معرفية مختلفة عبر خطوات بطيئة ومتأنية حتى وصلت حد الكمال. كان علم الرياضيات دقيق جداً لدرجة تجعله كاملاً تقريباً. وكذلك نجد مجالات مثل علم القانون، الطب، الهندسة، الفلك، الفيزياء وعلم الاجتماع وغيرها. جميعها شهدت تقدم مذهل حتى بلغت مستويات راقية. من بين المجالات المعرفية غير المصنفة، واحد فقط تم دفعه إلى قمة الكمال. هذا هو المجال الذي أشير إليه باسم "الحوزة" وتعتبر معرفة سرية تم حراستها بعناية فائقة.



الكاھونا كما يصوره أحد الفنانين

من الصعب تصنيف علم "الحوزة" لأنه مجال يشمل على الأقل ثلاثة علوم مختلفة لم تشهد في عصرنا الحالي أي تطوّر، حيث اثنان منها لازالت اليوم في مرحلتها البدائية وهي "علم النفس" Psychology و"علم القوى الروحية" Psychic Science (العلوم الوسيطة أو العقلية الخارقة). من المفروض أن هذين العلمين يتناولان الإنسان بصفته كائن مركّب، لا تتوقف كينونته عند حدود الجسد الفيزيائي بل تمتدّ إلى مستويات وأبعاد تجاوزية أخرى. "علم النفس" الذي أقصده ليس له علاقة بالعلم السائد حالياً والذي يدرس

حالات الوعي البديلة على أنها حالات ناتجة من عطل أو خلل في وظيفة ذلك الشيء الغامض المُسمى "عقل"، وهذا المجال النفسي يُسمى اليوم "علم النفس الشذوذي" Abnormal Psychology، ويُستخدم لعلاج حالات "انفصام الشخصية".

العلم الذي يشكّل المكوّن الثالث للـ"حوزة" هو "الدين". هذا العلم الذي أصبح اليوم بعيد جداً عن إمكانية بلوغ المرتبة العلمية. والحقيقة المؤسفة هي أنه لازال يزداد ظلاماً يوماً بعد يوم، حيث يتزايد وبائه بمعتقدات وشعائر تستند كلياً على التنظيرات الوهمية بدلاً من علوم الوعي القابلة للتطبيق العملي والفعال. يمثل "الدين" في الحقيقة علم العلاقة القائمة بين الإنسان والكائنات الأسمى أو الأكثر تطوراً منه ويكون لها تأثير مباشر على حياته الدنيوية والعلوية (الظاهرية والباطنية). أما علم الأخلاق وآداب السلوك عموماً فوجب اعتبارها مجالات منفصلة حيث تنتمي طبيعياً إلى الفلسفة وعلم الاجتماع، لكنها رغم ذلك تمنتج مع الدين في معظم الأحيان. علم الـ"حوزة" يغطي ويشمل كافة المجالات المذكورة سابقاً، وهذا يجعله معقّداً جداً لدرجة أن جبل من الكتب لا يكفي لوصفه بشكل كامل، هذا إذا أخذناه بصيغته الصافية وتجاهلنا كل المعتقدات والتنظيرات والمعلومات المظلمة التي أصبح موبوئاً بها الآن وتشكّل عوائق منيعة في مسار الفروع المختلفة التي انحدرت منه. سوف أتحدث عن هذا الموضوع بالتفصيل لاحقاً.

إذاً، سكان هاواي ينحدرون من أصول مصرية! يا للعجب! عندما تعرفت على هذه الحقيقة المذهلة أول ما خطر في بالي هو تلك الرقصة التي تميزن بها فتيات الجزيرة ويسميها الغربيون "بيلي دانس" Belly Dance وهو ذاته الاسم الذي يستخدمونه للإشارة إلى الرقص الشرقي الذي تشتهر به مصر أيضاً. وبالفعل فإن الرقصتين متشابهتين جداً!

الأمر الآخر الذي خطر لي هو الكلمة المشهورة التي يستخدمها سكان الجزيرة للسلام وهي كلمة "أوها"، وذكرتني بالكلمة المعروفة جيداً في الأدبيات السحرية القديمة في بلادنا والواردة في عبارة "ألوحا ألوحا العجل العجل" وتستخدم لمخاطبة الكائنات الغيبية (الجن). يبدو أن الكلمتين "أوها" و"ألوحا" تتحدران من أصل واحد وتحمل في الحقيقة معنى واحد يوحي إلى السلام. بالإضافة إلى أمور كثيرة أخرى تشير إلى وجود ترابط

وثيق بين الشعبين أهمها الأساطير التي تذكر تفاصيل الهجرة من ما وراء البحر الأحمر التي يرويها سكان هاواي. والأهم من ذلك كله هو التعاليم السرية (الحوزة) التي لدى الكاهونا في الجزيرة وهي مطابقة للتعاليم التي كانت سائدة في مصر قبل أكثر من خمسة آلاف سنة.



رقصة فتيات هاواي تشبه إلى حد كبير الرقص الشرقي السائد في مصر اليوم

تم اكتشاف الدليل القاطع على هذه الحقيقة بالصدفة وعبر الكاتب "ماكس فريدمون لونغ" Max Freedom Long (١٨٩٠ - ١٩٧١م) وهو باحث في الظواهر الروحية واشتهر حول العالم من خلال دراساته المتعددة حول التقاليد الدينية والميتافيزيقية لسكان هاواي. في كتابه الأوّل الذي نشره في العام ١٩٣٦م، وهو بعنوان "إعادة إحياء السحر القديم" *Recovering the Ancient Magic* والذي وصف فيه عدد من الظواهر الروحية (تخاطر، استبصار، المشي على النار، الشفاء التلقائي، التحكم بالطقس... وغيرها) والتي استعرضها السحرة المحليين في جزيرة هاواي والمعروفون باسم "كاهونا" (وقد ترجم الكاتب هذه الكلمة بأنها تعني "حراس السر") تحدث "لونغ" عن بعض التفاصيل المتعلقة بشعائر وطقوس هذه الممارسة والمعتقدات التي تتمحور حولها وبالإضافة إلى الأسس المبدئية التي تستند عليها. الكلام الذي أورده "لونغ" في كتابه حول ممارسة الكاهونا لفت انتباه أحد قراء الكتاب، وهو صحفي بريطاني متقاعد يُدعى "ويليام رجينالد ستيوارت" William Reginald Stewart فكتب فوراً إلى "لونغ" زاعماً بأن ما وصفه في كتابه حول منظومة الممارسات السحرية في هاواي تتطابق تماماً مع منظومة ممارسات

سحرية لإحدى قبائل الأمازيغ في جبال الأطلس في شمال أفريقيا، والتي درسها "ستيوارت" بذاته حينما كان شاباً يعمل هناك. تبين أنه ليس فقط المعتقدات والممارسات متشابهة بل الكلمات أيضاً والتي لها ذات المعنى!

ذكر "لونغ" هذه الصدفة المهمة في كتابه الثاني الذي أصدره عام ١٩٤٨م وهو بعنوان "العلم السري وراء المعجزات" THE SECRET SCIENCE BEHIND MIRACLES، فكتب قائلاً:

"... بعد عام من نشر الكتاب الأول في بريطانيا وصلتني رسالة من صحافي بريطاني متقاعد يُدعى "ويليام رجينالد ستيوارت" وما قاله شكّل نقطة تحوّل كبيرة في أبحاثي. عبر عن دهشته وإثارته بعد اكتشافه أن ما وصفته في الكتاب يشبه إلى حد كبير تلك الممارسات السحرية التي كان شاهداً عليها خلال فترة شبابه وأثناء وجوده بضيافة إحدى قبائل البربر في جبال الأطلس في شمال أفريقيا. لشدة دهشته، وجد أن الكلمات التي استخدمها الكاهونا في هاواي هي متطابقة تقريباً مع تلك التي استخدمها سحرة تلك القبيلة الأمازيغية، لكن هناك اختلاف في اللهجة واللفظ. وأضاف أنه بعد قراءة كتابي راح ينبش مذكراته القديمة التي تعود إلى تلك الفترة وبدأ يقارن بين الكلمات الواردة في كتابي وتلك التي كتبها في مذكراته والتي تعود إلى لغة سرية استخدمها سحرة البربر، فوجد مثلاً تشابه كبير بين كلمة "كاهونا" المستخدمة في هاواي وكلمة "كاهونا" المستخدمة لدى الأمازيغ، بينما الشخص الذي تتلمذ على يده هذا الصحفي البريطاني هي ساحرة امرأة وبالتالي أشاروا إليها بكلمة "كاهينا" (أو ربما "كواهينة" مع استخدام تاء التأنيث). بينما الكلمة المستخدمة للإشارة إلى إله معين هي "أكوا" في هاواي و"أتوا" لدى الأمازيغ. وهكذا راح يقارن بين الكلمات حتى وجد تشابه كبير لا يمكن إرجاعه للصدفة.."

".. نحن لا نحري مقارنة بين اللغة الأمازيغية واللغة البولينية التي يتكلمها سكان هاواي إذ جميعنا نعلم أنه ما من صلة تربط بين اللغتين، بل نتناول تلك اللغة السرية التي يتداولها السحرة في كلا البلدين خلال ممارسة أعمالهم الروحية المختلفة. واكتشاف

التشابه الكبير في الممارسة السحرية بين البلدين واللغة السرية التي توصف هذه الممارسة تثبت وجود صلة تربط بين الشعبين. إما أنهما انحدرتا من أصل واحد أو أنه حدث تواصل فيما بينهما في إحدى فترات التاريخ القديم.."

".. خلال وجوده في الجزائر يعمل مستكشفاً عن علامات وجود النفط لحساب شركة ألمانية، هذا بالإضافة إلى عمله صحافي لحساب مجلة "كريستيان ساينس مونيتور"، سمع "ستوارت" الكثير من الحكايا المثيرة عن هذه القبيلة الأمازيغية الغامضة وسحرتها، فقرر أن يأخذ إجازة ووظف مجموعة من الأدلاء وانطلق يبحث عن القبيلة. نجح أخيراً في إيجاد القبيلة وقابل ساحرها وتبين أنها امرأة. بعد مرحلة من الاستجداء والإغراء نجح "ستوارت" في إقناع الساحرة بأن تتبناه كابن لها وهذا شرط لأن يستطيع الاطلاع على معرفتها السرية بالإضافة إلى التدريب العملي أيضاً. كان اسم المرأة الساحرة "لوشهي" وكان لديها ابنة عمرها سبعة عشرة سنة وهي أيضاً تتحضر للاطلاع على معرفة والدتها السرية، فانضم "ستوارت" إلى التدريب.."

".. بدأ التدريب برواية المرأة للتاريخ الأسطوري لقبيلتها، فروت كيف كان هناك اثني عشرة فرع للقبيلة وجميع هذه الفروع لديها ما يكفيها من الكاهونا، عاشوا جميعاً في إحدى فترات التاريخ العتيق في منطقة الصحراء الكبرى لكن هذه المنطقة لم تكن جرداء بل لازالت خصبة وخضراء وملبئة بالأنهار والبحيرات. لكن الأنهار جفت وانتقلت القبيلة بكافة أفرعها إلى وادي النيل. خلال وجودهم هناك استخدموا معرفتهم السحرية لبناء الأهرامات. في تلك الفترة كانوا يحكمون مصر وارتقوا فوق الآخرين بفضل معرفتهم السحرية التي لا يضاهاها أحد.."

".. استمرت الرواية إلى أن ذكرت المرأة كيف تنبأ الحكماء بقدم فترة من الظلام الفكري والروحي الذي سيطغي على العالم بأسره مما سيجعل معرفتهم السرية معرضة لخطر الضياع. كان عليهم الحفاظ عليها لأنها كانت ثمينة بقدر ما كانت سرية، وبالتالي قرر زعماء الأفرع الاثني عشر البحث عن أراضٍ معزولة تماماً فيهاجرون إليها ويعيشون فيها بسلام ومعرفتهم السرية التي ستبقى محفوظة ومُصانة حتى يحين الوقت لعودتها

وازدهارها مرة أخرى. بعد فترة من البحث الاستبصاري وجدوا أنه ما من مكان أنسب من الجزر النائية في المحيط الهادي، واكتشفوا أن هذه الجزر خالية من السكان وتنتظر من يشغلها، فانطلق احد عشرة فرع من القبيلة نحو البحر الأحمر، بعضهم اجتاز البحر وتوجه شرقاً نحو الهند بينما البعض الآخر سار مع السواحل الأفريقية ثم توجه إلى جزيرة مدغشقر. تابعت المرأة في سردها الرواية قائلة أنه بعد سنوات عديدة ضاعوا جميعاً ولم نعد نسمع عنهم شيئاً. أما الفرع الذي بقي في هذه البلاد والذي تتحدر منه "لوتشهي" فقد قرر التوجه غرباً للاستقرار في جبال الأطلس. لزالوا يعيشون هناك عبر قرون طويلة ويحافظون على المعرفة السرية ويستخدمون ثمراتها السحرية عندما يلزم الأمر، لكن راح الكاهونا يتناقصون عبر السنوات ومع مجيء العصر الحديث أصبحوا منقرضين تماماً ولم يبقى سوى واحد فقط وهو هذه المرأة التي تروي القصة.."

".. وجد ستيوارت هذه القبيلة مضيافة ونظيفة ويتمتع أفرادها بدرجة عالية من الذكاء ولديهم ثقافة راقية وعريقة جداً. كانوا يتكلمون لغة مختلطة مألوفة لدى قبائل الأمازيغ عموماً، لكن عندما يتعلق الأمر بالحديث عن تقليدهم السحري العريق يتم استخدام لغة أخرى مختلفة تماماً لأنها الوحيدة التي تحوز في طياتها على مصطلحات مناسبة للإشارة إلى العناصر التي يتكون منها الإنسان والتي تدخل في استنهاض القوى السحرية.."

".. مع مرور فترة من الزمن كان ستيوارت قد تعلم الاسس الفلسفية للسحر. وقد استعرضت معلمته الكثير من معجزاتها السحرية مثل الشفاء السريع للمرضى والتحكم بالطيور والوحوش والأفاعي وحتى الطقس. كل شيء كان يسير على ما يرام، والتعليم النظري قد تم وأن أوان التعليم العملي، لكن في إحدى الأيام حصل عراك بين فريقين متحاربين في الوادي أسفل مخيم البربر وبدأ إطلاق النار فيما بينهم. فجأة، جاءت رصاصه طائشة من المجهول لتصيب المرأة في قلبها فماتت في الحال.."

".. هذا الحادث المفاجئ أدى إلى نهاية غير متوقعة للدورة التدريبية التي يخوضها ستيوارت. فما كان عليه سوى لملمة أغراضه وملاحظاته وودع اخوته بالدم وانطلق عائداً إلى عمله السابق. بعدها بثلاثين سنة قرأ كتابي واكتشف التشابهات بين المصطلحات

التي استخدمها الكاهونا في هاواي وتلك التي دونها في ملاحظاته خلال وجوده بضيافة القبيلة البربرية.."

".. أما من ناحية سكان هاواي فكانت روايتهم مكمله لتلك التي روتها لوتشهي لستيوارت. تروي كيف كان سكان هاواي يعيشون يوماً في بلاد بعيدة جداً. اكتشفوا جزر هاواي العذراء عبر قوة الاستبصار فانطلقوا للبحث عنها. بدأت رحلتهم مع اجتياز البحر الأحمر وهذه النقطة الأخيرة تثبت حقيقة أصولهم المصرية. وتتابع الرواية كيف كانوا يتنقلون بين البلاد المختلفة ثم اجتياز المحيط بواسطة مراكبهم المزودة، وبعد إيجاد جزر هاواي من قبل الكشافيين عادوا لييشروا جماعتهم بخبر الاكتشاف. فبدأت الهجرة الجماعية إلى هناك مصطحبين معهم أنواع مختلفة من الأشجار والنباتات والحيوانات. بعد الاستقرار في جزر هاواي توقف الإبحار كلياً إلى الخارج وبقوا معزولين تماماً لفترة طويلة من الزمن.."

يوجد الآن في جزر المحيط الهادي عشرة لهجات مختلفة للغة البولينية وهي منتشرة بين نيوزيلاندا وهاواي وتاهيتي وساموا والجزر الصغيرة الأخرى المتناثرة في المحيط. هذه الحقيقة وحدها تؤكد رواية الكاهونا حول الأفرع الاثني عشر، حيث عشرة أفرع أكملوا مسيرتهم إلى جزر المحيط الهادي بينما واحدة نزلت باتجاه مدغشقر شرقي أفريقيا والأخيرة توجهت غرباً نحو جبال الأطلس في شمال أفريقيا.

بسبب المواقع النائية لهذه الجزر استطاع سكانها حفظ معتقداتهم وممارساتهم لآلاف السنين دون أي تغيير أو مؤثرات خارجية. الأمر المذهل بخصوص أساطير هؤلاء، خصوصاً في هاواي، هو أنها تشمل معظم روايات العهد القديم (مع اختلاف أسماء الأبطال طبعاً) وهذا أدهش المبشرين الأوائل الذين سكنوا في هاواي. تحدثت الأساطير عن قصة الخلق وعن آدم وحواء وجنة عدن، وكذلك قصة نوح والطوفان، وحتى قصة يونس والحوث. مع العلم أن هذه القصص كانت منتشرة بين حضارات الشرق الأوسط مثل الكلدانيين والبابليين. بما أن هذه القصص هي عبارة عن حكايا رمزية لمعرفة

باطنية فهي تثبت وجود علاقة وثيقة بين سكان هاواي وحضارات الشرق الأوسط القديمة.



هل يُعقل أن يأتي اسم هاواي من لغة مصرية قديمة قريبة من الكلمة العربية (السريانية/الآرامية) "هواي" والتي تعني: ما تتوق إليه النفس وتتمناه. إذا كان كذلك فإن الاسم يأتي مناسباً لقصة الهجرة الطويلة إلى هذه الجزر.

الحوزة السرية

التاريخ المعروف والمتسلسل لهذه "الحوزة" السرية التي يحتفظ بها الكاهونا يمثل فصل رائع ومذهل يبدأ من أزمنة قديمة جداً ويتسلسل تدريجياً حتى يصل زمننا الحالي. العلم الرسمي لا يعترف بهذا المجال العلمي أصلاً فكيف له أن يتتبع تاريخ منشأه وسبل انتشاره عبر العصور. لهذا السبب لا يُعرف سوى القليل عن أصول هذه "الحوزة". لكن الدلائل أصبحت واضحة على أي حال بأن قسماً كبيراً من هذا التقليد ظاهر بوضوح في أقدم السجلات المكتوبة في مصر، وهذا يشير إلى أن "الكهنة" أو "الكاهونا" (أصحاب

الحوزة) لهم علاقة وثيقة بتلك البلاد، حيث إما أن أصولهم تعود إلى هناك، أو كانوا على تواصل وثيق مع شعوبها (مع أن الدلائل تؤكد الفرضية الأولى).

كما حالة الـ"حوزة" التي تشمل صيغة مُبسّطة لعلمها السريّ إلى جانب صيغة أخرى أكثر تعقيداً ومحروسة بعناية ومخصصة للأكثر نكاهاً، نجد الأمر ذاته في مصر القديمة التي كان لديها صيغتين أيضاً، حيث هناك الصيغة "الظاهرة" من هذا العلم والتي قُدمت بطريقة بسيطة جداً تجعل أقلّ الناس فطنة قادرين على استيعابها والاستفادة من بعض منافعها، بينما الصيغة "الباطنية" بقيت محجوبة.

لقد احتفظ بالعناصر الباطنية أو المبدئية للـ"حوزة" ضمن نطاق المنظومة الكهنوتية المتوارثة المُشار إلى منتسبها باسم الـ"كاهونا" (الكهنة)، واستمرّ المصريون في تناولها داخل المعابد من جيل إلى جيل، كلامياً وليس كتابةً. لكن من أجل المحافظة على صيغة صحيحة تمثّل مرجع موثوق لمنهج الـ"حوزة" بحيث يبقى صامداً عبر الأجيال، تم ابتكار لغة خاصة لها وظيفتين مختلفتين، أي توفّر معنيين بنفس الوقت: ظاهري وباطني، لأي كلمة أو جملة أو إفادة واردة في التعاليم السرية. الإفادات التي تشملها هذه "اللغة المقدّسة" شكّلت شيفرة لا يمكن كسرهما إلا إذا كان الفرد سابق الإلمام بجزء كبير من علم الـ"حوزة" بالإضافة إلى قائمة طويلة من الرموز المرادفة للمفردات المُستخدمة للإشارة إلى عناصر أساسية في هذه المنظومة المعرفية.

أصبحت الدلائل واضحة على أن "الكاهونا" وشعوبهم البولينية شكّلوا عرق منحدر من مصر والشعوب الشمال أفريقية الأخرى الذين كانوا على صلة وثيقة معهم أو يشكلون جزءاً منهم أصلاً. والدلائل واضحة أيضاً على أنهم، في إحدى الفترات التاريخية الغابرة، غادروا تلك المنطقة (مصر) خلال هجرة طويلة وشاقة بحثاً عن موطن جديد في ما أصبحت معروفة اليوم بجزر "بولينيزيا" Polynesia المتناثرة في المحيط الهادي. في موطنهم الجديد، حيث راحوا يستخدمون "اللغة السرية" للتواصل، ازدهروا لآلاف السنين، محافظين على تماسك هذه اللغة والمعرفة السرية التي صيغت لحجبها.

في مواطنهم الجديدة في جزر المحيط الهادي، لم يستخدم "الكاهونا" أي نوع من الكتابة، معتمدين كلياً على الذاكرة لحفظ الـ"حوزة" بصيغتها السليمة والنقيّة. لكن "الكاهونا" الذين بقوا في الوطن الأم (الكهنة المصريين) سمحوا بكتابة تعاليم الـ"حوزة"، وهذه الكتابة لم تُصاغ بلهجة "اللغة السريّة" بل تم ترجمة المبادئ الأساسية بلا استثناء إلى لغة مختلفة كلياً. وهذا أيضاً ساهم في حجب عيون الفضوليين عن الكلمات التي صيغت أصلاً لكي تحمل معنيين مختلفين (ظاهري وباطني)، وهذا جعله مستحيلاً على أي فرد خارجي (غير مُنتسب) أن يكسر الشيفرة.

الأعضاء المنتسبون الذين بقوا في الشرق الأوسط بعد هجرة أسلاف البولينيبيين سحوا إلى صياغة مُعظم الـ"حوزة" على شكل كتابة محجوبة. وقد خرجوا بعدها بما أصبح يُعرف بالكتابات "الغنوصية" Gnostic (العرفانية) بالإضافة إلى معظم العناصر التي يتألف منها العهدين القديم والجديد (الإنجيل)، حيث اكتُشف تطابق مُذهل بين قصة الخلق وجنة عدن وآدم وحواء... وبين أساطير "الكاهونا" في بولينيزيا.

لقد أُجريت أبحاث مطوّلة في بولينيزيا وخرجت في العام ١٩٣١ باكتشاف وجود منظومة تعليمية سرّية مشابهة للـ"حوزة" المصرية، والنجاح في تحقيق كسر جزئي للشيفرة بحيث ساعد على فكّ ألغاز قسم من التعاليم السريّة. على أي حال، بقي الأمر حتى العام ١٩٥٠ قبل التعرّف على التعاليم المطابقة لتلك الموجودة في الكتابات الغنوصية والعهد الجديد. رأوا في ذلك الوقت بأنه من خلال ترجمة هذه الكتابات (الشرق أوسطية) إلى إحدى اللهجات البولينيزية، خصوصاً تلك السائدة في جُزر "هاواي"، أصبح ممكناً إظهار التعاليم الباطنية إلى النور باستخدام نظام التشفير القديم.

تبيّن أن التعاليم الباطنية للكتابات "الغنوصية" والديانات الشرق أوسطية التي جاءت بعدها تُشكّل جزءاً من الـ"حوزة" البولينيزية المُخصّصة للأعضاء المنتسبين للحلقة السريّة. معظم الحكايا الرمزية الواردة في النصوص المقدسة هي أمثلة رائعة على الطريقة التي استُخدمت بها المعلومات المشفّرة عبر العصور. المعنى السطحي البسيط كان مخصصاً للحشود الأقلّ ذكاءً حيث كانت بالنسبة لهم حكماً يستمدون منها الدروس

البسيطة، بينما المعنى الباطني العميق المحجوب بالتشفير لا يضاهاه أرقى المستويات التي بلغت أبحاث علم النفس الحديث فحسب بل كان أكثر رقياً وشمولاً حيث يتضمّن عدد من العلوم الأخرى أيضاً مثل العلوم العقلية (سُبُل استنهاض القوى الخارقة). وبكل تأكيد هذا المستوى الشمولي هو ما عجز علم النفس العصري عن بلوغه أو التفكير به أصلاً. فهذا الأخير لا يعترف حتى الآن بوجود "علوم عقلية" تساعد على استنهاض القوى الخارقة.

تتوافق تعاليم الـ"حوزة" مع كل ما نعرفه اليوم عن قسيمي العقل "الواعي" و"اللواعي"، لكنها تقدم الكثير من المعلومات الإضافية عن طبيعتهما وقوّتهما والاستثنائية. لقد أضافت هذه التعاليم قسم آخر أكثر سموماً هو "الوعي الخارق" وبيّنت خواصه العجيبة أيضاً. أما بالنسبة للحالات العقلية غير العادية فتوفّر الـ"حوزة" نوراً جديداً لكنه بعيد كل البعد عن اعتبارها "أمراض عقلية" كما يزعم علم النفس العصري. وعندما يصل الأمر إلى شرح وتفسير الأمور المذهلة التي كشفت عنها "العلوم العقلية" (الوسيطية) خلال دراسة الظواهر الروحية وفوق العادية عموماً، توفّر الـ"حوزة" التفسيرات الوحيدة التي يمكن إيجادها لشرح آلية عملها جميعاً، ابتداءً من التخاطر وصولاً إلى التحريك عن بُعد [PK]، من التنبؤ بالمستقبل والسايكومتري وصولاً إلى تجسيد مجسمات شبحية.

بسبب السهولة التي تمكّن أي فرد من الاطلاع على ما تم اكتشافه من أغاز حول الـ"حوزة" (التعاليم السريّة) حتى لو لم يكن لديه أي معرفة بلغة هاواي، ليس هناك أي عُذر يجعله يرفض النظر إلى الدلائل والبراهين المهمة جداً المتعلقة بالعلوم التي تشملها الـ"حوزة"، أو الضوء الجديد الذي تلقّيه على المفاهيم الدينية، خصوصاً الشرق أوسطية، وكذلك الشرقية التي تفرّعت منها اليوغا مثلاً.

الأمر المؤكّد هو الصعوبة التي سيواجهها أولئك الذين نشئوا على معتقدات دينية تفرّعت من ذات الأصل الذي انحدرت منه تعاليم الـ"حوزة" لتقبّل إمكانية أن ما نشئوا على اعتقاده بأنه يمثل الحقيقة المطلقة لا يمثل في الواقع سوى قشور خارجية لحقائق باطنية. أولئك الذين يعتقدون بأنهم قاموا بكل ما توجب عليهم من أجل نيل الخلاص في الآخرة

قد ينتكسون بعد معرفتهم لحقيقة وجود "تعاليم سرية" وجب استيعابها أولاً قبل إحراز الخلاص الكامل والحقيقي.

في النصوص الغنوصية (العرفانية) يمكن إيجاد طيف واسع ومتنوع من محاولات تدوين عناصر "حوزة" أو غيرها من تعاليم سرية مشابهة لكن بشكل مُشفر وباطني. أما بخصوص الأصول الأولى لمنظومة التشفير هذه (صياغة نصوص تحمل معنيين: ظاهري وباطني) فلا يمكننا تجاهل حقيقة أنه في الأزمنة المصرية القديمة حيث كانت التعاليم السرية ("حوزة") تخضع للتحريف خلال تشفيرها، كان هناك معرفة سرية محفوظة للمنتسبين إلى حلقات ضيقة وتُكشف أمامهم فقط في الحرم الداخلي للمعبد. وهذا التقليد لازال قائماً اليوم عند اليهود، حيث "حجاب الحرم" يرمز إلى الستار الفاصل بين التعاليم الباطنية والظاهرة.

انحدار الحضارة الإنسانية

تناغماً مع الإيقاع الدوري للسنة العظمى

جاء موعد الظلام الفكري كما تتبأ به الكاهونا بالضبط خلال وجودهم في مصر والتي مثلت سبب رئيسي لهجرتهم. راحت تتلبد غيوم الجهل والانحطاط فوق سكان الأرض عبر توالي العصور، وعمت الفوضى وظهرت الممالك الدنيوية المتحاربة في كل مكان. تغلب المحاربون الشباب على الحكماء الكهال وساد السيف على حساب الحكمة، وحصل الذي حصل في التاريخ. لكن يبدو أن الإجراء الذي اتخذه الكاهونا القداماء في الهجرة إلى جزر نائية لم ينجح في حماية "حوزة" لديهم. مهما اتخذ الإنسان اجراءات وقائية لكن لا مفر من القدر المحتوم. لا بد للإيقاع الكوني أن ينفذ مهما كانت الأحوال. يعتبر الإيقاع مبدأ كوني ثابت، وبالتالي لا بد من أن يشمل الجميع مهما حاولوا تجنب تأثيراته. يبدو أن العصر الذهبي للبشرية قد انتهى وبدأت مرحلة الهبوط.. الانحدار التدريجي نحو الحضيض.. نحو عصر الظلمات. هكذا تجري الأمور في الكون. كل شيء محكوم بإيقاع.. صعود وهبوط.. المرتبة البشرية ليست استثناء. معظمنا يجهل

حقيقة أن الحضارة الإنسانية تسيّر وفقاً لدورة إيقاعية تتراوح مدتها بين ٢٦ و ٢٤ ألف سنة. هذا ما أكده المصريون القدامى وكذلك الهندوس والصينيّين والإغريق وغيرهم. وفقاً للمراجع الإغريقية، هذه الدورة الكونية تُسمى السنة الكبرى وهي مقسومة إلى أربعة مراحل رئيسية: العصر الذهبي، العصر الفضي، العصر البرونزي، وأخيراً العصر الحديدي. سمى الهندوس هذه المراحل "يوغاس" وذكروا أنها أربعة. وفقاً لهذا المفهوم، الحضارة الإنسانية تمر عبر ١٢ ألف سنة صعوداً نحو قمة المجد والعظمة والازدهار والارتقاء الروحي، ومن ثم ١٢ ألف سنة هبوطاً نحو حضيض الجهل والتخلف والانحطاط والدنيوية المقيّنة.

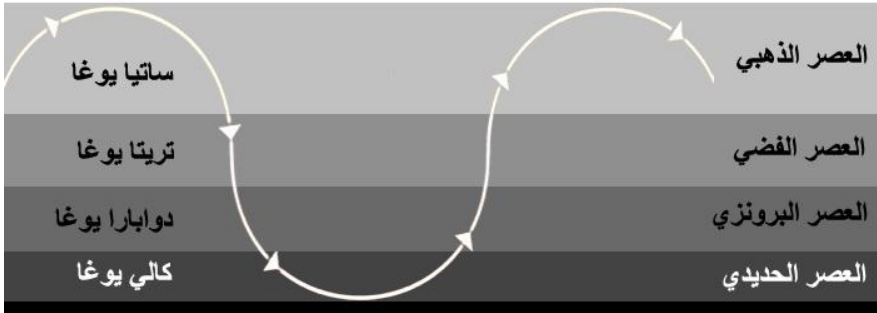
ملاحظة: في الحقيقة لا نستطيع تكوين صورة واضحة دون المرور على موضوع مهم جداً ورغم أهميته الكبرى إلا أنه لا ينال ما يستحقه من الاهتمام في الأوساط الثقافية أو حتى العلمية الأكاديمية. إنه الإيقاع الدوري الذي يحكم الحضارة الإنسانية حيث هي في حالة دائمة من الصعود والازدهار ثم والهبوط والانحدار، وذلك عبر دورة زمنية مؤلفة من ٢٤ ألف سنة ويشير إليها القداماء بالسنة الكبرى. دعونا نتعرف على هذا الموضوع ونألفه جيداً قبل العودة إلى موضوع الكاهونا في جزر هاواي.

.....

الدورات الزمنية

الطبيعة الدورية لمسيرة الحضارة الإنسانية

بعكس ما يسلم به المنطق العلمي العصري بخصوص مسيرة تاريخ الحضارة البشرية (التطور الدارويني) والذي يزعم بأنها تتقدم بشكل تدريجي من الحضيض نحو قمة، كان القدماء يؤمنون بالدورات الزمنية الإيقاعية لتاريخ الحضارة الإنسانية، أي كل صعود نحو القمة يقابله سقوط نحو الحضيض لكن يتبعه صعود مرة أخرى ثم سقوط.. وهكذا. وهذه المسيرة الإيقاعية صعوداً وهبوطاً تجري عبر أربعة مراحل مختلفة وكل مرحلة لها ميزاتها الخاصة، ورغم تشابه هذه الميزات بين كافة الثقافات التي تناولتها إلا أن أسماء تلك المراحل كانت مختلفة بين كل ثقافة وأخرى. أشار الإغريق مثلاً إلى هذه المراحل أو العصور كما يلي: العصر الذهبي، العصر الفضي، العصر البرونزي، وأخيراً العصر الحديدي. أما الهندوس فقد أشاروا إلى مجموعة هذه العصور باسم "يوغاس" وأشاروا إليها بالأسماء التالية: ساتيا يوغا Satya Yuga، تريتا يوغا Treta Yuga، دوابارا يوغا Dvapara Yuga، كالي يوغا Kali Yuga. (الشكل التالي)



خط بياني لمسيرة الحضارة الإنسانية التي تتحرك صعوداً وهبوطاً عبر أربعة مستويات

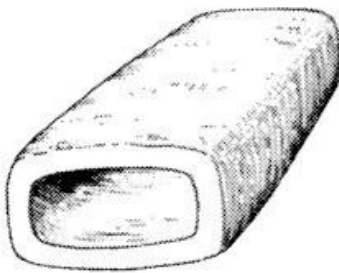
إن العقيدة التي يستند عليها كل من علم الآثار وعلم المستحاثات تتمحور كلياً حول نظرية التطور لداروين Darwin التي تجزم بأن كافة التطورات في الطبيعة بما فيها الإنسان تبدأ من مستوى بدائي متدنّي ثم تتطور بشكل تدريجي نحو مستوى متقدم وراقي.

لكن في العقود القليلة السابقة ظهرت تقنيات جديدة مثل التقويم الزمني عبر الكربون المشع carbon dating، وخارطة الذي أن أي DNA mapping، والتقويم بواسطة قياس الراديو radiometric أو الأرجون argon، والتي سمحت لنا بتحديد تاريخ القطع الأثرية بشكل دقيق مما أدى إلى ظهور متناقضات كثيرة للنظريات الداروينية.

مثلاً، كيف يمكننا التوفيق بين نظرية داروين القائلة بأن الإنسان بدأ يتطور من القرد قبل ٢٠٠ ألف سنة مع قطعة نقدية انتشرت من أعماق الأرض والتي يعود تاريخها إلى ما بين ٢٠٠ ألف سنة و ٤٠٠ ألف سنة؟! فيما يلي مجموعة أمثلة على حالة التناقض الفاضحة للمنطق الدارويني:



هذه القطعة النقدية، والتي انتشرت خلال حفر بئر ارتوازي بالقرب من لاون ريدج Lawn Ridge في إلينوي بأميركا، وجدت على عمق حوالي ٣٥ متراً تحت سطح الأرض. ووفقاً للمعلومات المأخوذة عن هيئة المسح الجيولوجي في مقاطعة إلينوي، فإن الرواسب التي كانت تحيط بالعملة يصل عمرها لما بين ٢٠٠.٠٠٠ و ٤٠٠.٠٠٠ سنة.



في العام ١٩٦٨م، أعلن كل من "و. درويت" Y. Druet و"ه. سالفاتي" H. Salfati عن اكتشاف أنابيب معدنية شبه بيضوية ومتطابقة في الشكل لكن أطوالها مختلفة، وذلك في طبقة طبشورية تعود للمرحلة الكريتاسية Cretaceous. وقدّر عمر هذه الطبقة، التي تم نبشها في مقلع حجارة في "سانت جين دي ليفيت" في فرنسا، بما لا يقل عن ٦٥ مليون سنة.

مطرقة تعود إلى أكثر من ٧٠ مليون سنة



في حزيران مكن عام ١٩٣٤م، اكتشف أفراد عائلة "هاهن" Hahn قطعة من الصخر ويبرز منها قطعة من الخشب. خلال محاولة شقّ الصخرة بواسطة إزميل لمعرفة ما بداخلها، أزيل بعض من الفتات الصخري مما سمح برؤية الشيء الذي يقبع داخل الحجر، عبارة عن رأس حديدي لمطرقة! سُلمت هذه القطعة الحجرية الغريبة من الصخور الأرضية بجانب أحد الشلالات في منطقة "ريد كريك" Red Creek، تكساس. هذا الموقع الصخري يمثل جزء من منطقة جغرافية تُسمى "إدواردز بلاتو" Edwards Plateau (هضبة إدواردز)، وقد خضعت للمسح الجيولوجي من قبل حيث تم تحديد عمر الطبقات الصخرية هناك بأنها تعود للمرحلة الكريتاسية Cretaceous، وتحديدًا إلى أكثر من ٧٠ مليون سنة.

جرس نحاسي يعود إلى ٣٠٠ مليون سنة



في العام ١٩٤٤م، أسقط فتى عمره ١٠ سنوات، اسمه "نيوتن أندرسون" Newton Anderson، قطعة من الفحم في قبو منزله، فانكسرت كتلة الفحم لتكشف عن الكنز القابع بداخلها. هذه الكتلة من الفحم تم قلعها من منجم بالقرب من منزل الفتى، في مقاطعة "أبشور" Upshur، فرجينيا الغربية، ومن المفروض أن يكون عمر هذه الطبقات الفحمية التي يتم حفرها أكثر من ٣٠٠ مليون سنة!

مزهريّة معدنيّة تعود لأكثر من ٦٠٠ مليون سنة

ورد تقرير بعنوان "تحفة من عصر غابر" A Relic of a Bygone Age في المجلة المشهورة "ساينتي فيك أميركان" Scientific American (إصدار ٥ حزيران، ١٨٥٢م)، يقول:

تم إحداث تفجير كبير لصخرة كبيرة في منطقة "ميتينغ هاوس" في بلدة "دورستستر" Dorchester. وقد بعثر هذا التفجير كتل ضخمة من الحجارة، وبعض الشظايا الصخرية المنسوفة كان وزنها عدة أطنان، وتبعثرت رشقات الحصى والحجارة في كافة الجهات. من بين هذه القطع المبعثرة تم التقاط مزهريّة معدنيّة مفلوقة إلى قسمين بفعل التفجير. بعد جمع الأجزاء ببعضها تشكّل مزهريّة على شكل جرس، ارتفاعها ٤.٥ بوصة، وعرضها عند القاعدة ٦.٥ بوصة وعند القمة ٢.٥ بوصة، وبلغت سماكتها ثمن

البوصة" .. والمعدن الذي تتألف منه هذه المزهريه يشبه لون الزنك، أو سبيكة معدنية مشابهة، ويبدو أن هناك نسبة كبيرة من الفضة..".

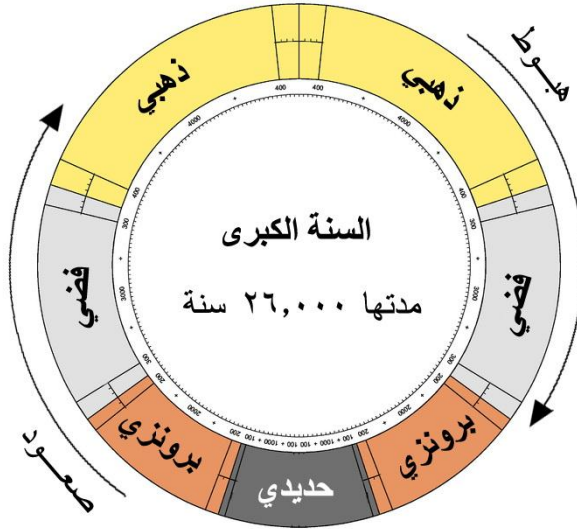


Photo courtesy Frontiers of Reality

المزهريه المعدنية التي تعود إلى عصور جيولوجية غابرة. حسب ما توصل إليه مكتب المسح الجيولوجي في منطقة بوسطن/ دورشستر، فإن هذه المنطقة الصخرية التي نبشت منه تعود للعصر ما قبل الكامبري، أي يبلغ عمرها أكثر من ٦٠٠ مليون سنة. وحسب ما نعرفه عن تلك الفترة الجيولوجية السحيقة، فإن الحياة لازالت في طور التشكل على سطح كوكب الأرض.

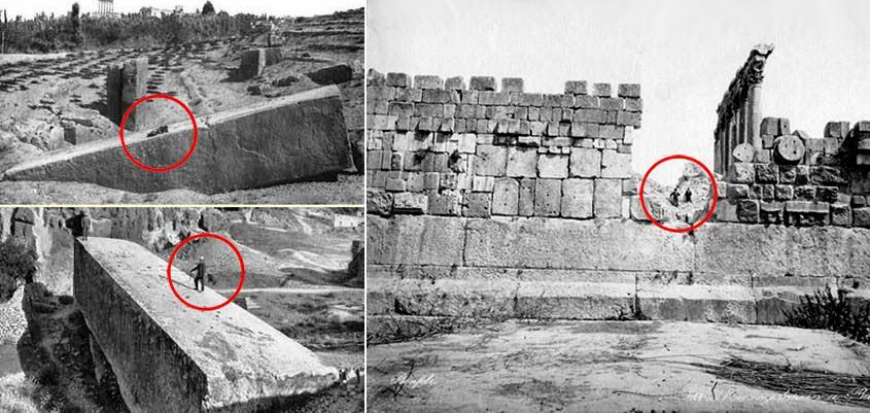
ملاحظة: للمزيد من الحقائق الأثرية والجيولوجية والتاريخية المتعلقة بماضي الإنسان وأصوله أنظر في كتاب "الأصول الغامضة للإنسان" (للكاتب نفسه).

إذاً، إن عمر العالم المادي لا يسير وفق خط مستقيم يرتقي تدريجياً بل يسير وفق دورات متكررة، أي صعود وهبوط. كافة الحضارات القديمة، مثل حضارات ما بين النهرين وحضارة المايا والأزتك في أمريكا الجنوبية وكذلك الحضارة المصرية واليونانية والصينية واليابانية.. إلى آخره، جميعها تحدثت عن عصر ذهبي سابق وعصور انحطاط لاحقة. أشار الإغريق إلى هذه الدورة الزمنية باسم "السنة الكبرى" The Great Year، بينما الثقافة الهندية العريقة أشارت إلى هذه الدورة الزمنية باسم "عصور اليوغا Yuga cycles". عبر توالي هذه العصور الدورية ارتقى الكائن البشري إلى قمة الحضارة والتطور ثم سقط في قاع الانحطاط والتوحش. حاز الإنسان خلالها على أرقى العلوم وحقق أروع الإنجازات ثم عاد وفقد تلك العلوم وسيطر عليه الجهل والهمجية المدمرة لكل شيء جميل.

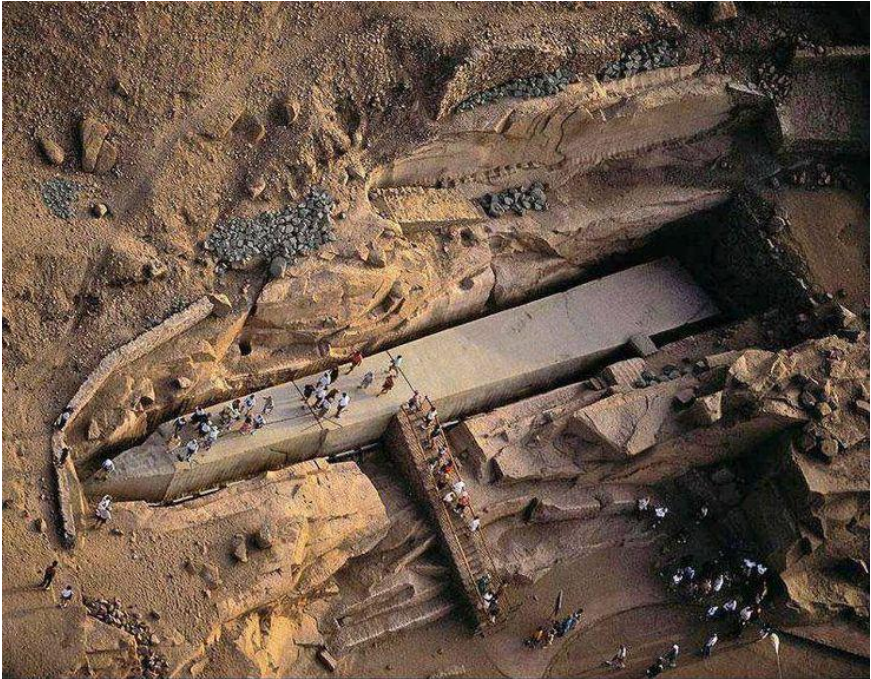


أشار الإغريق إلى هذه الدورة الزمنية باسم "السنة الكبرى" *The Great Year*، ويبلغ مدتها ٢٦ ألف سنة تقريباً (وفق المراجع الفلكية وتغير مواقع النجوم القطبية، بالإضافة إلى تغيير البرج الصاعد كل ٢١٦٦ سنة تقريباً)، هذه السنة الكبرى مقسومة إلى قسمين: ١٣ ألف سنة صعوداً و ١٣ ألف سنة نزولاً. مع العلم أن المراجع اليونانية العديدة اختلفت حول مدة هذه السنة الكبرى.

أصبح واضحاً أن تاريخ الحضارة الإنسانية يسير وفق دورات زمنية متكررة وليس وفق خط مستقيم يرتقي تدريجياً. إذا لم يكن الأمر كذلك فكيف إذاً نفسّر العجائب الأثرية العديدة القائمة أمامنا مثل الأهرامات التي يعجز أعظم مهندس عمراني عن تفسير كيفية تشييدها، وكذلك الحال مع الكثير من المواقع الأثرية حول العالم التي عجز المتخصصين عن تفسير بعض مظاهرها الهندسية وكذلك الكيميائية والجيولوجية التي تعتبر شواذ علمية. هذا بالإضافة إلى العديد من الشواذ الأثرية الأخرى التي تم نبشها أو الكشف عنها عبر تاريخ علم الآثار المعاصر والمنافية تماماً للمنطق العلمي المنهجي، كالأمثلة التالية:



حجارة البناء العملاقة في بعلبك والتي لازالت تمثل حتى اليوم معجزات هندسية يستحيل تفسيرها وفق المنطق العلمي الحالي. لكن مهما كان الأمر فإنها تكشف عن تقدم علمي راقى جداً.



المسلات المصرية كانت تُستخرج من المقالع قطعة واحدة رغم حجمها العملاق! هذه العملية تتطلب درجة راقية من التطور العلمي والمعرفي والتقني.



إن إنجازات عمرانية كهذه تتطلب معرفة هندسية راقية وتفوق مستوى معرفتنا الحالية بكل تأكيد. أما التماثيل العملاقة المنحوتة من حجر واحد فتتطلب درجة عالية من المستوى الفني إلى جانب المعرفة الهندسية



العملاقة في حجم الحجارة هي إحدى جوانب هذه المعجزات العمرانية حيث هناك جوانب كثيرة أخرى أهمها الأشكال المختلفة لحجارة البناء المترابطة بطريقة فنية أنيقة، وهذه أيضاً تعتبر معجزة عمرانية بكل المقاييس.



لكن يوجد جانب آخر أيضاً في هذه المعجزات العمرانية وهو السمة السيولية التي تبديها بعض حجارة البناء! أي بمعنى آخر، يبدو أن هذه الحجارة كانت عبارة عن عجينة اسمنتية طرية قبل أن تجف وتتصلب!



معظم الحجارة في موقعي ساكسايهوامان وأولانتايتانبو في أمريكا الجنوبية تظهر بوضوح أنها كانت في حالة سيولة قبل أن تتحجر! وقد خضعت لدراسات مكثفة من قبل الكثير من الباحثين المتخصصين وتوصلوا جميعاً إلى هذا الاستنتاج المثير!

يبدو واضحاً أن تلك الحضارات القديمة توصلت إلى وسائل تمكنهم من تليين الحجارة بحيث يحولونها إلى عجائن اسمنتية فيستطيعون بعدها أن يصيغون الشكل الذي يريدونه من الحجر. هذه التقنية العجيبة لازالت بعيدة المنال عن تقنياتنا العصرية! الأمر لا يقتصر على الحجارة بل على المعادن أيضاً. لطالما نبش علماء الآثار قطع معدنية غريبة لازالت مجهولة وفق التصنيف العلمي وهي تتراوح بين معادن خفيفة شبيهة للألمنيوم وبين معادن ثقيلة مشابهة للحديد الصلب. أشهر مثال على تطور صناعة السبائك المعدنية هو عواميد دلهي الشهيرة في الهند وهي مصنوعة من معدن الحديد لكنها لا تصدأ أبداً رغم العصور المديدة التي مرّت عليها!



أحد عواميد دلهي الحديدية التي لا تصدأ أبداً

هذه العواميد موجودة في مناطق مختلفة من الهند لكن أشهرها هو عمود دلهي. تاريخ تشييدها غير معروف لكنها وردت في مراجع تعود إلى حوالي ١٦٠٠ سنة، وقد عجز علماء المعادن البريطانيين عن تفسير كيفية صناعتها. تمثل هذه العواميد الحديدية كابوس فعلي بالنسبة للعلماء حيث تبين أنها مصنوعة من فلذات حديدية عالية النقاوة. المصدر الوحيد لهذه الفلذات النقية هو القمر! وقد تم اكتشاف هذه الحقيقة بعد جلب عينات من الصخور القمرية في بداية السبعينات من القرن الماضي. أصبحنا الآن أمام خيارين يمثل كل منهما كابوس بالنسبة للعلم المنهجي، المصدر الفضائي لهذا النوع من الحديد، أو وجود تقنية متقدمة لازال العلم الحديث يجهلها تماماً!

من بين العجائب التقنية في علم المعادن هناك ما يسمى السيف الدمشقي الذي كان يُصنع من معدن الحديد لكن بعد معالجته بطريقة خاصة لازالت تمثل لغز كبير يعجز العلم الحديث عن التوصل إليه رغم محاولات عديدة وباستخدام وسائل مخبرية متطورة.



الحديد الدمشقي هو نوع من الحديد الذي كانت تُصنع منه نصال السيوف. أشهر ميزاته هي تلك السمة العجيبة التي تظهرها النصال المعدنية للسيوف والتي توحي بطبيعة

سيولية للمعدن فيتخذ هيئة رخامية (الأشكال التالية). عُرف عن هذه النصال بأنها قاسية جداً وشديدة التماسك رغم انعدام سماكتها تقريباً مما يحافظ على حدة شفرتها الدائمة.



المظهر الرخامي لمعدن السيف الدمشقي الشهير. كيف تمكن القدماء من صناعة هذا المعدن العجيب قبل قرون بينما عجز العلم الحديث عن ذلك!؟

هذه الأمثلة السابقة هي مجرد عينات من ذلك الكم الهائل من الدلائل التاريخية التي تثبت مدى تقدم العلوم والمعارف القديمة (أنظر في كتاب "العالم قبل الطوفان" للكاتب نفسه)، لكن رغم ذلك كله تبقى الدلائل السابقة أقرب للاستيعاب من الأمثلة التالية التي هي دلائل تاريخية أذهلت الباحثين حيث تثبت دون أدنى شك أن القدماء عرفوا تقنية الطيران والملاحة الجوية!

رسومات لا يمكن رؤيتها سوى من السماء

رسومات نازكا موجودة في البيرو، أمريكا الجنوبية، وقد تمَّ اكتشافها لأول مرة عندما حلقت فوقها الطائرات في العشرينات من القرن الماضي. قبل هذه الفترة لم ينتبه سكان المنطقة إلى وجودها إطلاقاً.



طالما أن هكذا رسومات عملاقة موجودة على الأرض (قبل آلاف السنين) فلا بد من سبب منطقي لصياغتها، وهذا السبب لا بد من أن له علاقة بالتحليق في السماء لأنه دون هذه العملية ليس هناك أي سبب منطقي لصناعة هذه الصور العملاقة أصلاً، لأنه يستحيل للشخص رؤيتها خلال وجوده على الأرض. وهنا يبرز السؤال الكبير، هل وجدت آلات طائرة في ذلك الزمن القديم؟! الجواب هو نعم! والدلائل الأثرية التالية تؤكد هذه الحقيقة:

صور آلات طائرة في معبد أبوديس



نقوش هيلوغريفية في إحدى زوايا معبد أبوديس في مصر، تبين صور آلات طائرة



صورة مقربة للوحة التي تحتوي على آلات طائرة مختلفة



طائرة مروحية .. ؟؟!؟



طائرة شراعية...!!؟



مركبة طائرة..!

طائرات في أمريكا الجنوبية

تم الكشف عن الكثير من القطع الذهبية الصغيرة في المناطق التي تغطي كل من أمريكا الوسطى والمناطق الساحلية لأمريكا الجنوبية، وهذه القطع تتخذ شكل طائرات مشابهة لتلك التي نستخدمها اليوم. لازال تاريخ هذه القطع مجهولاً حيث يصعب على العلماء تحديد تاريخ معدن الذهب بدقة. لكن يبدو أنها تعود إلى زمن بعيد جداً.



نموذج طائرة نفائة



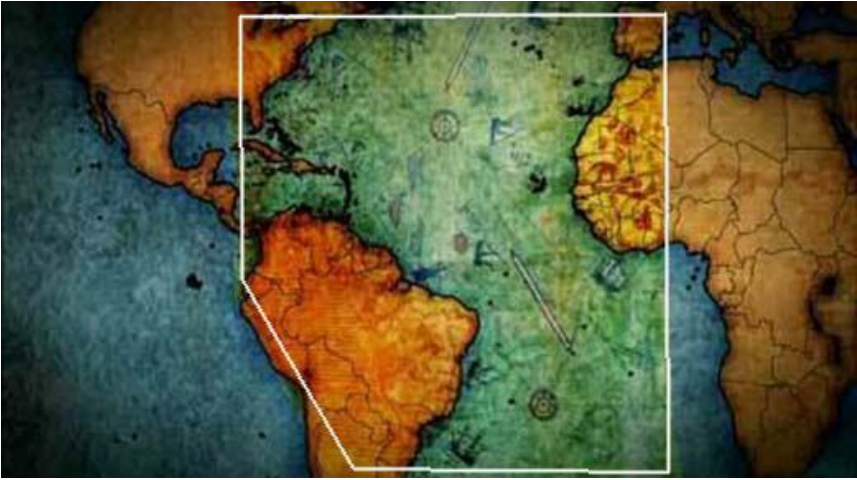
قطع ذهبية تم اكتشافها في مناطق مختلفة من أمريكا الجنوبية وتتخذ شكل طائرات نفائة مشابهة لتلك التي نستخدمها في العصر الحديث

في الحقيقة، إن هذه مجرد عينات من ذلك الكم الهائل من الدلائل الأثرية التي تشير بوضوح إلى وجود تقنية الطيران في الماضي البعيد، وإذا تناولنا تلك المراجع الهندية القديمة التي تتحدث عن الفيमानا Vimana وتفصيل مملّة عن طرق صناعتها وكيفية الملاحة الجوية بواسطتها فسوف يطول الحديث كثيراً (أنظر في كتاب "العالم قبل الطوفان" للكاتب نفسه). أما الدليل الآخر الذي يثبت حقيقة وجود تقنية طيران في الماضي البعيد فيتمثل بتلك الخرائط الدقيقة التي تعود أصولها إلى ماضي سحيق والتي لا يمكن رسمها بهذه الدقة الفائقة لولا وجود تقنية طيران، وأشهرها خريطة "بيري ريس" Piri Re'is.



خريطة بييري ريس Piri Re'is

تعود هذه الخريطة لعام ١٥١٣م، وجمعت من قبل بييري ابن حاج محمد Piri Ibn Haji Memmed المعروف بـ بييري ريس Piri Re'is. وكان أدميرالاً في الأسطول البحري التركي، وكانت أفضل هوابياته هي رسم الخرائط. تعتمد خريطته على خرائط وبيانات قديمة أخرى كانت بحوزته حيث زعم أن أصولها قديمة بقدم التاريخ. كانت إحدى هذه الخرائط مهمة جداً وتم حفظها كخريطة أساسية لرسم ما سميت فيما بعد خريطة بييري ريس Piri Re'is map.

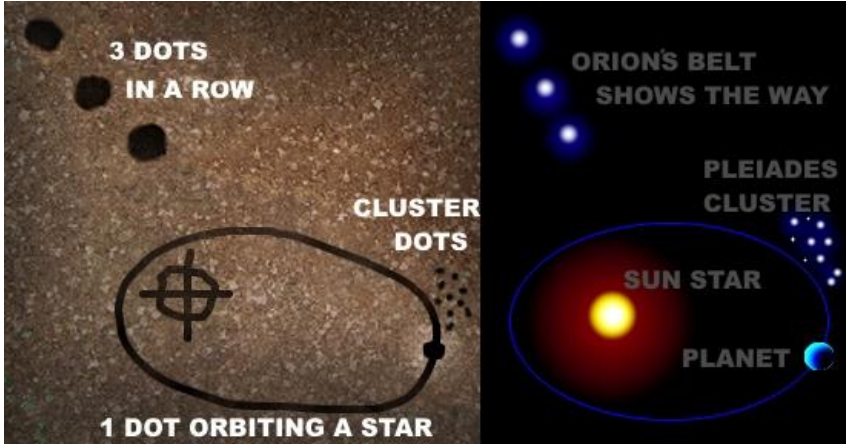


المنطقة التي تغطيها خريطة بييري ريس، وقد صورت صورت تفاصيلها بدقة كبيرة

- كتب بييري ريس بعض النقاط المثيرة عن هذه الخريطة، مثل:
- أنها كانت مجمعة مما يقارب عشرين خريطة تعتبر مصدراً أصلياً.
- أنّ الجزء الغربي من الخريطة تم الحصول عليه من كريستوفر كولومبس.
- أنّ تاريخ بعض المصادر يعود إلى عصر الإسكندر العظيم.
- رسمت بعض الخرائط الأصلية بالاعتماد على الرياضيات المعقّدة.

رغم المعرفة المتقدمة التي تكشف عنها الدلائل الأثرية السابقة إلا أنها تبدو عادية بالمقارنة مع معارف أكثر تطوراً كتلك المعرفة التي يحوزها شعب الدوغون Dogon في غرب أفريقيا والمتعلقة بعلم الفلك حيث استطاعوا وصف الكثير من الأجرام السماوية

بدقة كبيرة أذهلت العلماء! وبعض الأجرام التي تناولتها معرفتهم "المقدسة" لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة حيث لم يتم اكتشافها حديثاً سوى في العشرينات من القرن الماضي! سوف أتناول هذا الموضوع بالتفصيل في فصول قادمة من هذا الكتاب.



الرسومات الجدارية التي رسمها حكماء الدوغون في الكهوف التي يجتمعون فيها (الشكل على اليسار) هي متطابقة تماماً مع المواقع الفعلية للأجرام (الشكل على اليمين) التي تناولوها في معرفتهم السرية والتي يعتبرونها مقدسة!

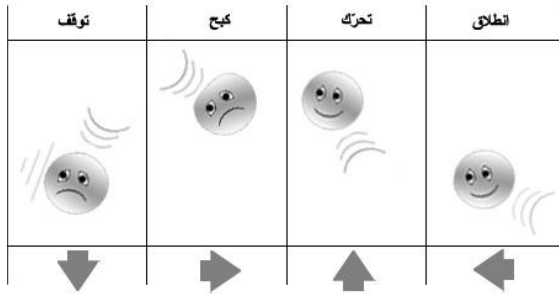
ملاحظة: هذه مجرد عينات من ذلك الكم الكبير من الدلائل التي تثبت مدى تطوّر العالم القديم والذي نسيناه تماماً بحيث لم يعد له أثر في ذاكرتنا الجمعية. يمكنك الاطلاع عليها في كتاب "العالم قبل الطوفان" للكاتب نفسه.

بالعودة إلى نظرية الدورات الزمنية التي نتحدث عن الطبيعة الدورية لتاريخ الحضارة الإنسانية، فنجد أنها تستند فعلاً على منطق علمي ثابت رغم أنه بعيد كل البعد عن المنطق العلمي الذي نألفه في وقتنا الحالي. المسألة إذاً تتعلق بطريقة تفكيرنا وليس لها علاقة ببعد الموضوع أو قربه إلى الواقع. هذه الحقيقة واقعية بكل تأكيد لكن يبدو أن تفكيرنا الحالي هو الذي بحاجة إلى تعديل.

إذا عدنا إلى مبدأ الدورية والمبدأ رباعي الأطوار في التعاليم السرية (الجزء الثامن في مجموعة من نحن) نجد أن الطبيعة الدورية لتاريخ الحضارة الإنسانية منطقية جداً. دعونا نلقي نظرة على هذا الموضوع لننعمش ذاكرتنا.

مبدأ الأطوار الأربعة

بالعودة إلى قانون الحركة الذي ذكرته سابقاً، وقد استخدمت مثال الكرة التي تمرّ عبر ثلاثة مراحل حركية قبل أن تتوقف. هذه الظاهرة تجسّد قانون الحركة الفيزيائي، وفيما يلي سوف نتعرف على أساس هذا القانون الفيزيائي الذي يحكم كافة الحركات في الوجود.



بعد انطلاقه ثم تحركه تصاعدياً ثم كبح جماحه، يوجد مرحلة يتوقف فيها المحتوى العقلي تماماً

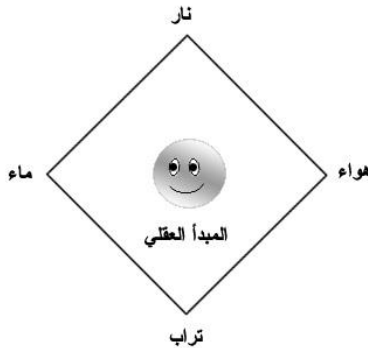
عملية التكاثر في مركز الكرة الكونية وفق مسار لولبي تخضع لقانون الحركة، بل هي أساس قانون الحركة أصلاً، لأنها تمثل أول حركة في الوجود، وبالتالي تعتبر النمط الأولي الذي تحاكيه كافة التحركات في الكون مهما كان نوعها (تأرجح، دوران، تموج،ذبذبة.. إلى آخره)، كافة الحركات في الوجود تتألف من ثلاثة مراحل ويتبعها مرحلة رابعة هي حالة التوقف.

عندما انطلقت عملية التكاثر عند مركز البيضة الكونية بأمر من الإرادة الإلهية مرّت في أربع أطوار مختلفة. طور الاندفاع، طور الحركة المتسارعة، طور العطالة، وأخيراً

طور التوقف. مبدأ الأطوار الأربعة يمثل أساس مفهوم العناصر الأربعة والمألوفة في الأدبيات السحرية والفلسفية المعروفة جيداً حول العالم والتي كانت تمثل مفهوم علمي أساسي في العالم القديم. إذا قمنا بفصل هذه الأطوار الأربعة للحركة عن بعضها وجعلنا كل طور قائم بذاته سوف يصبح لدينا العناصر الأربعة التي يقول القدماء بأنها تمثل المكونات الأساسية لكل شيء في الطبيعة، وأشاروا إليها بالأسماء التالية: نار [اندفاع]، هواء [تسارع]، ماء [تقييد]، تراب [توقف].

لقد تتبنا القدماء إلى أن الوعي (أو المبدأ العقلي عموماً) ليس له علاقة بأي من الأطوار الأربعة للنشاط الكوني، ولهذا السبب رمزوا لتلك الحالات بالعناصر الأربعة (النار، الهواء، الماء، التراب) التي نألفها في الأدبيات القديمة (علم الفلك والخيمياء والفلسفة والطب.. إلى آخره). وكل عنصر يمثل حالة من تلك الحالات الكونية الأربعة بصيغتها النموذجية، وهي التالية:

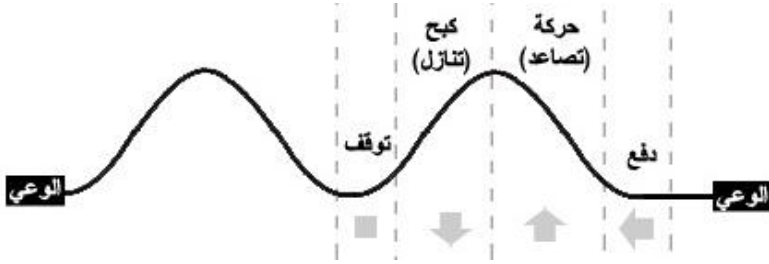
١. عنصر النار: يرمز للانطلاق، الإرادة، التحفيز، الهيمنة،.. إلى آخره.
٢. عنصر الهواء: يرمز للحركة، النشاط، الحيوية، الاتصال،.. إلى آخره.
٣. عنصر الماء: يرمز للانطواء، الاحتواء، الاحتضان، التلقّي، الكبح، العطالة..
٤. عنصر التراب: يرمز للجمود، الثبات، النقل، التكتّل،.. إلى آخره.
٥. أما الوعي (أو المبدأ العقلي عموماً) فقد رمزوا إليه بالعنصر الخامس. وهو عنصر منفعل يتأثر بكافة العناصر الأربعة السابقة.



الإرادة الإلهية في حالة مستمرة من الدفع إلى الأمام

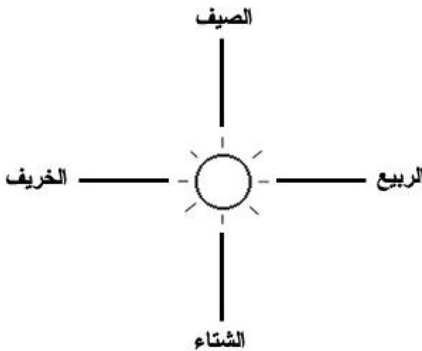
بعد أن خضعت الحركة رباعية الأطوار لعاملَي الزمان والمكان

بعد نشوء عاملي الزمان والمكان أصبحت الكرة (المحتوى العقلي) المذكورة سابقاً في حالة مستمرة من الحركة الإيقاعية رباعية الأطوار. كلما توقفت الكرة، يتم ركلها مرة أخرى، فتنتقل من جديد، ثم تتحرك صاعدة، ثم تتباطئ ثم تتوقف، فيتم دفعها مجدداً.. وهكذا حتى لا نهاية. فيشكل مسارها التصاعدي والتنازلي خط متموج لا نهاية له. (الشكل التالي):

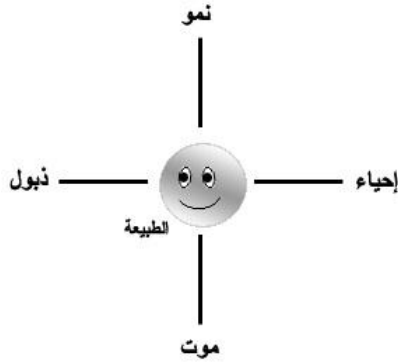


الصعود والهبوط الدائم للوعي يشكّل موجة بيانية غير منتهية

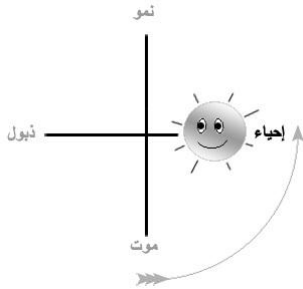
الآن أصبحنا نعلم كيف تجري الأمور في الطبيعة. إذاً، الإرادة الإلهية لم تدفع مسيرة الخلق مرة واحدة واكتفت بذلك، بل هي في حالة دفع دائم ومستمر لحركة الحياة بكل جوانبها. ذلك بسبب نشوء عاملي المكان والزمان وبالتالي تتكرر عملية الدفع باستمرار.



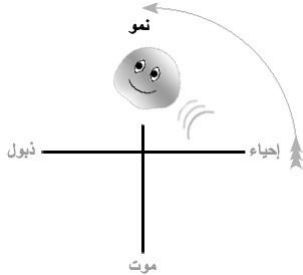
أوضح الأمثلة على هذه الحركة الدورية المتكررة تتمثل في الطور الرباعي للطبيعة، والذي نعرفه عموماً بالفصول الأربعة: الربيع، الصيف، الخريف، الشتاء.



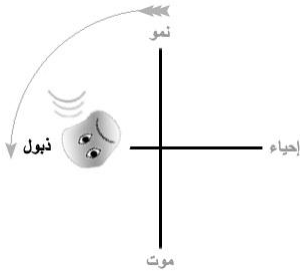
إذا استندنا على المفاهيم السابقة للنظر إلى الأمور، سوف نستنتج بأن الطبيعة المفعمة بالحركة والحياة هي كيان واعي قائم بذاته. وبالتالي ينطبق عليها القانون الرباعي السابق. أي ما نعرفها بالفصول الأربعة تحمل مضامين لم نفظن لها أبداً. دعونا نتعرّف على إحدى هذه المضامين عبر الشروحات المصوّرة التالية:



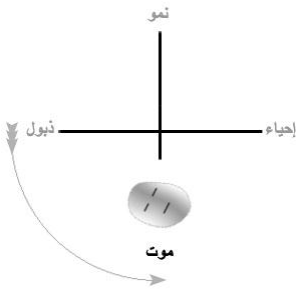
[١] الربيع يمثّل الانطلاقة الأولى للطبيعة فتتبعث من جديد بعد السبات الشتوي.



[٢] الصيف يمثّل الحركة التصاعدية للطبيعة حيث تنمو النباتات وتثمر الأشجار وتتشط حركة الكائنات.



[٣] الخريف يمثل كبح جموح الطبيعة حيث تبدأ النباتات بالذبول وأوراق الأشجار تتساقط وتتباطأ حركة الكائنات.



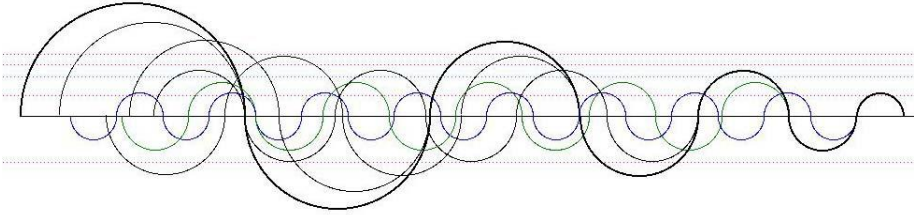
[٤] الشتاء يمثل توقف أو جمود الطبيعة تماماً، حيث تموت النباتات وتعرى الأشجار وتجمد حركة الكائنات.

كلما دخلت الطبيعة إلى طور الجمود (الشتاء) يأتي دفعة ثانية من الإرادة الإلهية فتحيا من جديد وتنتقل إلى طور الإنعاش (الربيع). وفقاً للتعاليم السريّة، لا علاقة بين الفصول الأربعة مع اقتراب الأرض أو بعدها عن الشمس. السرّ يكمن في الشمس ذاتها. هناك تغييرات إيقاعية تحصل في جوهر الشمس مما يؤدي إلى حصول هذا التبدّل الإيقاعي في الفصول. أعتقد بأن هذا هو التفسير المنطقي الوحيد لتلك الظاهرة التي حيرت العلم والمتمثلة في أن الأرض تكون أقرب إلى الشمس خلال فصل الشتاء وأبعد منها في فصل الصيف، مما يؤكّد عدم وجود أي دور لاقتراب الأرض أو بعدها في زيادة أو نقصان درجة الحرارة.

ليس فقط السنة الشمسية مقسومة إلى أربعة مراحل، بل اليوم الواحد أيضاً. بين فجر الصباح وغروب المساء نجد دائماً شمس الظهيرة بأوج قوتها. لكن بعد الغروب يأتي الليل حيث تغيب الشمس تماماً. أما المراحل الثلاثة الرئيسية لمسيرة حياة الأشياء (الولادة، البلوغ، الثلاثي)، فيتمبعها دائماً الموت. لكن في الطبيعة تُعتبر هذه المرحلة الرابعة (الموت) غير نهائية، بل يتبعها دائماً انتفاضة جديدة. فالحياة لا تتوقف أبداً بل

تعود وتتنفض من جديد لتعيد إحياء المسيرة رباعية الأطوار مرّة أخرى.. وهكذا إلى لا نهاية.

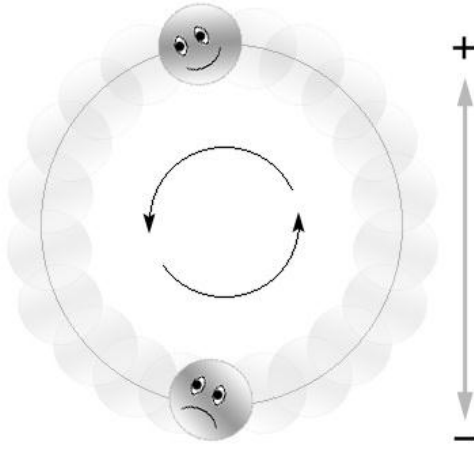
هذه الحركة (رباعية الأطوار) الدائمة والمستمرّة متجلية في كامل الكون وعلى كافة المستويات. تبدأ أولاً بشكل بسيط، ثم تتخذ تدريجياً أنماط أكثر تعقيداً، فيبدأ ظهور أشكال مركّبة وبنى معقّدة. ومع تسلسل العملية من المستوى البسيط إلى المستوى المعقّد يبدأ ظهور المكونات المناسبة لتجلي الحياة العضوية. ثم تتجلى الحياة ذات التكوينات المعقّدة التي يتعدّد استيعابها.. وهكذا إلى لانهاية. إنها مسيرة لانهاية، مندرّجة ومتراكبة من الحياة والكينونة، من الشكل والهيئة، والتنوّع اللامحدود.



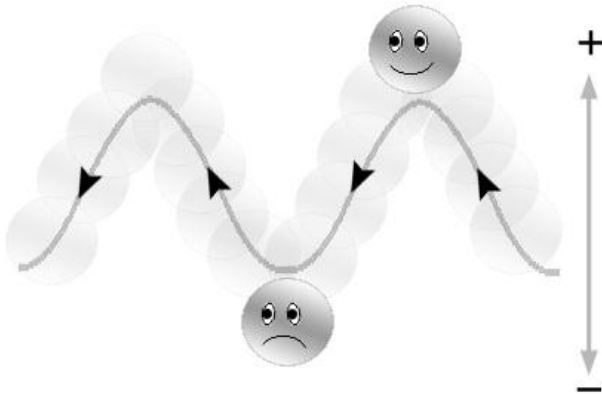
هذه الحركة الرباعية الدائمة تبدأ أولاً بشكل بسيط، ثم تتخذ تدريجياً أنماط أكثر تعقيداً

كما لاحظنا سابقاً فإن الحركة رباعية الأطوار لها عدة مظاهر حركية أهمها: [١] الطبيعة الإيقاعية (كالذبذبة)، و[٢] الطبيعة الدورية (الفصول الأربعة)، بالإضافة إلى مظاهر أخرى سوف نتناولها في مواضيع لاحقة. وبالتالي مهما بدت الحالات أو الظواهر مختلفة وامتيازة عن بعضها فهذا لا يعني أنها متحرّرة من هذه الحركة رباعية الأطوار.

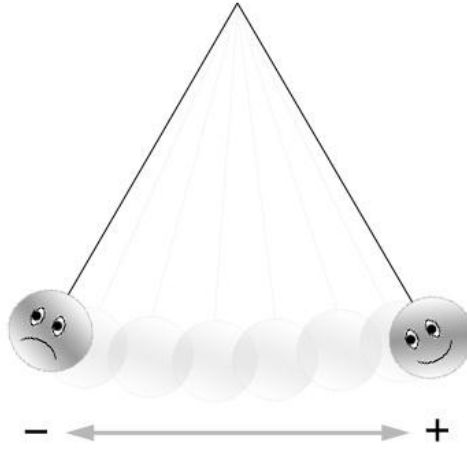
لكن غالباً ما تتخذ هذه الحركة رباعية المراحل مظهر الحركة بين قطبين رئيسيين مثل الصعود والهبوط أو الذهاب والإياب أو الكرب والانفراج أو المد والجزر أو غيرها من مظاهر تشبه تأرجح البندول بين قطبين، وهذا ما يجعل الفرد يواجه صعوبة أحياناً في التعرّف على المراحل الأربعة في هذا المظهر الثنائي لبعض الظواهر الحركية، فيعجز بالتالي عن تمييز العامل المشترك بين ظاهرتين حركيتين مختلفتين.



الطبيعة الدورانية أو الدورية لظاهرة الحركة رباعية المراحل



الطبيعة الإيقاعية لظاهرة الحركة رباعية المراحل



غالباً ما تتخذ الحركة رباعية المراحل مظهر الحركة بين قطبين رئيسيين كما تأرجح البندول، مما يؤدي إلى صعوبة في تمييز المراحل الأربعة لهذه الحركة

ورد في أحد فصول التعاليم السريّة المقولة التالية:

كلّ شيء في الكون يتحرّك. كل شيء في حالة حركة مستمرة. كل شيء يخضع للتغيير الدائم. كل شيء إيقاعي زمني. الذنبية سائدة على مستوى الكون، وبصفتها متجالية وفقاً لقانون الإيقاع فهي تختلف بين الأشياء والمستويات من حيث الدرجة. كل شيء يتحرّك ذهاباً وإياباً بين أقطابه بشكل إيقاعي. كل شيء يصعد ويهبط بشكل إيقاعي ضمن حدود طبيعته. كل شيء يتقدم ويتراجع بشكل إيقاعي ضمن حدود قدرته.

الحركة الدائمة والأبدية لكافة الأشياء في الكون سببها طبعاً هو مفعول مبدأ الحركة، والذي يمثل أحد المبادئ الثلاثة الرئيسية (العقل، الحركة، المحتوى). هذا المبدأ النشط الذي ينتج من تفاعلاته المختلفة مع مبدأ المحتوى كل التجسيدات المتنوعة في الكون. وبما أن هذه التجسيدات لا محدودة فبالنتالي إن طرق وصيغ وأنماط تفاعل مبدأ الحركة مع مبدأ المحتوى لا محدودة أيضاً. كما استنتجنا من المواضيع السابقة، فإن حركة المحتوى العقلي ذو طبيعة إيقاعية، وهذا يعني أنها حركة متذبذبة. ورد في المقولة السابقة ما يلي: " .. الذنبية سائدة على مستوى الكون، وبصفتها متجالية وفقاً لقانون

الإيقاع، فهي تختلف بين الأشياء والمستويات من حيث الدرجة..، وهذا بالضبط ما يؤكد العلم الحديث الذي يقول بأن كل الأشياء في حالة ذبذبة، وأن الاختلاف في وتيرة الذبذبة يحدّد الطبيعة البنيوية لكل الأشياء. كل شيء، ابتداءً من الجسيم الذريّ الدقيق وانتهاءً بأكبر الكتل المادية في الكون، يجسّد قانون الذبذبة الإيقاعية. بالإضافة إلى ذلك، فقد أثبت العلم أيضاً بأن الفرق الوحيد بين العناصر المكوّنة لأشكال المادة المختلفة يكمن في وتيرة ذبذبة الجسيمات التي تتألف منها. الفرق مثلاً بين معدن الذهب ومعدن الرصاص يكمن في اختلاف وتيرة ذبذبة الجسيمات الذرية. والفرق بين الضوء وشمع العسل يكمن في اختلاف الذبذبة.

منذ فجر نشوء الكون، تجسّدت الذبذبة على طول سلّم التجلّي، على طول امتداد سلّم الطاقة/المادة، نزولاً إلى أدنى مستوى. من أكبر كتلة مادية في الكون وصولاً إلى أصغر جسيم. وهذا الاختلاف اللامحدود في درجات الذبذبة مسؤول عن تجسيد كل شيء، ليس فقط الأشياء المادية، بل الحالات العقلية أيضاً. كل حالة عقلية لها درجتها الذبذبية الخاصة، وهذا ما يميّزها عن الحالات الأخرى. وفي هذا السياق، وجب تذكّر حقيقة أنه ما نسميه صوت وضوء وحرارة ومغناطيسية وكهرباء وأشعة سينية وغيرها من أشكال الطاقة هي عبارة عن أشكال مختلفة من الذبذبة. وحتى أكثر المواد الصلبة قساوة، وهو الماس، مكوّن من جزيئات وجسيمات ذرية دقيقة في حالة حركة وتذبذب مولّدة بذلك طاقة هائلة مما يجعل قطعة الماس تبدو شديدة الصلابة. حتى كتب الفيزياء المنهجية تؤكّد حقيقة أن كل شيء ندركه بحواسنا هو عبارة عن مظاهر ناشئة من وتائر ذبذبية مختلفة. حتى إدراكنا لهذه الأشياء هو عملية ذبذبية صرفة.

لكن ماذا عن "قانون الإيقاع" الذي يجعل كل الأشياء تتحرّك بإيقاع زمني متناسق، كما تؤكّده الحكمة السابقة؟ دعونا نلقي نظرة على هذا القانون وأهمية دوره في مجال الحالات العقلية وكذلك الظواهر الحركية في الطبيعة. المعنى الحرفي لكلمة "إيقاع" هو: تكرار الحركة وفق نسق زمني موحد. أوضح مثال على ذلك هو الإيقاع الموسيقي الذي يُقاس بواسطة دقات المترونوم (بندول الإيقاع) أو عصا قائد الأوركسترا الذي يحافظ على نسق زمني محدّد لتكرار الدقّة أو النغمة. لقد اكتشف العلم حديثاً ما كانت تدعيه التعاليم

السريّة منذ عصور مديدة، وهو أن كل شيء في الكون هو "إيقاعي زمني"، ويتحرّك وفقاً لإيقاع معين. يمكننا رؤية ذلك بوضوح في ظاهرة المدّ والجزر، وضربات القلب، وعملية التنفّس، وعمل الذبذبة في كل الأشياء وعلى كافة المستويات. وكما هي الذبذبة ظاهرة كونية، فالإيقاع أيضاً هو ظاهرة كونية.

بعد برهة من التأمّل في الأشياء سوف تكتشف بأن كافة الظواهر في الطبيعة تجسّد قانون الحركة الإيقاعية بين قطبين متعاكسين. هناك دائماً جزر ومدّ في كل الأشياء. نجد دائماً تآرجح البندول بين قطبين متعاكسين للشيء ذاته. دائماً يكون النهار متبوعاً بالليل، والصيف متبوعاً بالشتاء، والفعل متبوعاً برّد الفعل، والعمل متبوعاً بالراحة، والنشاط متبوعاً بالخمول، والأوقات الجيدة في مجال التجارة مثلاً تتبعها أوقات صعبة، بعد الازدهار يأتي الكساد. في كافة المجالات وعلى كل المستويات يمكن ملاحظة هذا التآرجح الإيقاعي الذي ينقل الشيء ذهاباً وإياباً بين قطبيه المتناقضين. كما تقول الحكمة السابقة: "كل شيء يتحرّك ذهاباً وإياباً بين أقطابه بشكل إيقاعي كل شيء يصعد ويهبط بشكل إيقاعي ضمن حدود طبيعته. كل شيء يتقدم ويتراجع بشكل إيقاعي ضمن حدود قدرته..". التعاليم السريّة لم تتوقف عند الأشياء التفصيلية في الكون، بل ذهبت أبعد من ذلك، أي على مستوى الكون بذاته، حيث كما هناك نهار وليل في اليوم العادي، فهناك أيضاً نهار وليل بالنسبة للكون بكامله، حيث نحن الآن نعيش في فترة النهار الكوني، أي فترة التجلّي بصيغة مادية، لكن ما أن يحين الليل الكوني سوف يعود كل شيء إلى حالة اللاتجلّي.

قانون القطبية وقانون الإيقاع هما توأمين. إنهما مندمجان إلى الأبد. يمكن تحديد نتيجة التأثير الذي يولده التآرجح الإيقاعي بين قطبين حسب طول امتداد السّم بين هذين القطبين. لا يمكن لشيء أن يتأرجح متجاوزاً حدود قطبيه. لا يمكن لشيء أن يتجاوز حدود طبيعته أو قدرته. وبالتالي، إذا تآرجح الشيء بعيداً باتجاه أحد الأقطاب، فسوف يتأرجح حتماً بنفس المسافة باتجاه القطب المعاكس. إذا كانت مسافة التآرجح كبيرة، فلا بد من أن تكون أقطاب الشيء متباعدة. وإذا كانت مسافة التآرجح قصيرة، فلا بد من أن تكون أقطاب الشيء متقاربة. يمكن تطبيق مثال "البندول المتأرجح" في كافة المجالات

وعلى كل المستويات. في المجال النفسي مثلاً، الذين يتمتعون كثيراً يتألمون كثيراً. أما الذين لا تسمح طبيعتهم سوى بالقليل من المتعة، سوف لا يختبروا سوى القليل من الألم. طول المسافة التي يتأرجحها البندول باتجاه معين تساوي طول المسافة التي يتأرجحها في الاتجاه المعاكس. هذا الأمر ينطبق على كافة المجالات، النفسية والعقلية والمادية وغيرها..

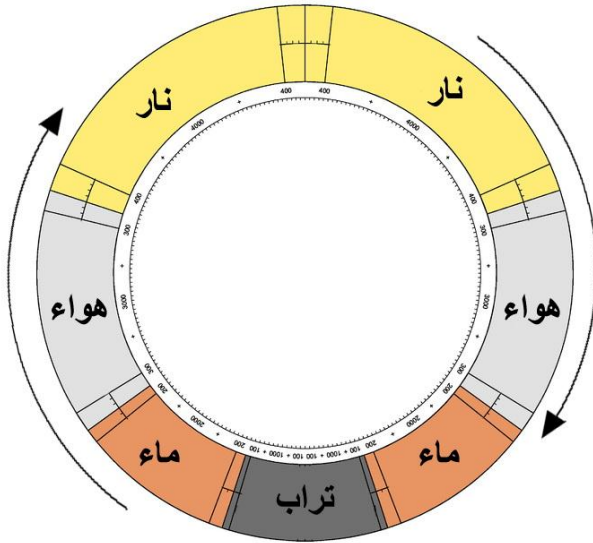
دعونا الآن نلقي نظرة على قانون "الدورية"، أي الظواهر الدورية في الطبيعة. سبق وذكرت بأن جميع الظواهر الحركية في الطبيعة تمثل الشيء ذاته جوهرياً، وبالتالي فقانون "الدورية" قريب الصلة بقانون "الإيقاع". ورد في أحد فصول التعاليم السريّة المقولة التالية:

الدورية متجانسة مع الإيقاع، وتنشط بسببه أصلاً. كافة الأحداث تحصل بطريقة دورية، أي أنها تتكرر دائماً وباستمرار، وضمن نفس الإيقاع. الطريقة الوحيدة للإفلات من هذا التأثير الدوري هي تحويل الحركة الدورية إلى حركة لولبية. يتحقق ذلك بواسطة التقدّم بمركز الحركة الدورانية إلى الأمام. تُعتبر عملية تحويل الحركة الدائرية إلى لولبية من أرفع أشكال الخيمياء العقلية.

الفكرة الرئيسية التي علينا الاهتمام بها في المقولة السابقة هو أن الأحداث في كافة المستويات، في حياتنا الشخصية أو عبر التاريخ، هي دائمة التكرار رغم أننا لم نلفظ ذلك. صحيح أنها لم تتكرر بنفس الصيغة والمشهد لكن الظروف التي تؤدي إلى نفس الحالات والمواقف هي التي تتكرر. أما بخصوص تحويل الحركة الدائرية إلى حركة لولبية بواسطة الخيمياء العقلية فننتهي إلى موضوع آخر لسنا بصددّه الآن، لكن الهدف من هذه العملية العقلية هو عدم التأثر سلباً بالأحداث السيئة عندما تتكرر مرّة ثانية في حياتنا، ونحقق ذلك عبر نقل مركز الدائرة (أي نحن) من مكان إلى آخر وسط هذه الحركة الدورية للحدث المعني فنأى بنفسنا عن تأثيراته السيئة. والقصد من نقل مركز الدائرة هو القيام بإجراءات عقلية معينة سوف أتناولها بإصدارات قادمة.

بالعودة إلى الفكرة التي تطرحها الحكمة السابقة حول التكرار الدائم للأحداث، وبعد التفكير ملياً بالأمر، مع الأخذ بعين الاعتبار خبرتنا الشخصية في حياتنا اليومية وكذلك الدراسات التاريخية، سوف نجد أنها صحيحة. لطالما صُدم الباحثون في علم التاريخ من ظاهرة تكرار ذات الأحداث والمواقف والظروف والأفكار.. وغيرها.. بشكل دوري عبر العصور التاريخية المتعاقبة. وكذلك الباحث في مجال الفلسفة الذي لاحظ ذات الظاهرة الدورية عبر التاريخ. في الحقيقة، هذه الظاهرة الدورية متجسدة في كافة مجالات الفكر الإنساني وليس مجال واحد فحسب. نلاحظ بأن الأعراق والأمم المختلفة تشهد فترات ازدهار ثم انحطاط ثم اندثار، ثم يتبعها أعراق وأمم أخرى بنفس مسيرة الصعود والهبوط الإيقاعي لحضارتها. نجد دائماً بأن مركز السلطة السياسية الكبرى ينتقل من مكان إلى مكان حول العالم عبر فصول التاريخ المختلفة. حضارات كل من أطلنطس ومصر والكلدانيين والرومان واليونان... جميعها ازدهرت ثم اندثرت. حضارتنا الحالية التي تتمحور حول الغرب تسير بنفس الاتجاه ووفق المسار الإيقاعي ذاته. كافة أشكال الحكومات السياسية، ملكية، ديمقراطية، أتوقراطية استبدادية، وغيرها.. وبكل تنوعاتها، كانت معروفة جيداً في الماضي وعبر العصور المتعاقبة. يمكن ملاحظة قانون الإيقاع في تاريخ الفلسفة أيضاً، حيث معظم الفلسفات الحالية التي نراها من إنتاج عقول هذا العصر كانت مألوفة جيداً في الماضي البعيد، لكنها واجهت مصيرها المحتوم.. الاندثار والاختفاء تماماً من ذاكرة الشعوب. كافة النظريات العلمية التي برزت في هذا العصر الحديث، مثل السببية Causation، الاستمرارية Continuity، الحتمية Determinism، وحتى نظرية التطور Evolution، كانت مألوفة جيداً في اليونان القديمة قبل أكثر من ألفي سنة. وكانت مألوفة أيضاً قبل ذلك بكثير في كل من مصر والهند. الموضة في اللباس والتفكير والعادات وغيرها كان يتكرر بروزها واختفاءها من الساحة الاجتماعية بشكل دوري عبر العصور. حتى الأفكار الدينية التي نألفها اليوم هي قديمة بقدم العالم. كافة المذاهب الدينية كانت مألوفة، الحلوية والتوحيدية والإلحادية والوثنية.. وغيرها.. يتكرر ازدهارها واندثارها بشكل دوري منذ بداية التاريخ. جميعها لعبت دورها في توجيه الشعوب وقولبة تفكيرهم.

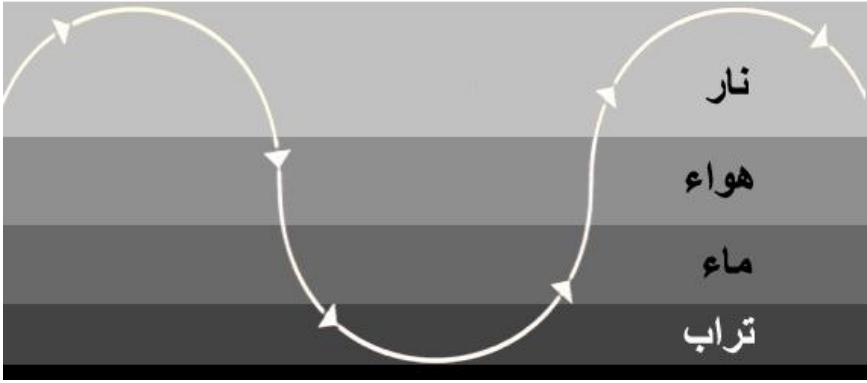
إذاً، كل شيء له طبيعة إيقاعية، ويمكن أن تكون طبيعة دورية أو تبدوا ظاهرياً بأنها تأرجح بين قطبين، لكن في النهاية جميع هذه الحركات الإيقاعية هي رباعية الأطوار، وبناء على هذه الحقيقة، توصل الحكماء القدامى إلى ابتكار طريقة مجدية للتنبؤ بأحداث مستقبلية. بما أن الأحداث تتكرر باستمرار وبطريقة إيقاعية، فلا بد من أن مسيرتها الإيقاعية تمرّ عبر أربعة أطوار ذات طبيعة محدّدة، أي يمكن تحديد تأثيراتها بدقة كبيرة. أشاروا إلى هذه المراحل الأربعة للدورة الإيقاعية بأسماء [النار، الهواء، الماء، والتراب] ووصفوا تأثير كل منها على الوعي البشري وكذلك على وعي الطبيعة وما فيها من وعي كائنات وأشياء. أقرب مثال على ذلك هو التقسيم الذي نألفه جيداً في الدائرة الفلكية (رغم أن طريقة التقسيم الحالية خاطئة وسوف أبيّنها لاحقاً). حتى في مبدأ الين واليانغ الصيني، نجد أن هذين القطبين يتوسطهما مرحلتين انتقاليتين.



دائرة الأنماط الأربعة [نار، هواء، ماء، تراب] تتحرك باستمرار صعوداً وهبوطاً

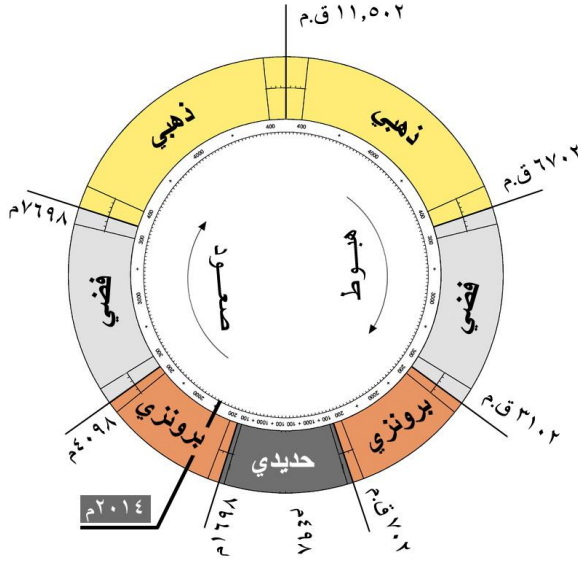
إذاً وفق قانون الإيقاع الدوري الذي يمثل قانون كوني عام، نجد أن كل شيء يسير بطريقة إيقاعية دورية بين أربعة مراحل، وقد أشارت الحكمة السرية إلى هذه المراحل بعناصر النار والهواء والماء والتراب. لكن الثقافات المختلفة عبر التاريخ، وخلال حديثها

عن السنة الكبرى ذات الفصول الأربعة، أشارت إلى هذه العناصر الأربعة بأسماء مختلفة. الإغريق مثلاً أشاروا إلى العصور الأربعة للسنة الكبرى كما يلي: العصر الذهبي (نار)، العصر الفضي (هواء)، العصر البرونزي (ماء)، وأخيراً العصر الحديدي (تراب). بينما الحكماء الهندوس أشاروا إليها بالأسماء التالية: ساتيا يوغا (نار)، تريتا يوغا (هواء)، دوابارا يوغا (ماء)، كالي يوغا (تراب).



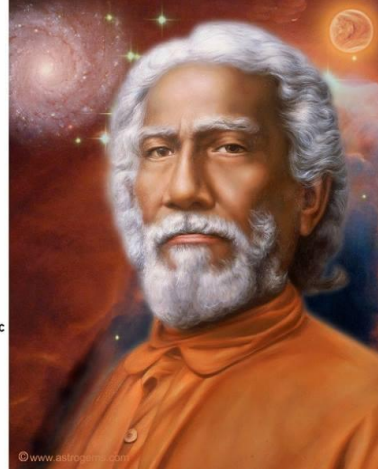
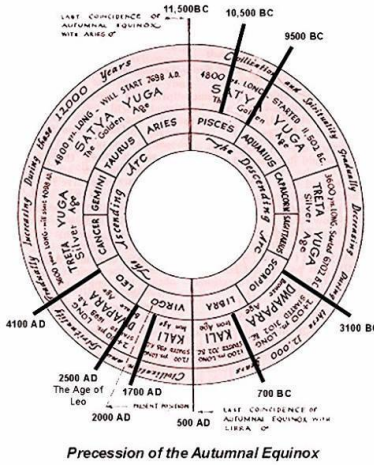
الإيقاع الزمني عبر العصور الأربعة للسنة الكبرى هي متطابقة لإيقاع العناصر

كما أن لكل عصر من هذه العصور الأربعة طبيعته الخاصة (مشابهة لطبيعة العناصر الأربعة أو الفصول الأربعة للسنة) نجد أن تأثير كل عصر يختلف على الخصائص الإنسانية وعلى الحضارة البشرية وعلى الطبيعة بشكل عام. كل من هذه العصور الأربعة يؤثر بشكل مباشر على الوعي الجمعي للعرق البشري (وكافة الكائنات عموماً) وهذا هو السبب الرئيسي وراء الاختلاف الحاصل في مستوى الحضارات المتعاقبة وكذلك مستوى التطور البشري. هذا المنطق الجديد يفرض علينا التسليم بحتمية قيام حضارات متطورة جداً في المستقبل، لكن بنفس الوقت علينا التسليم بوجود حضارات متطورة جداً كانت سائدة في الماضي أيضاً. أما بخصوص حضارتنا الحالية فبالكاد خرجت من العصر الحديدي، وهو عصر التخلف والانحطاط. أصبحنا الآن في العصر البرونزي صعوداً نحو الأعلى (الشكل التالي) إذ لم نجتاز ١٥% من هذا العصر، أي لازلنا في بداياته وسوف يسود لبضعة آلاف قادمة من السنين.



موقعنا الزمني في دائرة العصور (٢٠١٤م)، بالكاد دخلنا العصر البرونزي سعوداً

يشيرون إلى العصر الحالي في الأدبيات الهندوسية باسم "دوابارا يوغا"، وقد اختلفت المراجع الهندوسية المختلفة على مدة كل من العصور الأربعة التي تشكل السنة الكونية. بعض المراجع جعلت مدة كل عصر مئات الآلاف من السنين، ورغم وجود الكثير من المؤمنين بهذه الفرضية لكن تبين من خلال البحث والتقصي أن هذه مبالغات تم فرضها عبر العصور المظلمة خلال عملية تشويه واسعة النطاق للنصوص المقدسة الهندوسية (هذه الحالة أصابت كافة الأديان حول العالم، حيث سوء تفسير النصوص أدى إلى كوارث علمية واجتماعية وثقافية! معظم أدياننا بحاجة حتمية إلى إصلاح وإعادة تصويب). من بين المصلحين المشهورين الذين أعادوا تصويب هذه الفرضية بالاعتماد على براهين علمية ثابتة كان المعلم الجليل "سري يوكتيسوار غيري" Sri Yukteswar Giri (١٨٥٥ - ١٩٣٦م) وهو رجل استثنائي بكل المقاييس، حيث كان فقيهاً في علم الفلك الهندي (تعاليم الفيذا) وكذلك في نصوص البهاغافادا غيتا Bhagavad Gita المقدسة وفي الإنجيل المقدس، كما أنه كان متمرساً في الكريا يوغا مع العلم أنه كان الغورو (المعلم) الذي تخرّج من مدرسته اليوغي الشهير "براماهانسا يوغاناندا" Paramahansa Yogananda.



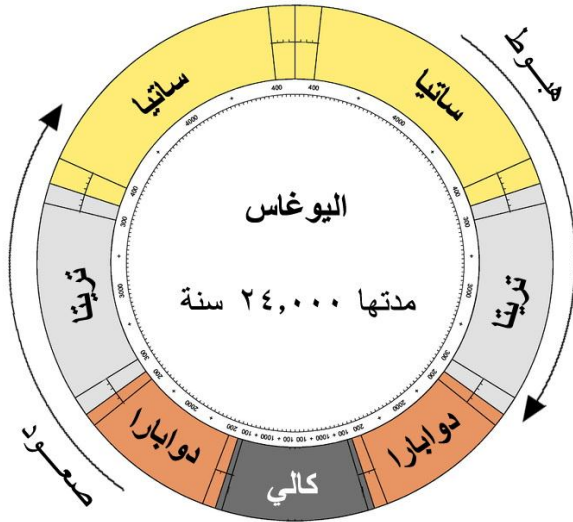
المعلم الجليل "سري يوكتيسوار غيري" وإحدى لوحاته الفلكية الواردة في دراسته التي تثبت فكرته الثورية حول التوقيت الفعلي للسنة الكونية وعصورها.



المعلم الجليل "سري يوكتيسوار غيري" وتلميذه الذي أصبح مشهوراً في الغرب، المعلم اليوغي "براماهانسا يوغاناندا"

وفقاً للمعلم "سري يوكتيسوار غيري" (وصادق عليه أغلب الفقهاء) فإن قوانين مانو (أقدم النصوص التي تتحدث عن اليوغاس) هي المرجع الأنسب بخصوص

المدة الفعلية للسنة الكبرى والتي تبلغ ٢٤ ألف سنة، وقد خرج بهذا الاستنتاج بالاعتماد على الكثير من الحقائق الفلكية أهمها مواعيد الانقلاب الصيفي والشتوي precession of the equinoxes في الدورة السنوية للكرة الأرضية. كما أنه تبنى فكرة الاختلاف في مدة كل من العصور الأربعة وفق نسبة زمنية تسلسلية [١.٢.٣.٤]، أي العصر الذهبي (ساتيا) مدته ٤٨٠٠ سنة، والعصر الفضي (ترينا) مدته ٣٦٠٠ سنة، والعصر البرونزي (دوابارا) مدته ٢٤٠٠ سنة، والعصر الحديدي (كالي) مدته ١٢٠٠ سنة، ومجموعها ١٢ ألف سنة، وبعد إضافة ١٢ ألف سنة مقابلة (وفق حركة صعود/هبوط) نخرج بمجموع نهائي ٢٤ ألف سنة.



السنة الكبرى وفقاً لاستنتاج المعلم "سري يوكنيسوار غيري"، مدتها ٢٤ ألف سنة، ١٢ ألف صعوداً و١٢ ألف هبوطاً.

من أشهر مؤلفاته كتاب "العلم المقدس" The Holy Science (١٨٩٤م) قد ورد فيه الكثير من الأفكار الثورية بالنسبة لزمانه. يتمحور هذا الكتاب حول عملية مقارنة بين نصوص العهد الجديد في الإنجيل مع نصوص الأوبانشاد الهندية وذلك بهدف إظهار الوحدة بين كافة التعاليم الدينية حول العالم. كتب في مقدمة كتابه يقول:

.. إن الهدف من هذا الكتاب هو إظهار بأكبر قدر من الوضوح وجود وحدة جوهرية بين كافة الأديان، وأنه ما من اختلاف في الحقائق التي ترسخها المعتقدات المختلفة. وأن هناك طريقة وحيدة فقط تطور عبرها كل من العالم الداخلي والخارجي، وأنه لا يوجد سوى هدف واحد تقرّ به كافة النصوص الدينية..".

كما أنه أثبت صحة ادعائه حول حقيقة أننا أصبحنا في عصر دوابارا (البرونزي) بدلاً من عصر كالي (الحديدي) كما يزعم التقليد الديني السائد والذي يصرّ عليه الكثير من رجال الدين. تستند نظريته على فكرة أن الشمس لها توأم يمثله نجم معين وتدور حوله بحيث تكمل دورتها كل ٢٤ ألف سنة. وهذا هو السبب الذي يخلق تلك الظاهرة الفلكية التي نسميها الانقلاب الصيفي والانقلاب الشتوي precession of the equinox، حيث تبدو المجموعات النجمية (الأبراج الفلكية) بأنها تسير إلى الخلف. لا زال العلم المنهجي يفسر هذه الظاهرة بالاعتماد على تفسيرات إسحاق نيوتن الناقصة، حيث تزعم نظرية نيوتن بأن الكرة الأرضية تتمايل خلال دورانها حول محورها. بخصوص الشم التوأم لشمسنا كتب يقول في مقدمته:

.. القمر يدور حول الكرة الأرضية، والكرة الأرضية تدور مع الكواكب الأخرى حول الشمس، والشمس مع كامل مجموعتها المؤلفة من الأقمار والكواكب تدور حول شمس أخرى تعتبر توأم لها..".

ملاحظة: أما بخصوص الشمس الأخرى التوأم لشمسنا فسوف أتناولها لاحقاً بالتفصيل.

.....

العصور الأربعة للسنة الكبرى

أوصافها وميزاتها

كما تعرفنا سابقاً، رغم اختلاف المدة بين كل حضارة وأخرى بالنسبة للسنة الكبرى إلا أنها اتفقت جميعاً على العصور الأربعة التي تمر عبرها الأرض صعوداً وبوطاً. فيما يلي فكرة مختصرة عن سمات كل من هذه العصور الأربعة:

١. العصر الذهبي (ساتيا يوغا): هذا هو العصر الأرقى منزلة بين باقي العصور. هو عصر الحقيقة الجلية حيث النقاوة والكمال. لا يسود فيه سوى دين واحد بين البشر، وكافة البشرية تميل إلى الطبيعة القدسية ولهذا لا يمارسون أي نوع من الشعائر الدينية. يكون الإنسان قوي البنية ومتناسق الجسم وجميل المظهر ويتمتع بحيوية الشباب طوال عمره، هو فاضل وخلوق ونقي تماماً من أي لطفة دنيوية، بالإضافة إلى أنه متور وواسع العلم والمعرفة. لا يوجد أي مهنة مثل الزراعة أو التعدين، حيث الطبيعة تنتج هذه الأمور بغزارة وبالتالي ما من داعي لبذل أي مجهود من قبل الإنسان لكي يأكل أو العيش برغد واكتفاء. يكون الطقس محبباً دائماً والإنسان في حالة سعادة دائمة. لا يوجد أي نوع من الأحزاب أو المذاهب الدينية أو التفرقة القبلية أو العشائرية أو العرقية أو غيرها من أسباب انقسام وتمييز بين البشر. لا يوجد أي أثر للأمراض أو الشيخوخة أو الخوف من أي شيء. عمر الشخص طويل الأمد لكن عندما يموت يفعل ذلك راضياً وسعيداً ومكتفي بما اختبره وتعلمه من دروس وحكم في الدنيا. في هذا العصر الذهبي تكون المعادلة [١٠٠% فضيلة و ٠% خطيئة].

٢. العصر الفضي (تريتيا يوغا): في هذا العصر ينخفض مستوى الفضيلة قليلاً. يبرز الكثير من الملوك والأباطرة للسيطرة على البلاد المختلفة. هنا يبدأ مفهوم السلالة الملكية ونزعة التفوق لكن كل هذا يكون باعتدال وتعقل. يشهد هذا العصر الحروب لكن تجري بشرف ووفق قوانين وأعراف تتمحور حول الشهامة والنبل. يبدأ الطقس بالتبدل بين حالات متطرفة ففتشاً الفصول (صيف/شتاء). تتشكل المحيطات الهائجة والصحارى

القاحلة بعد أن كانت الأرض تشبه الفردوس بطبيعتها الربيعية الدائمة. تبدأ الطبيعة البشرية تتحدر قليلاً من مستوى الكمال الذي تمتع به الأسلاف. هذا العصر يشهد بدايات الزراعة والتعدين والأعمال المختلفة التي يضطر إليها الإنسان من أجل العيش والبقاء. في هذا العصر تكون المعادلة [٧٥% فضيلة و ٢٥% خطيئة].

٣. العصر البرونزي (دوابارا يوغا): في هذا العصر تصبح البشرية ملطخة بصبغة دنيوية مظلمة مع جهل شبه كامل للحقائق الكونية بالإضافة إلى أن الإنسان لم يعد قوياً كما أسلافه، حيث يشهد انحطاط جسدي وعقلي وروحي. السعي يكون دائماً لتحقيق التفوق على الآخرين وكذلك السيطرة إذا ساحت الفرصة. الهدف الرئيسي للفرد هو إشباع الأنا الدنيوية التي لا تكتفي أبداً. الأمراض تتكاثر باطراد ويكون الناس في حالة دائمة من عدم الاكتفاء وطلب المزيد دائماً وهذا يدفعهم إلى قتال بعضهم البعض، والحروب الكبرى تصبح حالة مألوفة بين الدول. بدلاً من الاعتماد على الموارد الداخلية للإنسان (كاستخدام القدرات العقلية والروحية الخارقة) يجتهد دائماً إلى ابتكار تكنولوجيات تعوّض عن هذه القدرات الباطنية فتزدهر صناعة الأجهزة والأدوات المختلفة التي تخدم هذا الغرض. في هذا العصر تكون المعادلة [٥٠% فضيلة و ٥٠% خطيئة].

٤. العصر الحديدي (كالي يوغا): هذا هو عصر الجهل والهمجية والتخلف والظلامية بكل أبعادها. تنعدم الفضيلة كلياً والخطيئة تسود أينما كان وكيفما كان. يتحول الناس إلى عبيد لرغباتهم الدنيوية، وبعكس مرتبة أسلافهم الذين كانوا أشباه آلهة فقد انحدر الناس إلى مرتبة الحيوانات. المجتمعات تتصارع وتتفكك ويتحول أفرادها إلى كذابين ومناققين. تضيع المعرفة الأصيلة تماماً ويتم تزوير النصوص الدينية بهدف استعباد الرعايا. يبدأ الناس بمعاملة بعضهم البعض كالحيوانات حيث يسود الخطف والسبي وتجارة الرق والاستعباد بأبشع صورته. تتلوث البيئة وتسخّ موارد الماء والطعام حيث الطبيعة عموماً تصبح عقيمة ويتضاءل إنتاجها. هذا هو عصر الجهل والانحطاط الأخلاقي حيث الهمجية والوحشية تسود بين الناس بأبشع صورة. في هذا العصر تكون المعادلة [٢٥% فضيلة و ٧٥% خطيئة].

.....

العصور الأربعة خلال دورة الصعود والهبوط

وفق التاريخ الجاري لعالمنا

في الصفحات السابقة وصفت كل من العصور الأربعة في حالتها المجردة أي بعيداً عن سياق طبيعتها الدورية المتسلسلة، أي مجردة من أي سياق زمني محدد، لكن هذا لا يجعل الصورة كاملة حيث العصر البرونزي مثلاً تختلف حالة صعوده من العصر الحديدي المتخلف عن حالة هبوطه من العصر الفضّي المتطور. وبالإضافة إلى ذلك، فإن العصر البرونزي الصاعد قبل مئات آلاف السنين يختلف عن العصر البرونزي الصاعد قبل عدة آلاف من السنين، لهذا السبب لا يمكن وصفه بدقة خارج سياق زمني محدد. فيما يلي وصف لهذه العصور الأربعة خلال آخر دورة لازالت تمرّ بها الكرة الأرضية صعوداً وهبوطاً:

العصر الذهبي

من العام ١٦.٣٠٠ ق.م حتى العام ٦٧٠٠ ق.م

الوعي العالمي (كافة الكائنات الحيّة) يسوده وعي صافي تماماً وكذلك الإدراك البديهي المباشر، أي كل مسألة نفكر فيها يأتيها حلّها المناسب بشكل بديهي. كما تسود حالة إدراك مباشر للذات الحقيقية (النفس العليا) والتواصل معها يكون سهلاً. الجميع فهم سرّ الحياة المادية ويعلم أنها مدرسة وجب على الفرد خوضها لتعلّم الدروس والحكم التي تزيد من مستوى الوعي لديه. كانت البيئة الأرضية تشبه الفردوس تماماً حيث البهجة والسعادة الدائمة. كانت البساطة سائدة في كل شيء حيث ليس هناك تكنولوجيات معقّدة بل فقط قوة الفكر التي تضاهي أعقد التكنولوجيات في تحقيق الرغبة المرجوة. إن قدرات الإنسان العقلية والروحية وكذلك دوافعه النبيل تفوق التصرّ وبالتالي لا نستطيع استيعابها وشرحها بالكلام. كان مفهوم الخالق [جلّ جلاله] واضح ومفهوم بشكل جلي، بعكس الحالة التي نعاني منها اليوم حيث مفهوم الخالق يختلف بين دين وآخر إذ صار له معاني كثيرة. نظروا إلى الخالق [جلّ وعلا] بصفته حالة من الوعي الصافي المطلق

بحيث يتجاوز حدود الهيئة والمحدودية. وأن وجودنا المتجلي هو تعبير حتمي ومركب عن هذا الوعي المطلق. كان البشر (وكافة الكائنات الأخرى) يتواصلون بالتخاطر ويحوزون على كل ما يرغبونه بواسطة الفكر! إذا اشتهيت أكل تفاحة فما عليك سوى التفكير بها وستكون في يدك خلال لحظة! إذا فكرت في السفر إلى مكان معين، مهما كانت المسافة الفاصلة، فما عليك سوى التفكير به وسوف تجد نفسك في ذلك المكان! الحيوانات المفترسة تتصف بالوداعة والرقّة، حيث ما من داعي لشرستها لأنها مكتفية وآمنة ومطمئنة وكل ما ترغبه تخلقه بواسطة الفكر. كافة أشكال العدوانية منعدمة تماماً. كان العالم يشبه الفردوس بكل ما تعنيه الكلمة. البهجة التي سادت في هذا العصر لا يمكن وصفها وفق مفاهيمنا الحالية.

العصر الفضي

من العام ٦٧٠٠ ق.م حتى العام ٣١٠٠ ق.م

الوعي العالمي أصيب بفقدان الإدراك البديهي للوعي الكلي الكامن وراء كل شيء. بالإضافة إلى فقدان معظم القدرات الروحية العجيبة التي تتبع من الذات الجوهرية بينما القدرات العقلية الخارقة التي هي أقل منزلة فبقيت قائمة لكن بأدنى درجاتها. رغم فقدان تواصله البديهي مع الوعي الكلي الذي كان مندمجاً معه سابقاً إلا أن الإنسان بقي محافظاً على بعض من قواه الخارقة لكنها أقل منزلة من تلك التي تمتع بها في العصر السابق. هذا العصر شهد ظهور المعلمين الأجلاء الذين لازلوا يتمتعون بالوعي الذي تمتع به أسلافهم في العصر الذهبي، لكنهم قلائل، فراحوا يعلمون الأقل منهم منزلة كيف يستنهضون تلك القوى العجيبة التي تمتع بها الأسلاف، وذلك عبر دروس منهجية خاصة وعبر اتباع وسائل محددة تتطلب مجهود عقلي وروحي مثل رياضة اليوغا. لازال الإنسان في هذا العصر يسلم بحقيقة أن الفكر هو الذي يقبع وراء خلق كل شيء موجود في العالم المادي (أي معادلة الفكر - الطاقة - المادة). أصبحت القوى الخارقة في هذا العصر تُسخر لغايات دينوية لكن وفق حدود منضبطة حيث لا زال سلوك الإنسان محكوماً بقوانين أخلاقية راقية ونبيلة. الآثار العملاقة التي لازالت تمثل عجائب هندسية عصية عن التفسير وفق معرفتنا العلمية الحالية تم تشييدها في هذا العصر، حيث معظم

هذه الإنجازات العمرانية العجيبة تم تشييدها وفق طرق معينة استخدمت فيها قوى عقلية خارقة يصعب علينا استيعابها بالاعتماد على طريقة تفكيرنا الحالية. مثلاً، الحجارة التي استخدمت لبناء بعض الصروح الأثرية الماثلة أمامنا اليوم تزن مئات الأطنان وبالتالي يصعب على أي رافعة ميكانيكية أو قوة عضلية بشرية رفعها ونقلها مهما كان عدد الأفراد، بل تم استخدام وسائل تدخل فيها طاقة خارقة نابعة من العقل، مثل ظاهرة خلق كينونات فكرية تقوم بأعمال تتوب عن الآلات (أنظر في موضوع أبو رافع في الجزء الثالث من هذه المجموعة). لكن هذه الطريقة الخاصة لاستخدام القوى العقلية اندثرت مع زوال هذا العصر وتحولت في العصر التالي إلى أعمال سحرية أقل منزلة وكانت في معظمها أقرب إلى الشعوذة الوضيعة المتمحورة حول عبادة الأصنام وتحضير الأرواح والكائنات الخفية المختلفة كالجن والعمالقة لتحقيق غايات دنيوية تافهة.

العصر البرونزي

من العام ٣١٠٠ ق.م حتى العام ٧٠٠ ق.م

الوعي العالمي أصيب بفقدانه لإدراك حقيقة أن عنصر الفكر يفوق الطاقة في المنزلة، وبالتالي كان التركيز على الطاقة وحدها بصفقتها العنصر الذي يقبع وراء المادة بينما العنصر العقلي (الفكر)، الذي هو الأساس، أصبح خارج المعادلة تماماً. في هذا العصر، مُنحت الأولوية لرغبات الأنا والمصلحة الذاتية، كما شهد هذا العصر ظهور المدن والتجمعات السكانية الكبرى وازدهار التجارة والميل إلى تجميع الثروات. كما ذكرت سابقاً، كان الإنسان في هذا العصر يستوعب جيداً حقيقة أن الطاقة تكمن وراء المادة. بالتالي بدلاً من استنزاف المجهود في تطوير تقنيات معقدة لتوليد الطاقة، استطاع أبناء هذا العصر استخدام العلم الذي توارثوه من أسلافهم في العصر السابق لكي يخلقوا الطاقة بطرق لازالت غامضة بالنسبة لنا، وهذه الوسيلة وفرت عليهم تلك المرحلة الوسيطة المتمثلة ببناء محطات توليد كهربائية تستخدم الوقود أو الطاقة النووية أو الطاقة الشمسية أو الرياح أو غيرها. كانوا مثلاً يعالجون نوع من الحجارة شبه الكريستالية بحيث يجعلونها تضيء كما لو أنها لمبات كهربائية تشع بالنور. (ذكرت هذه التقنية في كتاب فوانيس أطلنطس). يوجد الكثير من الأنفاق تحت الأرضية التي حفرها

القدماء والتي حيرت علماء الآثار بخصوص وسائل الإنارة التي استخدموها، حيث لم يجدوا أي أثر للمشاعل أو الشموع أو غيرها من وسائل إنارة مألوفة. بالإضافة إلى حجارة للإنارة، نجد أن القدماء استخدموا حجارة خاصة للتدفئة وكذلك للطبخ وغيرها من أعمال مشابهة تتطلب حرارة. أما كيفية جعل الأحجار تولد حرارة عالية فلا زالت غامضة بالنسبة لكل من بحث في هذا الموضوع. هذا ولم نتحدث عن الأبواب الحجرية التي تفتح وتغلق لوحدها حيث يتم تفعيلها عبر النفخ في فتحة بالجدار أو الدعس على بلاطة خاصة في الأرض.. وغيرها من تقنيات أخرى تحدث عنها علماء الآثار والتي تمثل ظواهر عجيبة فعلاً لكنها تعتمد على طاقة غامضة عجز العلم عن تفسيرها ولازلنا اليوم نعتبرها سحرية!

العصر الحديدي

من العام ٧٠٠ ق.م حتى العام ١٧٠٠ م

الوعي العالمي أصيب بفقدانه لإدراك حقيقة أن الطاقة تكمن وراء المادة، إذ بسبب الجهل المطلق الذي أصاب البشرية في هذا العصر، راح الناس يعزون الظواهر التي لا يفهمونها إلى قوى سحرية ماورائية ليس لها أي أساس واقعي. كانت الخرافات هي السائدة والتخلف والهمجية لهما اليد العليا. تدهور مستوى الوعي إلى أدنى درجاته حيث الاهتمام منصب كلياً على الأمور المادية المرئية والمسموعة إذ يعجز التفكير أن يذهب أبعد من ذلك حيث الطاقة الكامنة ماوراء المادة. إشباع الحاجات الجسدية (الغريزية) كان الهدف الأول والأخير. أدنى مستوى الانحطاط حصل في العام ٥٠٠م الذي يمثل النقطة الوسطى للعصر الحديدي. لهذا السبب نلاحظ الوحشية والهمجية التي تتصف بها بعض الأديان التي نشأت في هذه الفترة ولا زالت قائمة حتى اليوم. في الحقيقة فإن لتلك الأديان أصول عريقة ضاربة في التاريخ، لكن التفسيرات الخاطئة لهذه التعاليم الدينية والتي نشأت في هذه الفترة الزمنية هي تفسيرات همجية بكل المقاييس، خصوصاً إذا قارناها بمعايير السلوك العصرية، لهذا السبب نلاحظ أغلبية الناس اليوم ينفرون من ما تفرضه تعاليمهم الدينية لأنهم يرونها غير عقلانية وغير إنسانية وبعيدة كل البعد عن كونها روحية. المشكلة إذاً ليست في التعاليم الدينية بل في التفسيرات المشوهة لهذه

التعاليم. لا نستطيع القول بخصوص هذا العصر سوى أنه يمثل فترة انحطاط بكل المعايير، الأخلاقية والروحية والعلمية والإنسانية والفنية والأدبية والحضارية. كان الإنسان أقرب إلى الحيوان المتوحش من كونه إنسان وديع. التدمير الذي أصاب المنجزات العمرانية للحضارات العظمى ومنتجاتها الثقافية والعلمية والفنية في هذه الفترة كان هائلاً ويدمي القلوب فعلاً! كانت التحف والآلات والأدوات وغيرها من مبتكرات علمية تُحطّم بشكل وحشي وذلك بحجة أنها بدع شيطانية شريرة! كل شيء غريب عن مفهوميهم الهمجي الوضيع كان يُنسب إلى الشيطان وغيره من كائنات خرافية شريرة فيدمرونه دون تردد. ما فعله أسلافنا المتوحشين في هذا العصر تجاه المنجزات الراقية للحضارات المتطورة مثل لعنة بكل ما تعنيه الكلمة من معنى! لعنة شريرة سوداء أصابت الأرض وما عليها من إنجازات حضارية راقية.

العصر البرونزي

من العام ١٧٠٠م حتى العام ١٠٠٠م

هذا هو العصر الذي نحن فيه حالياً (٢٠١٤م) وبالكد اقتربنا من ١٥% من مدته الإجمالية التي تفوق ٣٥٠٠ سنة. عاد مستوى الوعي البشري إلى الارتقاء مرة أخرى، لكن الرحلة نحو التنوير لازالت طويلة ونحن لازلنا في بداية الطريق، لكن المهم أننا انطلقنا في هذه المسيرة التصاعدية وهذا هو المهم. نحن اليوم نعتمد على تقنيات مؤذية للبيئة (الوقود، التفاعل النووي، سدود مائية.. إلى آخره) لإنتاج الطاقة الكهربائية، لكن سوف يأتي اليوم الذي نستغني فيه عن هذه التقنيات المؤذية بحيث نستطيع استخلاص الطاقة الكهربائية مباشرة من الأثير. قد لا نتمكن من استيعاب تلك الوسائل التي استخدمها أسلافنا الذين عاشوا في العصر البرونزي السابق لأننا لا زلنا نعتبرها ماورائيات خرافية، لكن سنصل في النهاية إلى إيجاد تقنية نظيفة مناسبة. بالإضافة إلى أننا لا زلنا عاجزين عن استيعاب المصدر الفعلي لقوة الجاذبية، لكن مع تقدمنا في هذا العصر ومع ارتفاع الوعي لدينا، سوف نتمكن في النهاية من استيعاب هذه القوة ونسخرها لصالحنا. كما العصر البرونزي السابق، فإن هذا العصر محكوم بالأثانية والمصلحة الذاتية، لكن على الجانب الآخر فهو يشهد صحة فكرية ومعرفة متقدمة

بمجال الطاقة. إن ظهور نظريات ثورية مثل النظرية النسبية والنظرية الكمومية يجعل الإنسان يقترب أكثر إلى الأجوبة التي كان أسلافنا في العصر البرونزي السابق يعرفونها بخصوص العلاقة الجوهرية بين الطاقة والمادة. لكن كما حالة أسلافنا في العصر البرونزي السابق، لازال الإنسان في هذا العصر بعيد عن فهم الدور الجوهرى للفكر في المعادلة، حيث العنصر العقلي هو الأساس. لقد سلم علمائنا في هذا العصر بأن الكون المادي مؤلف من طاقة متذبذبة، حيث الذبذبة هي أساس كل شيء موجود، أما العنصر العقلي فلازال خارج المشهد حتى الآن.

رغم أن الإنسان في هذا العصر توصل إلى تقنيات تدميرية هائلة مثل القنبلة النووية، إلا أنه يتمتع بدرجة كافية من الوعي التي تدفعه إلى تجنب ذلك المصير المشؤوم المتمثل بالدمار الشامل للكرة الأرضية. لكن هناك تدمير جزئي ينتظر عالمنا وهو خارج عن إرادة الإنسان ويتمثل بالكوارث الطبيعية. صحيح أنها خارجة عن إرادة الإنسان لكنها نتيجة حتمية لتصرفاته. بالإضافة إلى التلوث البيئي الذي يساهم فيه يوجد سبب آخر لا يفتن له أحد وهو الطاقة السلبية الناتجة من التفكير السلبي للبشرية. إن التوتر العقلي والعاطفي الذي ينتجه البشر في عالمنا العصري يؤثر بشكل خفي، لكنه فعال جداً، على الطقس وحتى على بنية الكرة الأرضية، فينتج الأعاصير المدمرة والطوفانات والزلازل.. إلى آخره. بسبب طريقة الحياة الشاذة التي صنعها الإنسان العصري لنفسه والموبوءة بالشهوة والرغبة الموجهة للملذات مثل الجنس والمواد المسكرة والمخدرة وهذا مختلط مع الطمع لكسب المزيد والغضب الناتج من عدم تحقيق هذه الرغبات الدنيوية كل هذا سوف يؤدي في النهاية إلى إطلاق كميات هائلة من الطاقة السلبية المؤثرة جداً على كوكب الأرض. لكن علمائنا لا ينتبهون لهذه العوامل الخطيرة لأن عنصر العقل لازال خارج معادلة الطاقة/المادة كما شرحت سابقاً.

في هذا العصر البرونزي الصاعد، إن الافتتان بالمغريات الدنيوية مثل الجنس والمسكرات المخدرة والمال (الطمع) هو قوي جداً وعندما يعجز الفرد عن الحصول على ما يكفي من هذه المغريات (وسوف لا يكتفي أبداً) يتولد الغضب والتوتر. إن حقيقة أن هذه المغريات تؤدي حتماً إلى الغضب تمثل برهان على أننا نسير في درب مؤدية نحو

العبودية وليس الحرية. كم هي حزينة حقيقة أننا أصبحنا في ١٥% من العصر البرونزي الصاعد ولا زلنا مجتمعات استهلاكية نعبد المال ونلهث وراء المغريات لإشباع غرائزنا وبطريقة شاذة غير سليمة. بعد عدة قرون من الآن سوف ينظر أحفادنا إلينا ويشمئزون من مشاهد قبيحة تصوّر طريقة حياتنا المقززة. لكن الذنب ليس ذنبنا على أي حال، حيث لا زال العصر الحديدي يؤثر علينا إذ بالكاد خرجنا منه ولا زالت عالقة فينا الكثير من سماته الحيوانية السلبية المختلفة.

العصر الفضيّ

من العام ١٠٠٠م حتى العام ٧٧٠٠م

بدلاً من الأنانية والمصلحة الذاتية وبدايات الصحوة الفكرية التي اتسم بها الوعي الجمعي في العصر السابق، فإن هذا العصر يشهد سيطرة كاملة على الذات. سوف يُستخدم الفكر للتواصل تخاطرياً وكذلك يستخدم للتأثير على الأشياء المادية. الإنسان في هذا العصر لن يحتاج التقنيات المعقّدة لكي يحقق إنجازات عظيمة مثل تحويل بنية المواد الفيزيائية أو الكيماوية أو التحكم بالقوى الطبيعية حيث فكره يكفي لتحقيق ذلك. لم يعد الكلام المقروء أو المكتوب ضروري للتواصل بين البشر حيث التخاطر الفكري يكفي لهذا الغرض. لم نعد بحاجة إلى كمبيوترات ولا شبكة إنترنت ولا التعليم المدرسي أو غيرها من أمور ذات صلة حيث الفكر يستطيع سبر واستيعاب أي موضوع حسب الرغبة. بسبب القدرة على قراءة الأفكار وسبر خواطر الآخرين لم يعد ممكناً الخداع أو الغدر أو أي عمل مؤذي يعتمد على أفكار ونوايا أو مخططات مبيّنة حيث سيتم اكتشافها فوراً قبل تنفيذها. بما أن تكويننا الجسدي وحالتنا الصحية عموماً يتم إملاتها من قبل العقل الباطن أي أفكارنا المسبقة المزروعة على شكل قناعات في اللاوعي لدينا هي التي تقرر حالتنا الصحية فهذا يعني أن تغيير القناعات السلبية يؤدي حتماً إلى حصول تغييرات جذرية في وظائف أجسادنا وحالتنا الصحية عموماً. سوف يتمكن الإنسان في هذا العصر من إجراء تعديلات مناسبة في عقله الباطن بحيث يخلق حالة جسدية وصحية جيّدة دائماً وأبداً.

بفضل قوته الفكرية النافذة، سوف يتمكن الإنسان من سبر واستيعاب القوى الماورائية التي تمثل مصدر كافة القوة الكهربائية والمغناطيسية المتجلية في الطبيعة والتي تمثل أساس وجودها أصلاً. سوف يتمكن أيضاً من تجاوز الحدود الزمنية التي تضبط نمو النباتات أو حتى نمو الأجسام الحيوانية (يصبح إلغاء التسلسل الزمني أمر ممكن)، أي يستطيع أن يسرع نمو المزروعات بحيث يزرع الحقل اليوم ويحصد المحصول غداً! الأمر ذاته يصبح ممكناً مع الكائنات الأخرى. بفضل القوة الفكرية الهائلة التي سوف يتمتع بها الإنسان في هذا العصر لم يعد هناك حدود للإنجازات التي يمكن أن يحققها بقوة الفكر. لكن السمة الأبرز لهذا العصر هي العودة إلى الحياة البسيطة الخالية من التقنيات المعقدة التي يتم استبدالها كلياً بوسائل بسيطة تعتمد على قوة الفكر. تبدأ الطبيعة بعدها باستعادة عافيتها وازدهارها بحيث تخلو كلياً من الملوثات التي تخلفها التقنيات المعقدة.

العصر الذهبي

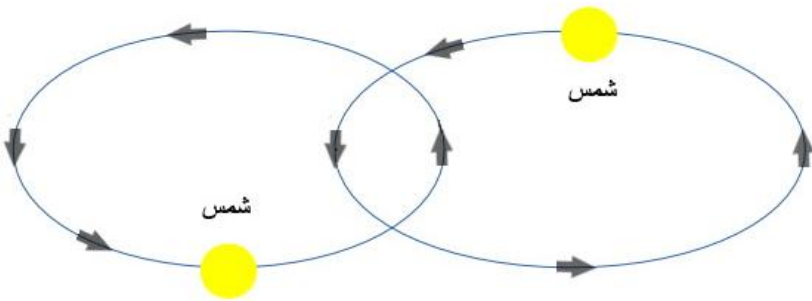
من العام ٧٧٠٠م حتى العام ١٢٠٥٠٠م

هذا العصر يشهد وصول الوعي الجمعي إلى ذروة التتور. سوف يعود الفردوس المنتظر ليتجلى على الأرض مرة أخرى، وسماته هي ذاتها التي تجلت في العصر الذهبي السابق. هذا العصر سيسود لمدة طويلة من الزمن قبل أن تتحدر البشرية مرة أخرى نحو الحضيض.

بالعودة إلى ما زعمه المعلم "سري يوكتيسوار غيري" بخصوص وجود شمس أخرى تمثل توأماً لشمسنا، ونتساءل: هل كانت مجرد فرضية من بنات أفكار الرجل، أم أن لها أساس علمي بحيث استقاها من مراجع ثابتة؟ هل يوجد أساس منطقي لهذه الفرضية؟ أم أنها مجرد فكرة تم ابتكارها لتفسير بعض الغوامض الفلكية في سلوك الكرة الأرضية والمجموعة الشمسية عموماً؟ سوف نتعرف على الكثير من الإجابات الشافية لهذه التساؤلات في الموضوع التالي:

الشمس التوأم

ربما تكون هذه أول مرة تتعرف على هذه الفكرة التي قد تصيبك بالصدمة. لكن يبدو أن هناك الكثير بخصوص هذه الفكرة التي تجعلها حقيقة ثابتة لا يمكن نقضها بسهولة. المشكلة ليست في مصداقية هذه الحقيقة العلمية الثابتة بل في عدم اعتيادنا عليها كواقع مسلم به. في الحقيقة هذا أحد الأسباب التي تجعلنا لا نثق كثيراً بالعلم المنهجي الذي يُفرض علينا في المدارس. هناك الكثير من الحقائق في الطبيعة من حولنا والتي رغم تجليها بوضوح أمامنا إلا أن العلم يتجاهلها كلياً وكأنها لم تكن. أما بخصوص وجود شمس أخرى في الفضاء وتمثل توأم لشمسنا وكلاهما يدوران حول بعضهما، صحيح أن الفكرة لا يمكن استيعابها للوهلة الأولى لكنها تعتبر من الظواهر المألوفة في مجال علم الفلك العصري، إذ جميع علماء الفلك يسلّمون بحقيقة أن ٨٠% من النجوم التي يدرسونها في الفضاء هي ذات طبيعة ثنائية binary systems، أي أنها تدور حول بعضها البعض، أما الـ ٢٠% الباقية فلم تتوفر وسائل المراقبة المناسبة لاكتشاف طبيعتها الازدواجية، وهذا يجعل الطبيعة الثنائية للنجوم هي السائدة بينما الطبيعة الفردية هي الحالة الشاذة. وفقاً لما سبق نستنتج أن شمسنا إذا كانت منفردة (كما اعتدناها أن تكون) فهذا يجعلها حالة شاذة وليست طبيعية.



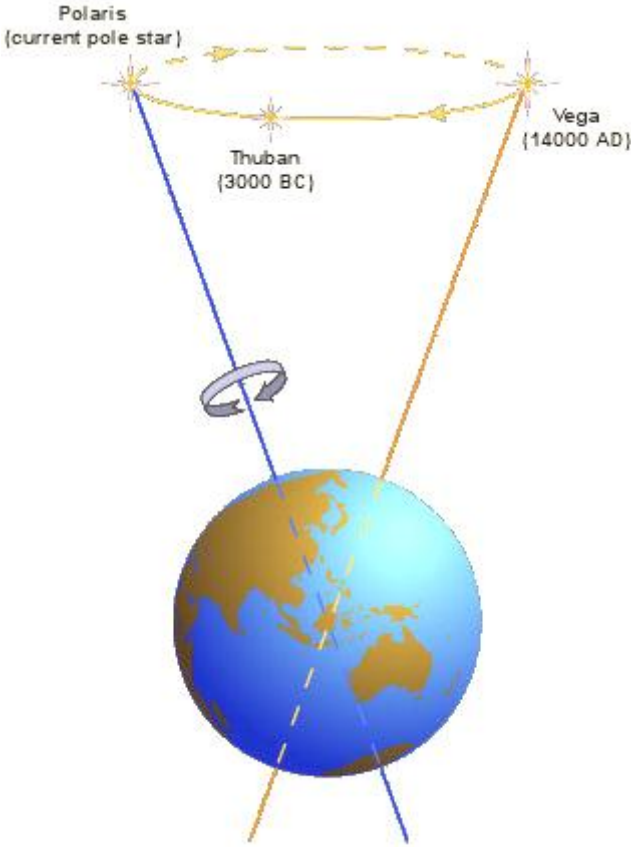
وفقاً للمنطق الجديد لعلم الفلك العصري، كافة النجوم ذات طبيعة مزدوجة، أي لكل نجم توأمه الذي يقترب وبيّعد عنه وفق مدار خاص، أي كلا النجمين يدوران حول بعضهما البعض. هذه الحالة لا تستثني شمس مجموعتنا.

أما بخصوص مدة اكتمال دورة الشمس حول بعضها فهي بين ٢٤.٠٠٠ و ٢٦.٠٠٠ سنة، وقد توصلوا إلى هذا الرقم بالاعتماد على عدة ثوابت فلكية لكن أهمها هي ظاهرة تقدم موقع الثريات خلال الاعتدالين السنويين للكرة الأرضية *precession of the equinoxes*.

الاعتدال equinoxe هو الزمن الذي يتساوى فيه الليل والنهار في شتى أنحاء العالم. ويصادف الاعتدال الربيعي والخريفي يومين في السنة، وذلك عندما تكون الشمس عمودية فوق خط الاستواء بشكل مباشر. وفي هذا الوقت، يكون طول الليل والنهار متساويين تقريباً في كل بقعة من بقاع الأرض. ويحدث الاعتدال الربيعي في العشرين أو الحادي والعشرين من شهر مارس وفي الثاني والعشرين أو الثالث والعشرين من شهر سبتمبر. وفي نصف الكرة الشمالي يحدث الاعتدال الربيعي في شهر مارس، بحيث يعلن عن بداية شهر الربيع. وغالباً ما يُطلق عليه الاعتدال الربيعي. أما اعتدال شهر سبتمبر، فيعلن عن بداية شهر الخريف ويسمى الاعتدال الخريفي. ويكون الحال في نصف الكرة الجنوبي على النقيض من ذلك.

ظاهرة التقدم *precession* تمثل تلك الحالة التي تبدو فيها الثريات النجمية في حالة حركة دورية بحيث تكتمل دورتها (من منظور الكرة الأرضية) كل ٢٥.٩٢٠ سنة. وخلال هذه الدورة البطيئة جداً تبدو الثريات النجمية بأنها تدور حول الأرض مما يجعلها تتغير مواقعها في السماء بين حين وآخر.

على هذه الظاهرة الدورية اعتمد الإغريق في تحديد مدة السنة الكبرى التي أسلفت ذكرها. جعلوا هذه السنة مؤلفة من ١٢ شهر، وكل شهر مدته ٢١٦٠ سنة، وكل من هذه الشهور مرتبط بثريا نجمية خاصة وبرج فلكي خاص. لقد أصبح مألوفاً اليوم حقيقة أننا في أواخر عصر برج الحوت الذي ساد أكثر من ألفي عام، ونسير ببطء نحو برج الدلو (هذه الدورة الكبرى تسير إلى الوراء لهذا السبب يأتي برج الدلو بعد الحوت وليس الحمل).



بالإضافة إلى حركة مواقع الثريات النجمية، فإن النجم القطبي يتغير بين حين وآخر. مثلاً، في العام ٣٠٠٠ قبل الميلاد كان نجم الثعبان THUBAN هو الذي يمثل النجم القطبي، وبعد حوالي ١٢ ألف سنة يصبح نجم النسر الواقع VEGA هو النجم القطبي.

خلاصة: من خلال ظاهرة تقدم موقع الثريات خلال الاعتدالين السنويين precession of the equinoxes، تبين أن الدورة الكاملة (٣٦٠ درجة) لهذا التقدم البطيء تتم خلال ٢٥.٩٢٠ سنة، وبعد تقسيم حزام الثريات المحيط بالكرة الأرضية إلى ١٢ قسم (برج)، ينتج لدينا ٢١٦٠ سنة مدة كل برج. أي أن كل ٢١٦٠ سنة يظهر برج جديد في الأفق، وهذا البرج يتحرك درجة واحدة كل ٧٢ سنة، وبعد مسيرة ٣٠ درجة يكون قد احتل مكانه برج جديد في الأفق.

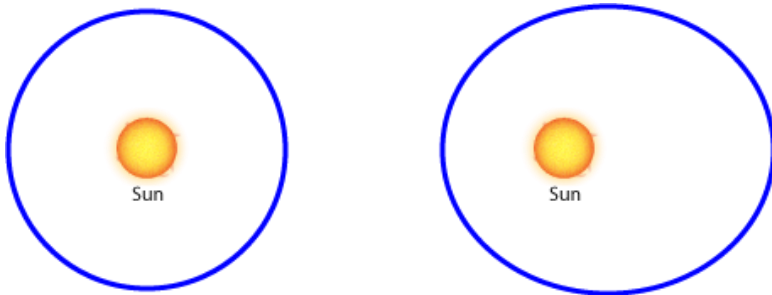
لكن السؤال الكبير هو: لماذا اهتم القدماء بهذه الظاهرة الفلكية المتعلقة بمبادرة الاعتدالين؟ لماذا منحوا أهمية كبرى لهذه الدورة الكبرى الناتجة من تقدم الثريات خلال الاعتدالين، والتي سموها السنة الكبرى (مدتها ٢٥.٩٢٠ سنة)؟ يبدو أنه عبر تناوب الفصول المختلفة لهذه السنة الكبرى نشهد تبدلات جذرية في الوعي البشري ومستوى الحضارات على وجه الأرض. تحدث القدماء الصينيين والهنود والمصريين والإغريق وحتى حضارات أمريكا الجنوبية عن تناوب مستوى الحضارات بين قمة الازدهار والمجد وبين حضيض الانحطاط والجهل والهمجية، وربطوا هذا التناوب بالسنة الكبرى أو الدورة الكبرى والتي نحن بصدها الآن. هذا يعني أنهم فهموا جيداً تلك الدورة الفلكية الكبرى التي لا يمكن مقاومة تأثيرها الجذري علينا مهما اتخذناه من اجراءات. عندما يحين موعد الانحطاط فسوف يحصل حتماً، وعندما يحين موعد الارتقاء فسوف يحصل حتماً. لهذا السبب كان القدماء يهتمون بموقع الثريات (لأبراج الفلكية) في حزام دورة السنة الكبرة لأنها الأساس بينما المجهود البشري مهما كان مثمراً فلا يعني شيئاً أمام المصير المحتوم. لهذا السبب نجد أن القدماء كانوا مهوسين بهذه الدورة الكبرى وتأثيراتها.

أول من تناول ظاهرة مبادرة الاعتدالين محاولاً تفسيرها بشكل علمي هو إسحق نيوتن وتقدم بنظريته الشهيرة باسم "المبادرة الشمس/قمرية" Lunisolar Precession التي تفسر هذه الحركة التراجعية البطيئة للثريات خلال الاعتدالين بناء على التجاذب القمري الشمسي، أي أن الكرة الأرضية تتأرجح خلال دورانها نتيجة تفاعل القوة الجاذبية للكرة الأرضية مع تلك التي للشمس والقمر. مع أنه حتى في زمانه تعرضت نظريته للانتقاد من قبل الكثير من العلماء البارزين لكنها بقيت قائمة رغم ذلك كله. جميعنا نعلم أن نيوتن ارتقى إلى مرتبة القدسية بحيث يستحيل انتقاد أي من نظرياته التي تعتبر مسلمات مقدسة. لطالما أخطأت معادلاته التي تناولت الكثير من الظواهر الفلكية خصوصاً نظريته التي تسمى "المبادرة الشمس/قمرية" Lunisolar Precession مما اضطر تدخل من قبل فلكيين آخرين لإصلاح تلك العيوب في محاولة منهم لتقريب تلك المعادلات الرياضية إلى الواقع بأكبر قدر ممكن. نذكر أن نوتن أصبح شخصية مقدسة وبالتالي لا يمكن إلغاء نظرياته ومعادلاته الخاطئة ورميها في الزبالة بكل بساطة، بدلاً من ذلك بذلوا جهود كبيرة لترقيع تلك النظريات والمعادلات لكي تصمد عبر الزمن.

لكن مع تقدم العلم وحصول الكثير من الاكتشافات الفلكية الجديدة، كافة الدلائل أصبحت تشير بوضوح إلى أن ظاهرة بمبادرة الاعتدالين لا تنتج من تأرجح الكرة الأرضية خلال دورانها كما زعم نيوتن بل هي ناتجة من دوران كامل المجموعة الشمسية وفق مدار بعيد المدى بحيث تكتمل دورته كل ٢٦.٠٠٠ سنة.

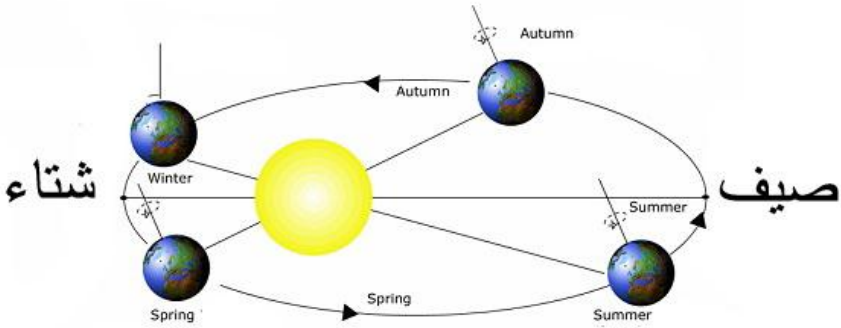
لطالما اعتدنا على فكرة أن مجموعتنا الشمسية هي ثابتة في مكانها دون حراك بينما الحركة تكون فقط للكواكب والأقمار التي تدور حول الشمس، لكن هذه أيضاً فكرة خاطئة وغير واقعية. تبين أن مجموعتنا الشمسية بالكامل تسير ضمن مدار ثابت لكنه واسع المدى بحيث لم نشعر به مهما حاولنا مراقبته مباشرة، وما يثبت هذه الحقيقة هو وجود الكثير من الظواهر الفلكية المتعلقة بمجموعتنا الشمسية وظاهر مبادرة الاعتدالين هي إحداها فقط، بينما يوجد الكثير من الظواهر لكن شرحها معقد ويتطلب حسابات فيزيائية تتعلق بالوزن وسرعة الحركة والطردي المركزي وغيرها من عوامل مختلفة تتطلب حسابات واللجوء إلى معادلات رياضية معقدة لا مجال لشرحها هنا. لكن فيما يلي ظاهرة واضحة وبسيطة بحيث يمكننا استيعابها بسهولة:

هناك ملاحظة تنبه لها العلماء منذ البداية وتتمثل بمدار الكواكب حول الشمس الذي ليس دائرياً بل إهليجي أي بيضاوي الشكل (الشكل التالي). هذه الظاهرة تم إنسابها إلى أسباب مختلفة لكنها تبقى جميعاً مجرد فرضيات تعتمد تفسيراتها على فرضيات.



مدار الكرة الأرضية (وباقى الكواكب) يتخذ شكل إهليجي (بيمين)
وليس دائري تماماً (بيسار)

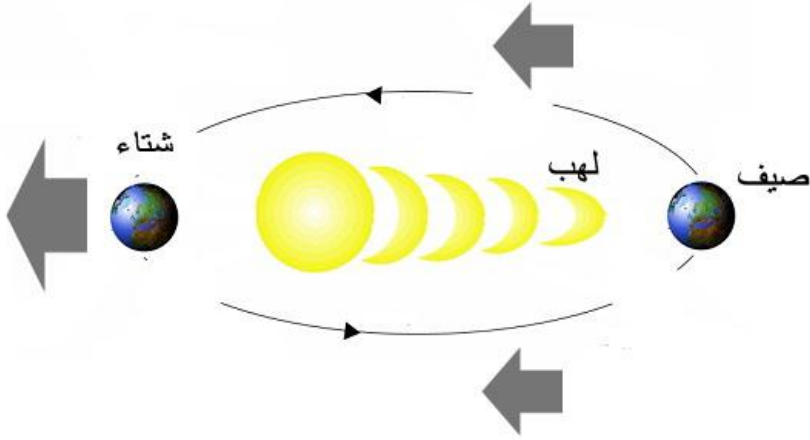
بالإضافة إلى ذلك، يوجد ظاهرة غريبة عجيبة لازال العلم يحنار في تفسيرها وهي أن فصل الصيف يحين معاده عندما تكون الكرة الأرضية في النقطة الأبعد من الشمس بينما فصل الشتاء يحين موعده خلال وجود الكرة الأرضية في النقطة الأقرب! وهذا منافي تماماً للمنطق العلمي ونظرته تجاه الطبيعة الشمسية.



كوكب الأرض يكون في أبعد نقطة من الشمس خلال فصل الصيف

المشكلة مع رجال العلم المنهجي هو اجتهادهم دائماً للالتزام بالنظريات التي وضعها أشخاص مقدسين مثل نيوتن وغيره من العلماء الذين يعتبرون الأولياء الأوائل للعلم المنهجي وبالتالي يتجاهلون الكثير من الحقائق الأخرى حتى لو كانت ماثلة أمام عيونهم. إن التفسير العلمي للظاهرتين المذكورتين سابقاً هو واضح وبسيط جداً يتمثل في أن الشمس مع مجموعتها كاملة هي في حالة حركة!

إن تحرك الشمس باتجاه محدد هو الذي خلق المدار البيضاوي للكواكب بدلاً من المدار الدائري. وكذلك أيضاً، إن حركة الشمس باتجاه محدد هي التي ترفع حرارة كوكب الأرض خلال فصل الصيف رغم وجوده في أبعد نقطة وذلك بسبب اللهب الشمسي المنبعث من حركة الشمس، أي تكون الشمس كما حالة الشهاب المسافر في الفضاء والذي يخلق وراءه ذيل نارياً. النقطة الأقرب (من الوجه الأمامي) الشهاب تكون باردة بينما النقطة الأبعد (من جهة ذيله) تكون حارة. إذا عدنا إلى الشكل السابق الذي يبين مدار الأرض حول الشمس وأجريننا بعض التعديلات سوف تتوضح الفكرة جيداً.



كامل المجموعة الشمسية تسير باتجاه محدد في الفضاء، وحركة الشمس تشبه سفر الشهاب في الفضاء بحيث تترك ذبلاً من اللهب. هذا هو تفسير ارتفاع حرارة الكوكب خلال وجوده في أبعد نقطة من الشمس فيتجلى حينها فصل الصيف.

ملاحظة: ذكرت في جزء سابق أن طبيعة الفصول الأربعة تحددها قوة صادرة من جوهر الشمس، هذا صحيح لكن مسألة الحرارة تختلف كلياً عن مسألة بعث الحياة في الأشياء. الحياة التي تنتفض في الطبيعة خلال فصل الربيع وتزدهر في فصل الصيف تختلف عن الحرارة التي يكون مصدرها مختلف تماماً وهو متعلق حصرياً بموضوعنا الحالي.

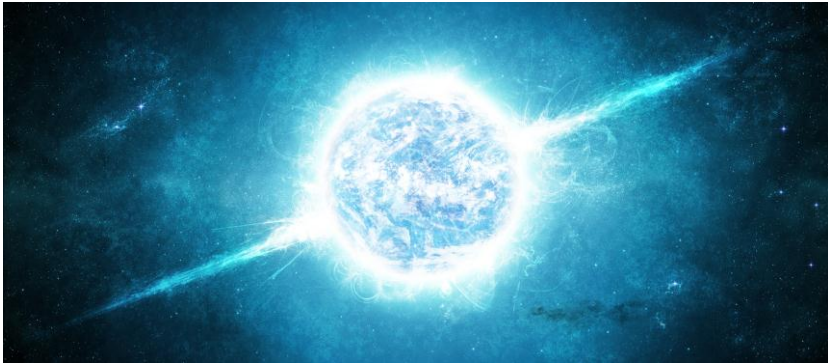
كما ذكرت سابقاً، يوجد الكثير من الظواهر الأخرى التي يمكن اللجوء إليها للبرهان على نظرية حركة الشمس عبر الفضاء لكنها طويلة ومعقدة رياضياً وسوف تحتل مساحة كبيرة من هذا الكتاب، لكن أعتقد أن البرهان السابق يكفي لإثبات الفكرة.

الآن جاء دور السؤال الأكبر والأهم: طالما أن شمس مجموعتنا تسافر في الفضاء وفق مدار بعيد المدى تتأغماً مع شمس أخرى تعتبر توأم لها بحيث هي أيضاً تسير وفق مدار متداخل مع مدار شمس مجموعتنا، فأين هي هذه الشمس المرشحة لأن تكون توأم شمس مجموعتنا؟ هل نستطيع رؤيتها في السماء؟ هل تم اكتشافها وتحديد هويتها؟ الموضوع التالي يحمل الجواب الشافي على كافة هذه التساؤلات.

نجم الشعرى

Sirius

تاريخه المثير عبر العصور ومرتبته الجلية بين كافة ثقافات العالم القديم



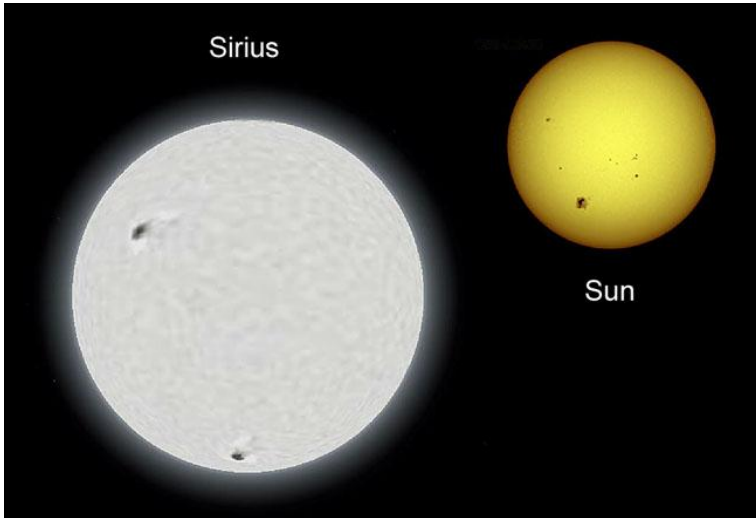
".. وإنه هورب الشعرى .." (الآية [٤٩] من سورة النجم)

لطالما سلّم بعض العلماء المعاصرون بضرورة وجود نجم توأم لشمس مجموعتنا لكي تكتمل معادلاتهم الرياضية التي تفسّر الكثير من الظواهر الفلكية المتعلقة بمجموعتنا الشمسية. تم نشر الكثير من الأوراق العلمية التي تزعم ضرورة وجود نجم توأم لكنها وصفته بأنه يجب أن يكون نجم قزم بني اللون ويصعب رؤيته بالعين المجردة لكن تربطه بشمسنا علاقة تجاذبية وثيقة. أطلقوا على هذا النجم الافتراضي اسم "نميسيس" Nemesis بعد افتراض ضرورة وجوده كسبب رئيسي لبعض الاضطرابات في الأجرام الدائرة ضمن نطاق المجموعة الشمسية. رغم التسليم بضرورة وجود هكذا نجم توأم لشمسنا إلا أنهم لم يحددوا هوية أو مكان هذا التوأم الافتراضي.

أما بالنسبة لباحثين آخرين، فإن النجم المرشح لأن يكون التوأم الفعلي لشمسنا فهو نجم الشعرى Sirius! واعتمدوا في استنتاجهم هذا على الكثير من البراهين الفلكية وحتى التاريخية حيث لهذا النجم تحديداً تاريخ حافل ومجيد بين كافة الحضارات القديمة. رغم تاريخه الحافل ودوره البارز بين كافة ثقافات العالم القديم إلا أن بعض العلماء لازالوا

مترددين في ترشيحه كتوأم لشمس مجموعتنا ومستندين بذلك على عدة أسباب أهمها أن نجم الشعري ليس أقرب نجم لمجموعتنا الشمسية حيث يبعد حوالي ٨ سنوات ضوئية، لكن أعتقد أن هذا السبب غير كافي لاستبعاد هذا النجم لأن الأسباب التي ترشحه هي كثيرة وقوية جداً كما سنرى لاحقاً. في الحقيقة يوجد الكثير من الدلائل والبراهين التي تجعله ممثلاً مناسباً لتوأم شمس مجموعتنا لدرجة أن الفرد يختار من أين يبدأ.

صحيح أن النجم الأنسب ليكون توأم شمس مجموعتنا يجب أن يكون الأقرب من حيث المسافة، وهذا ما يصرّ عليه العلماء المنهجيين، لكن في الحقيقة إن نجم الشعري يعتبر الأنسب بناء على الكثير من العوامل التي تعتبر أهم من مسألة المسافة. أهم هذه العوامل هو أن هذا النجم له درجة انزياح من خط استواء النظام الشمسي تبلغ ١٧ درجة، هذا مع العلم أن الأجرام في نظامنا الشمسي هي جميعاً في حالة تناغم مع نظام الشعيرة، حتى كوكب بلوتو وكذلك الجرم المكتشف حديثاً وسموه "سيدنا" Sedna يزيحان عن خط استواء النظام الشمسي ١٧ درجة.



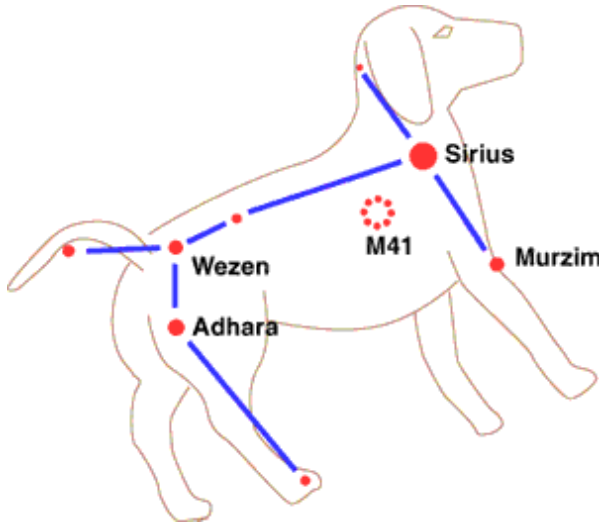
حجم نجم الشعري بالمقارنة مع حجم شمسنا . هو أكبر من شمسنا بمرتين وأكثر سطوعاً بعشرين مرة، وبالتالي خلال الحديث عن هذا النجم يجب أن نتصوّر شمس ضخمة تسبح في الفضاء وليس نجم صغير معلق في قبة السماء

يمكننا إضافة حقيقة فلكية أخرى وهي أن نجم الشعرى لا يتراجع بمساره عبر السماء كما باقي النجوم الأخرى بل يبقى على مسافة ثابتة تقريباً من مواقع الاعتدال الصيفي والشتوي وكذلك من مواقع الانقلاب الخريفي والربيعي وبقي على ذلك طوال قرون طويلة من المراقبة المستمرة، وذلك رغم ظاهرة التقدم *precession* (الثريات النجمية في حالة حركة تراجمية في السماء).

صحيح أن اهتمام العلماء العصريين كان حديثاً بهذا الموضوع لكن إذا عدنا إلى التاريخ سوف نكتشف بأن معظم الحضارات القديمة تملكها اهتمام كبير بتلك العلاقة الخفية بيننا وبين نجم الشعرى. لم يعد غريباً أن الحضارات القديمة قد فهمت بشكل جيد الميكانيكا الفلكية وبمستوى راقي يفوق مستوانا بأشواط. أكبر دليل على ذلك هو الدقة الرياضية لمراقبتهم وحساباتهم الفلكية المختلفة وهذا يمثل علم عريق يعود تاريخه إلى زمن غابر. لكن هناك المزيد بهذا الخصوص. إحدى القنوات المحفورة في الهرم الأكبر، والمنطلقة من غرفة الملكة نحو السماء هي مصوّبة نحو نجم الشعرى. هذا أكبر دليل على ثبات موقع هذا النجم في السماء. وهذا الثبات الدائم يعتبر السبب الجوهري الذي جعل المصريين القدماء، وكذلك حضارات عديدة أخرى، يستخدمون نجم الشعرى كنقطة علام لمسيرة الزمن لديهم حيث اعتمدوا عليه كثابت تاريخي يمكن الاستناد عليه.

إن الثبات المذهل لموقع نجم الشعرى في السماء طوال السنة هو الذي دفع المصريين القدامى إلى جعله محوراً لروزنامتهم لأنه ما من نجم آخر يفوقه ثباتاً. أشار إليه المصريون باسم "سوئيس" *Sothis* وربطوه بالإلهة إيزيس، الأم المقدسة. يعتبر الصعود الشمسي لنجم الشعرى (أي ظهوره من نقطة صعود الشمس بحيث يمكن رؤيته قبل شروق الشمس مباشرة) إشارة لبدء اليوم الأول للسنة المصرية وهو اليوم الذي يُستخدم لضبط منظومة الروزنامة المصرية. هذا الصعود الشمسي لنجم الشعرى يسبق مباشرة موعد طوفان النيل وكذلك موعد الاعتدال الصيفي. من خلال استخدام نجم الشعرى كبادئ للسنة الجديدة لم يعد المصريون يهتمون بمسألة السنوات الزائدة *leap years* (٣٦٦ يوم) وبالتالي روزنامتهم كانت أكثر دقة من الروزنامة الغريغورية *Gregorian* التي نستخدمها اليوم.

الأمر المثير هو أن الاهتمام بنجم الشعرى لم يقتصر على المصريين القدامى بل على كافة الحضارات القديمة، مثل سومر وابل وغيرهما، لكن الأمر الأكثر إثارة هو التشابه في المفاهيم والمصطلحات المتعلقة بهذا النجم. أهم التشابهات هو ذلك الذي يربط هذا النجم بمفهوم الكلب أو الذئب أو غيرها من حيوانات تنتمي لفصيلة الكلبيات. مثلاً، في علم الفلك الصيني والياباني يُعرف نجم الشعرى بـ"نجم الذئب السماوي". بين قبائل الهنود الحمر في أمريكا يشيرون إلى هذا النجم بأسماء أو عبارات مختلفة تتعلق بالكلبيات. مثلاً، "الكلب الذي يلحق أغنام الجبل"، أو "وجه الكلب"، أو "نجم الذئب" أو "نجم القيوط"، أو "كلب القمر". أما في الهند فيشيرون إليه باسم "سفانا" وهو الكلب الأمير. أما اليوم فنحن نسميه نجم الكلب كإشارة إلى بروزه في مجموعة الكلب الكبير النجمية.



مجموعة الكلب الكبير النجمية *Canis Major*، والشعرى أحد مكوناتها ولهذا غالباً ما يسمى نجم الكلب

أما في اليونان القديمة فقد كانت الفترة التي تتبع ظهور نجم الشعرى في الأفق تُسمى أيام الكلب الصيفية. وكانت أيام حارة جداً إلى درجة دفعت سكان جزيرة سيوس في بحر إيجه إلى تقديم الأضحيات لنجم الشعرى من أجل جلب النسيم البارد. كانوا يترقبون

ظهور النجم في بداية فصل الصيف، إذا كان النجم واضحاً فهذا دلالة على حظ جيد، لكن إذا كان شاحباً (غائماً) فهذه دلالة على حظ سيء مما يعني وبال من الشؤم.

نجم الشعرى والمحافل السرية المصرية



منذ الأزمنة القديمة وعبر العديد من الحضارات كان نجم الشعرى Sirius، أو نجم الكلب، يمثل محور لتعاليم غامضة. كافة التعاليم الباطنية وعبر كل العصور نسبت لهذا النجم أهمية كبرى ومنحته مكانة خاصة في الرموز السرية، وهذا وحده يكفي لإثبات أهميته البالغة. ما الذي يجعل هذا النجم مهماً بهذه الدرجة؟ هل لأنه يعتبر أكثر النجوم سطوعاً في السماء؟ أم لأن كامل الإنسانية متصلة بهذا النجم عبر رابط غامض غير واضح بعد؟

كافة البقايا الأثرية والمخطوطات التاريخية القديمة تكشف عن الأهمية الكبرى لنجم الشعرى في علم الفلك والأساطير والطقوس السرية لدى كافة الحضارات القديمة. المدارس السرية تعتبره "الشمس الكامنة وراء الشمس" وبالتالي هو المصدر الفعلي لقوة شمسنا. إذا كانت حرارة شمسنا تحافظ على الحياة في العالم المادي، فإن الشعرى يعتبر

الشمس التي تحافظ على الحياة في العالم الروحي. وفقاً للتعاليم السرية، شمس الشعري هي مصدر النور الحقيقي الذي يسطع من الشرق، هي النور الروحي الأصيل بينما شمسنا العادية تنير العالم المادي الذي يعتبر وهم كبير وفقاً لكافة التعاليم الباطنية.

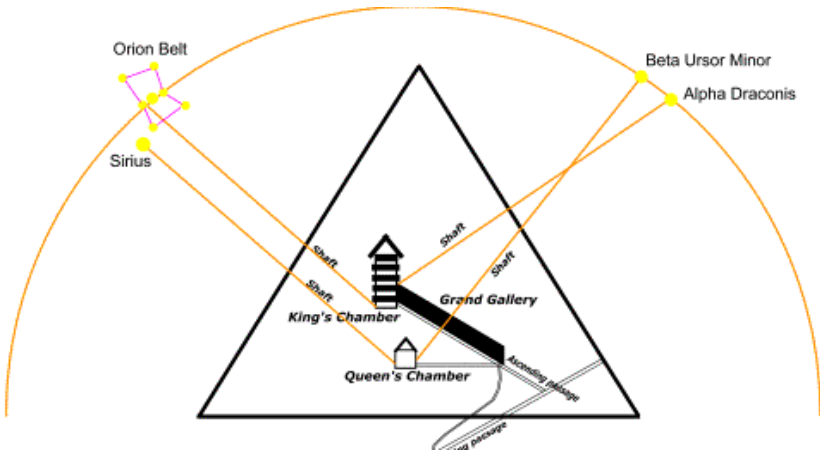
إن ربط الشعري بكل ما هو مقدس وحتى اعتباره موطن المعلمين الكبار للبشرية (مثل هرمز الهرامزة) لم يقتصر على الأساطير الخرافية لبعض الثقافات البدائية بل تمثل اعتقاد واسع الانتشار والذي صمد وحتى تعاضم عبر السنين حتى يومنا هذا.

في مصر القديمة، كان الشعري يعتبر النجم الأكثر أهمية في السماء. هو في الحقيقة يشكل الأساس الفلكي لكامل المنظومة الدينية المصرية. كان المصريون يقدسونه باسم "سوثيس" Sothis وكان يرتبط بالإلهة إيزيس، الإلهة الأم في الأساطير المصرية. كان المصريون القدامى يرفعون مرتبة الشعري إلى درجة أن معظم آلهتهم مرتبطة بطريقة أو بأخرى بهذا النجم. كان "أنوبيس" Anubis إله الموت ذو رأس الكلب، له علاقة واضحة بنجم الكلب، أي الشعري. وكذلك الإله "توث" (هرمز)، معلم البشرية العظيم، كان مرتبط بهذا النجم بطريقة باطنية.

العديد من الباحثين في التعاليم الباطنية زعموا أن الهرم الأكبر في الجيزة بمصر قد تم بناءه بتناسق كامل مع مجموعة نجوم، أحدها وأهمها هو نجم الشعري. يُقال بأن النور المنبعث من تلك النجوم، والمتسرب إلى صالات الهرم عبر قنوات خاصة، كان يُستخدم في الشعائر والطقوس التي كانت تقيمها المحافل السرية المصرية في داخل الهرم. كتب "مارشال آدمز" Marshall Adams في كتابه الذي بعنوان "كتاب السيد" The Book of the Master يقول:

".. لقد عرف هذا الشعب القديم (المصريون) بأنه مرة في كل سنة تتناسق الشمس مع نجم الكلب وفق خط واحد مستقيم. لهذا السبب تم بناء الهرم الأكبر بطريقة تجعله في هذا الموعد المقدس تحديداً يسقط نور نجم الكلب المتسق مع الشمس على "المربع" وكانوا يسمونه "حجر الإله"، وكان متواجد في القسم العلوي من الصالة الكبرى، فينزل

على رأس الكاهن الأعلى الواقف فوق المربع والذي يتلقى القوة الشمسية الخارقة التي تتغلغل في جسده النقي تماماً ثم يقوم بتوزيع هذه القوة إلى المنتسبين الحاضرين في المحفل فيقوم بتنشيط عملية تطورهم نحو الألوهية. هذه هي الغاية وراء "حجر الإله" والذي خلال الطقس يجلس عليه أوزيريس ليمنح المنتسب المنتور تاج الـ "أتف" أو Atf أو النور السماوي... شمالي هذا التاج وجنوبه تقبع المحبة... هكذا غنّت الترنيمة المصرية. وهكذا عبر التعاليم المصرية القديمة، النور الظاهر هو مجرد ظلّ للنور الخفي، ووفق حكمة تلك البلاد العريقة فإن مقياس الحقيقة هو مدى سنوات ذلك الكائن الأعلى..".



يوجد العديد من النجوم الثابتة بحيث لا تتغير مواقعها رغم تغيير موقع الأرض وقد عرفها بناء الهرم الأكبر وصوبوا نحوها قنوات ثابتة في بنية الهرم ونجم الشعيرة أحدها. يظهر في الشكل تناسق بعض المجموعات النجمية مع قنوات الهرم الأكبر. مجموعة "أوريون" Orion (كوكبة الجبار) والمرتبطة بالإله "أوزيريس" متسقة مع حجرة الملك في الهرم، بينما نجم الشعرى Sirius المرتبط بالإلهة "إيزيس" متسق مع حجرة الملكة.

كتب الفقيه الماسوني "مانلي بالمر هول" Manly P. Hall في كتابه "التعاليم السرية لكل العصور" The Secret Teachings of All Ages واصفاً شعائر الهرم في مصر القديمة بأن أصولها تعود إلى الحضارة الأطلنطية، فيقول:

".. هل كانت المعرفة الدينية والفلسفية والعلمية المتطورة التي حازها كهنة العالم القديمة تعود أصولها إلى أطلنطس التي أدى غرقها إلى تبعثرت علومها إلى أجزاء مبعثرة في أنحاء العالم فساهمت في تقدمه؟ لقد حافظت عبادة الشمس الأطلنطية على بقاءها وديمومتها عبر طقوس وشعائر كل من المسيحية والوثنية. كلاً من الصليب والأفعى تمثلان أصلاً رموز أطلنطية تشير إلى الحكمة الإلهية المقدسة.."

".. ربما كان مركز الحكمة الدينية الأطلنطية يمثل معبد هرمي عظيم قائم على حافة هضبة ترتفع وسط المدينة ذات البوابات الذهبية. من هذا المكان انتشر الكهنة المنتسبين للحلقة السرية، حاملين معهم مفاتيح الحكمة الكونية إلى كافة أصقاع الأرض.."

".. حاملين معهم التعاليم السرية والمقدسة، أسس هؤلاء الأطلنطيين أنفسهم في مصر، حيث أصبحوا أول حكامها المقدسين. كافة الأساطير الفلكية والمتعلقة بالخلق والتي تمثل أساس الكتب المقدسة المختلفة حول العالم هي تستند أصلاً على الشعائر السرية الأطلنطية.."

كتبت "هيلينا بلافاتسكي" Helena Blavatsky نقول بخصوص نجم الشعري:

".. كان لنجم الشعري" (سوئيس) ولازال، تأثير صوفي ومباشر على كامل السماء المفعمة بالحياة، وهو متصل بكل إله وإلهة تقريباً. هو يمثل إيزيس في السماء، ويسمى إيزيس/سوئيس، حيث إيزيس تمثل ثريا الكلب كما تصرّح الكتابات على صروحها. بما أنه متصل بالهرم الأكبر فهذا يجعل نجم الشعري متصلاً بالشعائر التي كانت تجري داخل الهرم.."

ملاحظة: قبل الدخول في موضوع المحافل السرية العصرية القائمة في أعظم عواصم العالم، دعونا أولاً لنلقي نظرة إلى إحدى القبائل الأفريقية البدائية التي يحوز حكماءها على نفس التعاليم لتلك المحافل العصرية وكلاهما يعتبرانها تعاليم سرية مقدسة وجب حراستها بعناية شديدة.

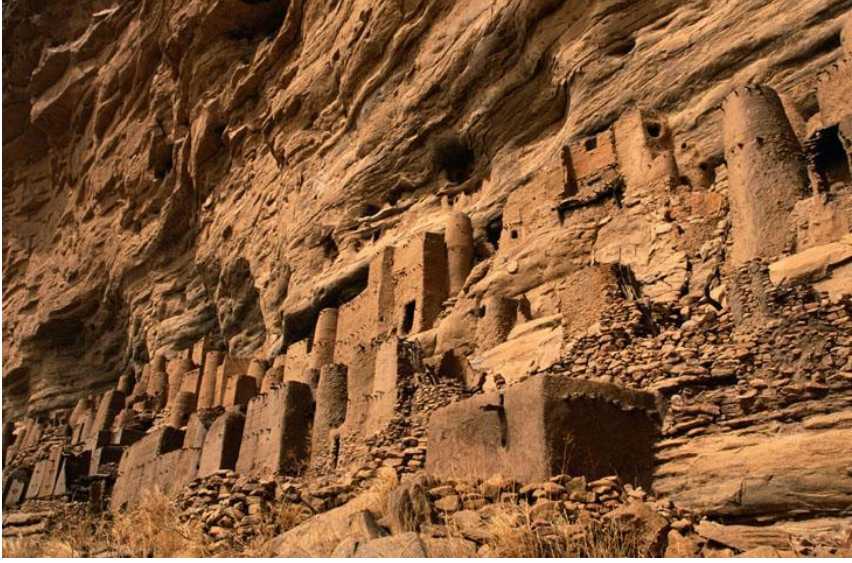
التعاليم السرية لشعب الدوغون

DOGON



الدوغون هم قبيلة أفريقية تسكن في مقاطعتي "باندياغارا" Bandiagara و"دوينترا" Douentza في مالي، غرب أفريقيا. يبلغ عدد سكان القبيلة حوالي ٣٠٠ ألف نسمة، ويتجمعون بشكل كثيف على طول جرف صخري طويل (٢٠٠ كلم) يسمى منحدرات "باندياغرا"، حيث خلقوا طريقة خاصة للسكن في منازل خاصة تم بنائها على طول الجرف، بالإضافة إلى طريقة عيشهم البسيطة. في بدايات القرن العشرين، وخلال فترة الاحتلال الفرنسي لمالي، قضى عالمي أنثروبولوجيا فرنسين هما "مارسيل غريول" و"جرمان دينزلان" فترة طويلة من الزمن بين قبيلة الدوغون بهدف دراسة طريقة حياتهم. وفي العام ١٩٣٠م، بعد أن عاشا مع أفراد القبيلة لمدة ١٥ سنة، قرّر أربعة من كهنة الدوغون بأنه آن الأوان لأن يبوحووا للفرنسيان عن أسرارهم المقدسة، فدعوا الرجال إلى مشاركة القبيلة تقليدها السري المحروس بعناية فائقة. راح الكهنة خلال الاجتماعات المتتالية في أحد الكهوف يرون قصتهم السرية الطويلة التي تتضمن أساطير الخلق وجميعها تمحورت حول انجم المقدس الذي سموه "بو تولو" Po-Tolo. النجم الذي

قصده في رواياتهم هو الشعرى Sirius الذي يبعد عن كوكبنا حوالي ٨ سنوات ضوئية.
هذا النجم الذي هو أسطع النجوم في سمائنا.



ابتكر الدوغون طريقة خاصة للسكن في منازل خاصة تم بنائها على طول الجرف

لو أن الكهنة توقفوا عند هذا الحد يمكننا تفسير ذلك بطريقة منطقية بحيث ما وصفوه حول نجم الشعري يعتبر معلومات عامة. لكن الأمر العجيب يتعلق فيما سيأتي لاحقاً. راحوا يتحدثون عن نجم شريك للشعري وهو خفي عن مجال نظر الإنسان لكنه يدور حول الشعري بمسار بيضاوي وتكتمل دورته كل خمسين سنة. هذا النجم رغم صغر حجمه إلا أنه ثقيل جداً جداً ويدور حول محوره. من بين المعلومات الفلكية التي كشفوا عنها هي تلك المتعلقة بكوكبي زحل Saturn والمشتري Jupiter. فقد صرّحوا بكل ثقة ويقين بأنهم يعلمون عبر آلاف السنين حقيقة أن المشتري له ٤ أقمار مدارية وزحل له حلقات محيطة به.



اثنين من حكماء الدوغون

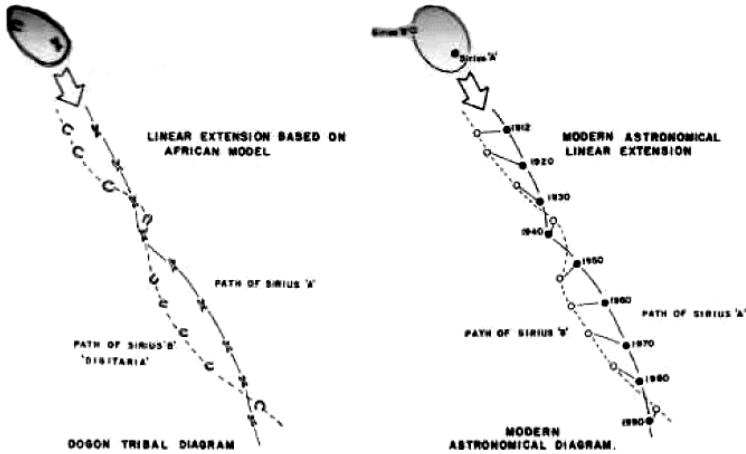
في البداية لم يمنح العالمان الفرنسيان أي أهمية لرواية الكهنة لكنهم نشروا هذه الرواية في إحدى المجلات المحلية المتخصصة في علم الأنثروبولوجيا. لكن بعد فترة قصيرة تم ملاحظة هذه المعلومات الفلكية في رواية الكهنة الدوغون من قبل مجموعة من علماء الفلك وقرروا بأنها معلومات لها جدوى علمية وتستحق المزيد من البحث والاستقصاء. ما اكتشفه الفلكيون الفرنسيون هو أن الدوغون قد وصفوا بدقة كبيرة ثلاثة خصائص رئيسية للنجم القزم الذي يدور حول نجم الشعري (الذي هو شمس في الواقع). يمكن تلخيص تلك الخصائص بثلاثة كلمات: صغير، ثقيل، ولونه أبيض. هذا بالضبط ما تم

اكتشافه حديثاً من قبل العلماء حيث لا أحد قبل ذلك يعلم بأن لنجم الشعري شريك يدور حوله، وقد أطلق الفلكيون العصريون على هذه المنظومة المزدوجة باسم Sirius-A ونجم الشعري و Sirius-B للنجم القزم الذي يدور حوله.



بالإضافة إلى مواصفات هذا النجم القزم، هناك خاصية أخرى تحدث عنه الدوغون وكان صحيحاً وهو أن النجم الصغير يكمل دورته حول نجم الشعري كل خمسين سنة. وقد اكتشف العلم هذه الحالة مؤخراً وأكد على صحتها، حيث النجم القزم يدور فعلاً حول الشعري كل ٤٩ إلى ٥٠ سنة.

الشكل المقابل يبين إحدى الصور المأخوذة للنجم الصغير بجانب الشعري لكن عبر استخدام تلسكوب منطور



مقارنة بين رسم على جدار أحد كهوف الدوغون وبين خريطة فلكية للمسار الحلزوني الذي يصنعه النجم الصغير عند دورانه حول الشعري خلال سفرهما في الفضاء.

الأمر الغريب بخصوص قبيلة الدوغون هو أن أفرادها يستخدمون روزنامة غير مألوفة في أي مكان على وجه الأرض بحيث تعتمد على دورة زمنية مدتها ٥٠ سنة. هذه الدورة الزمنية هي فريدة من نوعها لأنها لا تلتزم بأي دورة متوافق مع الكرة الأرضية ولا القمر ولا الشمس، بل بدلاً من ذلك فهي مضبوطة على النشاط المداري للنجم الصغير الذي يدور حول نجم الشعري! أي Sirius B. وفي الحقيقة، فإن كامل عادات وتقاليد ونشاطات هذه القبيلة تستند على مدار ذلك النجم الصغير والذي لا يمكن رؤيته بالعين المجردة!



مع اكتمال دورة النجم الصغير كل خمسين سنة حول الشعري، يقيم الدوغون مراسم احتفالية صاخبة تدوم أيام طويلة تعبيراً عن بهجتهم!

وجب العلم أن شعب الدوغون الذين عاشوا في ثلاثينات القرن الماضي (فترة الإفصاح عن معرفتهم السرية) كانوا بدائيين جداً بحيث يستحيل التفكير في حقيقة حوزتهم على تلسكوب أو غيره من أدوات فلكية متطورة. لم يكن لديهم حتى لغة مكتوبة. كيف

استطاعوا معرفة كل تلك المعلومات الفلكية ووصف أمور لا زال العلم يملك جزء بسيط من المعرفة بها اليوم؟! من أين جاؤوا بهذه المعرفة الفلكية المتطورة؟

كان الدوغون يكررون دائماً بأنهم مُنحوا هذه المعرفة قبل ٥٠٠٠ سنة من قبل مخلوقات فضائية زارت الكوكب في ذلك الزمن الغابر، وموطنها هو أحد الكواكب التي تدور حول النجم الصغير Sirius B. وقد وصفهم الدوغون بأنهم مخلوقات برمائية يركبون مركبات طائرة دائرية الشكل ويصبح لها ثلاثة قوائم عندما تهبط على الأرض. في الحقيقة لا أريد أن أتناول هذا الموضوع بالتفصيل، ليس لأنني أستبعد وجود مخلوقات فضائية بل لأننا بصدد موضوع أهم تتمحور حوله هذه المجموعة من الكتب وهو معرفة من نحن. لذلك سوف ألجأ إلى تفسير أقرب إلى المنطق المؤلف. لاحظ الباحثين في لغة الدوغون المحكية وكذلك رموزهم الجدارية بأن أغلبها له أصول مصرية قديمة. لهذا السبب يمكن أن تكون معرفتهم عائدة إلى زمن الكهنة المصريين المهاجرين خلال إحدى الفترات غير المستقرة والتي كانت كثيرة عبر تاريخ مصر القديمة. بالإضافة إلى ذلك، فإن منظومة أساطير الدوغون مشابهة جداً لتلك العائدة لحضارات قديمة مثل السومريين والمصريين والبابليين.

إن استيعابهم الكبير لآلية دوران النجم الصغير حو الشعري متوافق تماماً مع الاكتشافات العلمية العصرية، لكن الفرق هو أنهم علموا بذلك قبل آلاف السنين بينما العلم لم يحوز على هذه المعرفة سوى قبل عقود. كما أنهم زعموا بوجود نجم ثالث في منظومة نجم الشعري وسموه "أيمي يا" Emme Ya. هذا النجم الثالث هو أكبر حجماً من النجم الثاني (Sirius B) ويدور أيضاً حول الشعري. هذه المعلومة الأخيرة لم يكتشفها العلم بعد، وها نحن ننتظر حتى نتقدم أجهزتنا وتقنياتنا قبل تحقيق ذلك والتصديق على ما يزعمه الدوغون.

.....

نجم الشعري والمحافل السرية العصرية



أحد أشهر الشعارات الماسونية المألوفة. الثالث الذي يقبع وسطه عين حورس، مصحوباً دائماً بالوهج الساطع من وراء الثالث. هذا هو نور نجم الشعري!

إن ترجمة أساطير الثقافات القديمة لا يمثل علم دقيق بحيث الروابط يصعب إثباتها بطريقة علمية. لكن من ناحية أخرى، الرابط الرمزي بين نجم الشعري والعلوم الباطنية كان ظاهراً دائماً عبر التاريخ وبقي على هذه الحالة عبر العصور. في الحقيقة، إنه معروف اليوم كما كان معروفاً منذ آلاف السنين بأن المحافل السرية مثل الماسونية Freemasons ومحفل الصليب الوردى Rosicrucians ومحفل الفجر الذهبي Golden Dawn (والتي تعتبر جميعاً محافل هرملية لأن تعاليمها تستند على تعاليم هرملية) جميعها تمنح نجم الشعري أهمية كبرى. إن نظرة متفحصة إلى رموز هذه الجمعيات السرية توفر لنا فكرة واضحة عن مدى أهمية الصلة بين نجم الشعري والفلسفة الباطنية. إن عدد كبير من الجمعيات السرية، والتي برز من بين صفوفها أعظم الشخصيات في التاريخ وأكثرهم نفوذاً، تتحدث في تعاليمها السرية عن مدى العلاقة بين نجم الشعري والبشرية جمعاء. قبل عدة عقود من الآن قد لا يجرؤ أي من المنتسبين إلى المحافل السرية على الحديث عن المعلومة التالية لكنها أصبحت الآن شبه مألوفة ومتوفرة لكل من يتمتع بنظرة ثاقبة تستطيع اختراق خفايا الأمور. هذه المعلومة تقول التالي:

بخصوص معرفة الحقيقة، كان المجتمع في الزمن القديم (والحديث أيضاً) مقسوم إلى ثلاثة شرائح وليس شريحتين كما نألفه عموماً. الشريحة الأولى هي شريحة الجماهير الواسعة... الناس العاديين.. الرعا! الجاهلون الذين يجهلون أنهم يجهلون. كانت هذه الشريحة تعبد الشمس التي تقبع عالياً في السماء من فوقنا. حتى في هذا اليوم، إذا سألت أحدهم: أين الله؟ فسوف يجيبك على الفور: هو هناك في الأعلى، مشيراً بأصبعه إلى السماء. هذه الإجابة العفوية ليست حديثة المنشأ بل تعود إلى أيام عبادة الشمس التي تقبع في السماء.

أما الشريحتين الباقيتين فهما مصنفتين في خانة العارفين. الذين يعرفون بأنهم يعرفون.. رعاة البشرية... المسيطرون على مصير كل فرد منا. لكن يبدو أنه حتى بين أولئك العارفين هناك من يعرف قسم من الحقيقة بينما هناك من يعرف كل الحقيقة. إذا كان الجماهير يمثلون الشريحة الأولى فهناك الشريحة الثانية والتي كان يمثلها الكهنة الكبار. هذه الشريحة الثانية تعلم أن الشمس التي يعبدها الناس العاديون ليست الشمس المقصودة في التعاليم الدينية. الشمس الحقيقية والتي تمثل هدف عبادتهم هي الشمس الباطنية الكامنة داخل كل فرد أو حتى مخلوق في العالم (شرحت هذا الموضوع بالتفصيل في الجزء السابق). لكن رغم توصلهم إلى هذه المرتبة الرفيعة من المعرفة، إلا أنهم لازالوا يجهلون الكثير بخصوص الأسرار الكونية والتي هي في حوزة حلقة ضيقة جداً من العارفين والذين يمثلون الشريحة الثالثة.

هذه الشريحة الثالثة تعلم الكثير مما لا نستطيع استيعابه، ومن بين ما تعرفه هو أن مصدر القوة الروحية الحقيقية لا يتوقف عند حدود الشمس الباطنية بل يتجاوزها إلى مكان آخر مختلف تماماً. هو بعيد كل البعد عن المجال الروحي أو الباطني. هذا العامل الآخر الذي يعتبر أساسياً ومصيرياً في منظومة الفرد الروحية هو ذو طبيعة فلكية! هذه الشريحة الثالثة تعلم جيداً أنه مهما حاول الإنسان الارتقاء روحياً إلا أن ارتقائه سوف يتوقف عند حد معين بحيث يستحيل التقدم أكثر. فقط بعض الاستثناءات النادرة جداً استطاعت فعل ذلك. والسبب هو فلكي أكثر من كونه رباني أو أي سبب روحاني أو ماورائي. هذه الشريحة الثالثة لديها إدراك كامل وواضح بخصوص العلاقة

الصميمة بين مجموعتنا الشمسية ومجموعة نجم الشعري! فهي على يقين بأن الحضارة البشرية، والوعي البشري عموماً، تمرّ في مراحل ارتقائية ومراحل انحدارية متناوبة، ازدهار وانحطاط، وهذه الشريحة النافذة جداً جداً جداً تتعامل مع العالم وما عليه من كائنات على هذا الأساس!



مستوى الوعي البشري وما ينتجه من حضارة، مرتبط بشكل وثيق بنجم الشعري! إن قربه وبعده عن مجموعتنا الشمسية يمثل عامل حاسم ومهم جداً بالنسبة لمستوى تفكيرنا وسلوكنا ووعينا بشكل عام، وهذه العوامل الأخيرة هي التي تحدد مستوى الحضارة.

إن مجرّد الادعاء بأن نجم الشعري هو مهم بالنسبة للمحافل السرية الهرمزية هو تصريح سطحي. وجب العلم بأن هذا النجم يمثل الجوهر الأساسي لتعاليم الجمعيات السرية وكذلك رموزها وشعاراتها. أكبر إثبات على ذلك هو أن معظم الجمعيات السرية اتخذت لنفسها أسماء مختلفة توحي إلى هذا النجم.

الماسونية

في المحافل الماسونية، يُشار إلى نجم الشعري باسم "النجم المتوهّج" Blazing Star، ومجرّد نظرة سريعة إلى مكانته البارزة بين الرموز الماسونية تكشف عن أهميته الكبرى. كتب الماسوني "وليام هوتشينسون" William Hutchinson عن أهمية هذا النجم قائلاً:

".. هو أول وأكثر الأشياء الممّجدة والتي تتطلب انتباهنا الدائم داخل المحفل..". بهذه الطريقة ذاتها وجد نور الشعري طريقه إلى قلب الهرم الأكبر خلال طقوس الانتساب في الزمن القديم. المحافل الماسونية تعيد إحياء تلك الفترة المجيدة بطريقة رمزية.

كتب الزعيم الماسوني البارز "ألبرت بايك" Albert Pike يقول: ".. رأى الفلكيون القدامى كافة الرموز الماسونية العظيمة في النجوم. نجم الشعري يتألاً في محافلنا بصفته النجم المتوهّج..".



نجم الشعري، انجم المتوهّج، يقبع في مركز البلاط الفسيفسائي الماسوني

يكتب "ألبرت بايك" Albert Pike في مكان آخر قائلاً:

".. النجم المتوهّج يمثل أصلاً نجم الشعري، أو نجم الكلب، وظهوره يسبق طوفان النيل. هو يمثل الإله أنوبيس، رفيق إيزيس خلال بحثها عن جثة أوزيريس الذي كان يمثل زوجها وأخوها. ثم أصبح يمثل لاحقاً صورة حورس، ابن أوزيريس والذي أصبح يرمز للشمس، موجد المواسم، وإله الزمان. والدته هي إيزيس، التي تمثل الطبيعة الكونية. هو يمثل أيضاً المادة البدائية، المصدر اللاناضب للحياة، شرارة النار غير المخلوقة، البذرة

الكونية لكل المخلوقات. وكذلك نجد هرمز أيضاً، سيد العلم والتعلم، والذي بالنسبة للإغريق يمثل الإله ميركوري..".

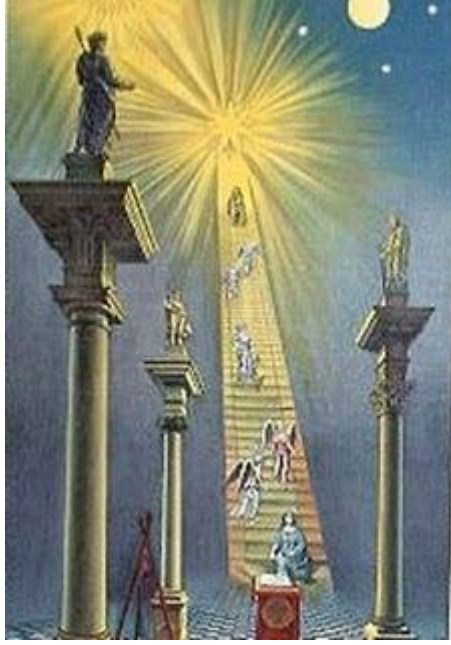
ملاحظة: لا يمكن للفرد استيعاب هذا الكلام السابق إلا إذا كان مطلعاً على المعاني الباطنية. ما يقوله "ألبرت بايك" يمكن اختصاره بما يلي: سوف يبقى الإنسان الدنيوي (إيزيس) في حالة ضياع وبحث دائم عن ذاته الحقيقية (أوزيريس) إلى أن ينجح أخيراً في إيجادها، فيتجلى المخلص (حورس) بكيانه. لكن هذا الاكتشاف لذاته الحقيقية لن يأتي بفعل مجهوده الخاص بل لسبب فلكي! وهو اقتراب نجم الشعري (أنوبيس) من مجموعتنا الشمسية. فيتطور الإنسان بعد ارتقاء الوعي لديه (هرمز) ومع ارتقاء الوعي يتجلى المخلص.



النجم المتوهج يسطع من صدر الصالة الماسونية على الأعضاء الحاضرين في المكان

يعلمون في التعاليم الماسونية بأن النجم المتوهج يمثل الإله الأعلى. هو في الحقيقة لا يمثل الإله الأعلى بل المحقق الذي يمكن الإنسان من معرفة خالقه. لهذا السبب يعتبرون

نجم الشعري بأنه يمثل المكان المقدس (حيث معرفة الخالق) الذي على كل ماسوني أن يرتقي إليه. هو يمثل مصدر القوة الإلهية والمقصد النهائي للأفراد الإلهيين. غالباً ما يُصوّر هذا المفهوم في الفنون الماسونية.

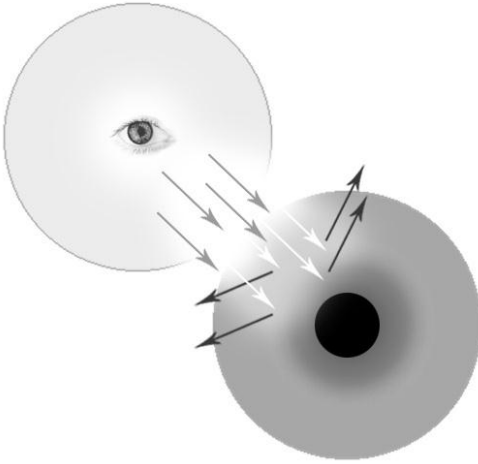


أحد الأعمال الفنية الماسونية التي تصوّر نجم الشعري، النجم المتوهج، على أنه المقصد الأخير للرحلة الماسونية

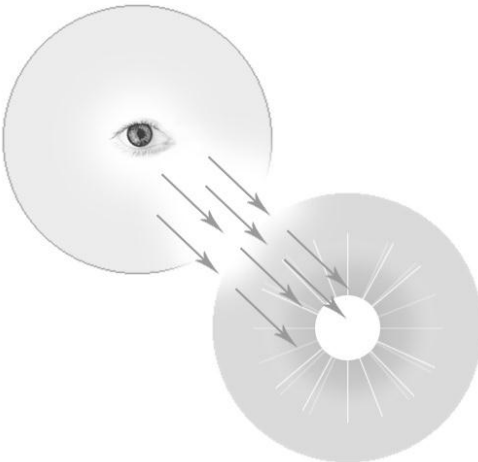
وفقاً للتعاليم الماسونية، من أجل تحقيق الكمال، على المرید أن ينجح في فهم واستلهام الطبيعة الثنائية (القطبية) لكل شيء في العالم المتجلي. مثلاً، الخير والشر أو الذكر والأنثى أو الأسود والأبيض.. إلى آخره، لكن هذه الأمثلة الأخيرة هي مجرد أمور سطحية بالنسبة لموضوع أساسي وجب استيعابه جيداً، وقد تحدثت عنه بإسهاب في الجزء السابق. الطبيعة الثنائية التي قصدتها التعاليم الماسونية هي الجانب الظاهري والباطني للفرد (أو العلوي والدنيوي). وفقاً للتعاليم الماسونية وجب الاجتهاد إلى دمج هاذين الجانبين (عبر الخيمياء العقلية) قبل أن يولد المخلص في كيانك. لهذا السبب يرمزون إلى عملية الدمج هذه بتزواج أوزيريس وإيزيس لكي يولد حورس، الولد النجمي،

الإنسان المثالي الكامل بالنسبة للماسونية، والذي يُرمز إليه بالنجم المتوهج، أي نجم الشعري. وقد عبرت في الجزء السابق عن عملية دمج الجانب الباطني مع الظاهري كما يلي:

قبل أن يستطيع النور أن يخترق ويتغلغل إلى أعماق الفقاعة الدنيوية وجب دمج الجانبين العلوي والدنيوي معاً، وإذا نجح الفرد بذلك يكون قد حقق حالة التتور فيتجلى المخلص.



انفحة الشمسية هي عبارة عن نور إلهي صافي ووديع. إذا كان محتوى الفقاعة الدنيوية كثيفاً بالشوائب (غرائز دنيوية) فلا يمكن للنور اختراقه، وهنا يُرمز إلى أن المخلص مات تعذيباً.



بعد تنقية المحتوى الدنيوي من الشوائب بحيث يصير صافياً (وذلك عبر الخيمياء العقلية) يتمكن بعدها النور الإلهي من التغلغل في كامل جوانبه وحينها يحصل الإندماج بين الجانبين العلوي والدنيوي فتجلى التتور لدى الفرد ويولد المخلص.

وفقاً للتعاليم الماسونية (الباطنية جداً)، إن تحقيق الكمال في كياننا له طريقتين: الأولى تتطلب الاجتهاد في إجراء تغييرات جذرية في طبيعتنا الدنيوية وهي عملية مضمّنة جداً لأنها تتطلب قمع وإخضاع الكثير من النزوات والغرائز الدنيوية. هذا ما يقصد بالخيمياء العقلية. لكن هناك طريقة ثانية أكثر سهولة ولا تتطلب أي مجهود لأن التغييرات في طبيعتنا الدنيوية تحصل لوحدها. هذه الطريقة الثانية تتمثل باقتراب نجم الشعري من مجموعتنا الشمسية. وبالتالي ما علينا سوى الانتظار. طبعاً إذا كنت لا تؤمن بظاهرة التقمص أو تناسخ الأرواح فإن الانتظار لن يفيدك بشيء، لكن يمكنك أن تبتهج وتشعر بالأمل للإنسانية جمعاء التي سوف تشهد الخلاص الجماعي في إحدى العصور القادمة (عدة آلاف من السنوات القادمة) حيث يقترب الشعري إلى مجموعتنا الشمسية. رمز المصريون القدامى إلى نجم الشعري بالشعار الهيروغليفي التالي:

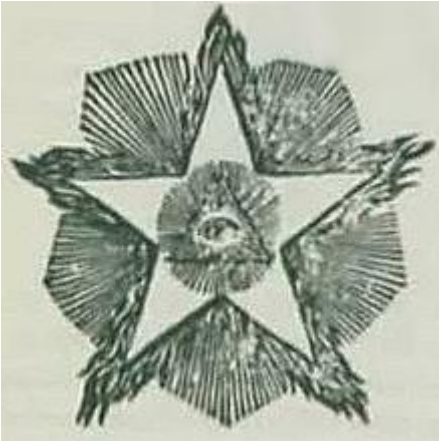


هذا الشعار الهيروغليفي الذي يمثل نجم الشعري يحتوي على ثلاثة عناصر: العضو الذكري (المسلة التي تمثل أوزيريس)، القبة التي تمثل رحم إيزيس، والنجمة التي تمثل حورس. هذا دليل واضح على أن الشعري يلعب دور جوهري في ولادة حورس المخلص في كياننا. أي هو مسؤول عن الارتقاء الروحي

هذا المفهوم المتعلق بتزاوج الأب مع الأم لولادة الابن المخلص هو أساسي جداً بالنسبة للماسونية لدرجة أنهم قاموا بإظهارها في معظم المراكز المهمة حول العالم. أشهر تلك المراكز هو صرح واشنطن الشهير. (الشكل التالي)



في هذا الموقع الشهير، المسلة المصرية تمثل المبدأ الذكري وهو متصل مباشرة بقبة الكابيتول والذي يمثل المبدأ الأنثوي. بعد اجتماعهما يولد حورس الذي يمثل طاقة قوية غير مرئية. وفقاً للماسونيين، هذه الطاقة يعززها نجم الشعري عند وصوله فوق رأس المسلة مباشرة في مواعيد فلكية محددة.

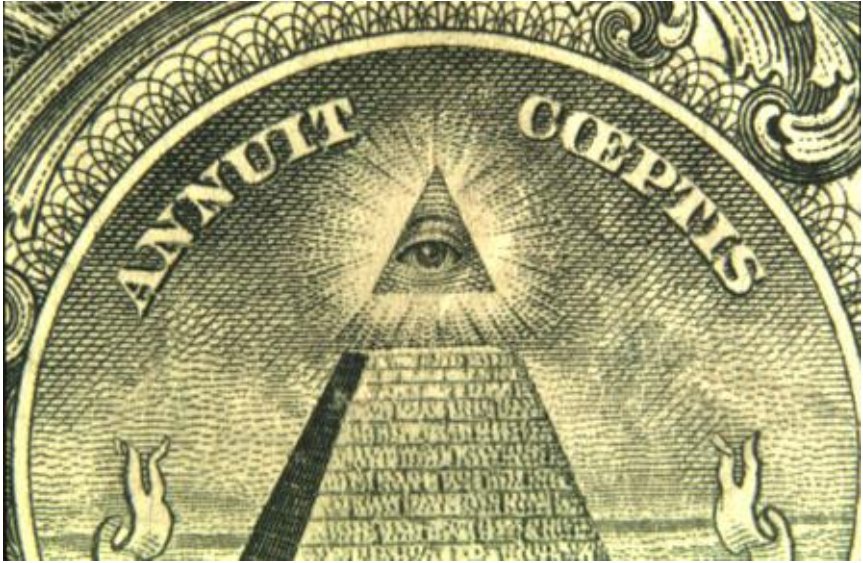


كما ذكر "ألبرت بايك" سابقاً، يوجد رابط وثيق بين الإله المصري حورس ونجم الشعري. في الرموز الماسونية لوحاتها الفنية دائماً نشاهد عين حورس بأنها محاطة بنور متوهج، هذا النور يعود لنجم الشعري.



هذه اللوحة الفنية الماسونية مليئة بالرموز التعبيرية التي تفسيراتها قد تملأ كتاب كامل، لكن الذي يهمنا هو الرموز التي تعلو العواميد الثلاثة. الشمس تعلو العمود الأيسر (المبدأ الذكري)، القمر يعلو العمود الأيمن (المبدأ الأنثوي)، ونجم الشعرى يعلو العمود الأوسط ممثلاً الإنسان المثالي الكامل أو حورس ابن إيزيس وأوزيريس. لاحظوا عين حورس وسط نجم الشعرى.

بعد التعرف على العلاقة الصميمة بين عين حورس والشعري في الرموز الماسونية سوف يصبح واضحاً بالنسبة لنا المعنى الباطني للشعار التالي الموجود على الدولار الأمريكي:



النور المتوهج وراء المثلث الذي وسطه عين في قمة الهرم هو ليس وهج الشمس بل نجم الشعري Sirius. لقد بني الهرم الأكبر بتناسق مع موقع الشعري في السماء وبالتالي هو الذي يعلو الهرم وليس الشمس. هذا الرمز الماسوني المطبوع على الدولار الأمريكي الذي يتداوله ملايين الناس لكن دون أن يعلموا معناه الباطني.

قد يستغرب الإنسان العادي في الطريقة التي يتبعها المسيطرون العارفون (مثل الماسونية أو المتتورين) حيث يبدو أنهم مهوسين في وضع صور وشعارات رمزية أمام نظر الناس رغم أنهم لا يفهمون شيئاً من هذه الرموز. أكبر مثال هو العين على قمة الهرم في الدولار الأمريكي المبيّن في الشكل السابق. لكن يبدو أنه يوجد غاية مهمة وراء هذا العمل ربما يتعلق بموضوع الرسائل الخفية التي تتفاعل مع العقل الباطن، لكن مهما كانت الغاية، المهم أنهم يجتهدون في القيام بهذا العمل الخفي وهو لا يقتصر على الصور والرموز بل يمتدّ ليطال معظم الأفلام السينمائية وقصص الأطفال المشهورة جداً،

مثل قصة ليلي والذئب، وكذلك قصة بياض الثلج والأقزام السبعة، وغيرها من قصص نظنها عادية لكنها في الحقيقة تخفي معلومات باطنية ذات قيمة عظيمة. مع العلم أن جميع هذه القصص كتبها ماسونيون. أما القصة التي تتعلق بنجم الشعري والتي لا ينتبه لها أحد فهي قصة بينوكيو Pinocchio والتي كتبها الماسوني "كارلو كولودي" Carlo Collodi، وتحدث عن "جيبينو" الذي تضرع للنجم الألمع في السماء (الشعري) طلباً لأن يكون لديه ابن حقيقي، فنزلت عليه جنية زرقاء تشع بلون الأبيض (لون اشعاع نجم الشعري) ومنحت الحياة للماريونيت (دمية خشبية) التي تسمى بينوكيو.



طوال مجريات القصة وخلال سعي بينوكيو لأن يصبح ولداً حقيقياً (رمز للانتساب للمدرسة السرية ليصبح الفرد إنساناً حقيقياً) نرى كيف ترافقه الجنّة خلال مسعاه وترشده على الطريق الصحيح. بهذه القصة يقدمون نجم الشعري على أنه مصدر الحياة وكذلك هو معلّم أو مرشد الطريق نحو التنوير.

من بين الأفلام الشهيرة يمكننا اختيار فيلم "ترومان شو" Truman Show الشهير جداً والذي يتحدث عن نشوء بطل الفيلم وسط عالم اصطناعي غير واقعي. في الحقيقة هناك الكثير من الرسائل الخفية في هذا الفيلم لكن الذي يهمنا هو أحد المقاطع في أواخر الفيلم والذي يقع فيه أحد أضواء المسرح spotlight (والذي كان يستخدم كضوء أحد النجوم فوق المسرح) وبالكلاد يضرب به. خلال مسك ترومان لهذا الضوء يمكن مشاهدة كتابة عليه، إذا دقت النظر في الكتابة سوف تلاحظ أنها تمثل اسم الشعري Sirius.



لاحظوا اسم الشعري Sirius مكتوب على ضوء المسرح الذي بيد ترومان

في هذا المشهد من الفيلم، بعد سقوط ضوء المسرح من الأعلى، والذي يجب أن يكون هذا الأعلى سماء حقيقية، يختبر ترومان حالة انتباه بوجود شيء غير طبيعي. هذه الحالة ترمز إلى المعرفة الحقيقية التي يفتن لها الفرد بشكل عفوي بحيث يكتشف بأن عالمه غير حقيقي. هذه المعرفة العفوية هي التي تحفّزه إلى البحث عن الحقيقة. هذا يجعل نجم الشعري يلعب دور نجم الانتساب إلى المدرسة السرية حيث المعرفة الأصيلة

بخصوص العالم الحقيقي. هذه الحادثة التي اختبرها ترومان بالصدفة في الفيلم (سقوط ضوء المسرح) جعلته يدرك مدى محدودية العالم المزور الذي يعيش فيه (يرمز إلى العالم المادي) مما دفعه في النهاية للخروج إلى الحرية (الاعتناق الروحي).

جمعيات أخرى سرية وغير سرية

لقد اكتفيت بذكر المثالين السابقين فقط مع أنه في الحقيقة يوجد العشرات من الأمثلة الأخرى التي تحمل رسائل ومعلومات مخفية في الأفلام والقصص والروايات العالمية الشهيرة. يبدو واضحاً أن هذا النجم الذي ينال اهتمام كافة الجمعيات السرية بحيث تتمحور حوله معظم تعاليمها الباطنية له دور بارز في مصير الإنسانية، أما تفاصيل هذا الدور الذي يلعبه نجم الشعري فتبقى محتكرة على بعض العارفين ومحجوبة عن العامة. بالإضافة إلى رأي الماسونية بهذا النجم مكانته البارز في تعاليمهم، يوجد العديد من الجمعيات الأخرى (والتي تعتبر جميعها رديفة للماسونية) التي لها نظرة مشابهة وبنفس مستوى القدسية والأهمية.

هيلينا بلافاتسكي Helena Blavatsky وأليس بايلي Alice Bailey، الشخصيتان الأبرز في المجتمع الثيوسوفي Theosophy، كلاهما اعتبرتا نجم الشعري مصدراً للقوة الباطنية. صرّحت "بلافاتسكي" بأن نجم الشعري يمارس تأثير صوفي مباشر على كامل السماء الحيّة وهو متصل بكافة الأديان العظمى التي نشأت في العالم القديم. أما "أليس بايلي" فترى نجم الكلب بأنه "المحفل الأبيض العظيم" الحقيقي إذ هو موطن هيئة الكائنات الروحية، ولهذا السبب تعتبر الشعري بأنه نجم الانتساب إلى المدرسة السرية. كما باقي الكتاب الباطنين، تعتبر "بايلي" بأن لنجم الشعري تأثير كبير على الحياة البشرية. كتبت تقول:

".. في البداية يوجد تلك الطاقة أو القوة المنبعثة من شمس الشعري. إذا صحّ لنا التعبير، فإن طاقة الفكر، أو القوة العقلية، بكلّيتها، تصل إلى المجموعة الشمسية من مصدر كوني بعيد وهو شمس الشعري Sirius. فالشعري يعمل عمل الباعث أو مركز بؤري بحيث يبعث هذه التأثيرات التي تنتج الوعي بالذات في الإنسان.."

أما جمعية "محفل النجم الشرقي" OES فشعاره يمثل نجم الشعري والذي هو ذاته النجم المتوهج في الماسونية. حتى اسم هذا المحفل يمثل نجم الشعري أصلاً إذ معروف أنه يطلع من الشرق.



النجمة الخماسية التي تمثل شعار "محفل النجم الشرقي" OES

في العام ١٩٠٧م أسس الساحر الماسوني الشهير "أليستر كراولي" محفله الباطني الخاص وأطلق عليه الاسم اللاتيني Argentium Astrum ومعناه "محفل النجم الفضّي"، وبكل تأكيد فإن النجم الفضّي يعني نجم الشعري Sirius.



الساحر الماسوني أليستر كراولي يرتدي قلنسوة عليها شعار يرمز لنجم الشعري

حتى لو كان "كراولي" يشير إلى نجم الشعري بمصطلحات محجوبة إلا أن كامل فلسفته السحرية منذ أن كان ماسونياً مبتدئاً تتمحور كلياً حول تأثير هذا النجم الذي نال اهتمام الكثير من الباحثين والكتاب في زمانه. لكن إذا استخدم كراولي كلمات رمزية لوصف نجم الشعري، فهذا لم يمنع ربيبه "كينيث غرانت" Kenneth Grant من المجاهرة بالاهتمام بهذا النجم في أعماله وكتاباتة العديدة. في كتبه العديدة جداً، لطالما وصف نجم الشعري بأنه يمثل مركزاً قوياً للطاقة السحرية المغناطيسية.

في الحقيقة، رغم الاختلاف في وصف نجم الشعري بين الفلاسفات الباطنية المختلفة، إلا أنه يبقى معتبراً بالنسبة للجميع بأنه "الشمس الكامنة وراء الشمس". هو المصدر الحقيقي للقوى الخفية. نظروا إليه على أنه مهد المعرفة الإنسانية، والإيمان بوجود علاقة قوية بين هذا النجم وكوكب الأرض لم يفقد صلاحيته عبر العصور الطويلة.

نجم الشعري غير لونه

لونه الأحمر صار أبيض وهي إشارة إلى أنه بدأ يسير نحونا

هناك مسألة مثيرة بخصوص لون نجم الشعري مما قد يكشف عن حقيقة مهمة جداً. اليوم يظهر هذا النجم بلون أبيض مائل للأزرق. لكن النصوص البابلية وكذلك الكتابات العائدة للعصر الروماني/الإغريقي، بما فيهم كتاب مشهورين مثل "سيسيرو" و"هوراس" و"سينيكا" و"ببليوموس" وغيرهم، جميعهم يشيرون دائماً إلى نجم الشعري بأن لونه أحمر. ذكر "سينيكا" حاولي العام ٢٥ ميلادي بأن احمرار الشعري أكثر عمقاً من احمرار المريخ. وفقاً للمنطق العلمي الفلكي فإن ألفي عام تعتبر مدة قصيرة جداً بالنسبة لنجم أن يبدل لونه، لهذا السبب لازال الجدل قائماً حول كيفية تبديل هذا النجم للونه. لكن وفق المنطق الذي نحن بصدد، أي أن نجم الشعري هو توأم شمس مجموعتنا، فهذا يشير إلى أن النجم بدأ يسير باتجاهنا مرة أخرى وهذا هو السبب الذي جعل لونه يتبدل من الأحمر إلى الأبيض. فاللون الأحمر يكشف عن اللهب الذي يخلفه وراءه خلال سيره بعيداً عنا بينما اللون الأبيض يكشف عن وجه النجم الذي بدأ يسير نحونا.

هذا يعيدنا إلى كتاب المعلم "سري يوكنسوار" الذي افترض إمكانية وجود علاقة زوجية بين شمسنا وبين نجم الشعري. اقترح أن تلك العلاقة بين هذين الشمسين هي السبب الفعلي وراء تناوب العصور الأربعة الكبرى التي تُسمى "يوغاس" وفق المعتقدات الهندوسية، والتي تبلغ دورتها التناوبية الإجمالية ٢٤٠٠٠ سنة. عندما تكون الشمسان قريبين من بعضهما يتجلى العصر الذهبي (ساتيا) حيث الازدهار والارتقاء والبهجة، بينما عندما تكونان متباعدتين إلى أقصى الأطراف يتجلى العصر الحديدي (كالي) حيث الانحطاط والتخلف والبؤس. وبسبب هذه العلاقة الدورية بين الشمسين يحصل ذلك الإيقاع الدوري الذي ترتقي خلاله الحضارات ومن ثم تتحدر نحو الانحطاط. لقد بدأنا الآن نشهد عودة للتقارب مرة أخرى بين الشمسين مما يعني أننا نتوجه مرة أخرى نحو عصر ذهبي جديد، رغم أن الأمر لازال مبكر جداً للفرح والاحتفال لأن المدة لازالت طووويلة جداً للوصول إلى ذلك المجد الموعد.

الحسابات الفلكية العلمية تستبعد فكرة أن نجم الشعري هو شريك شمس مجموعتنا كمنظومة زوجية. لكن مهما كان الأمر فإن شمسنا ونجم الشعري يسيران باتجاه بعضهما البعض الآن. إن لنجم الشعري مكانة مميزة في سمائنا ويبدو أنه لا يتأثر بظاهرة بادرة الاعتدالين precession. لقد أثبتت الحضارات القديمة تقدماً عجبياً في معرفتها الفلكية بخصوص النجوم وعلاقتها بكوكبنا. لقد تعرفوا على العلاقة المميزة التي تربط كوكبنا بنجم الشعري. يبدو أن العلاقة التي تربط بين شمس مجموعتنا ونجم الشعري هي أكثر تعقيداً من أن يكتشفها علمنا المنهجي السخيف. كما أسلفت سابقاً، إن الطبيعة الزوجية للنجوم (الشموس) هي المألوفة اليوم في الفضاء بينما الطبيعة الفردية هي الشاذة، والعلم المنهجي لازال ملتزماً بهذه الفكرة الأخيرة والتي صارت فكرة بالية عديمة الجدوى. يبدو أنه علينا النظر باهتمام إلى مزاعم القدماء بخصوص الأمور الفلكية حيث أظهرنا معرفة متقدمة جداً بهذا المجال، وقد أصروا على فكرة أن للأجرام الفلكية تأثير مباشر وقوي على حياتنا. يبدو أننا سوف نستمر في تعلم الكثير عن تلك العلاقة الخاصة بيننا وبين الأجرام الفلكية مع تقدم وسائل البحث والاستكشاف، وبنفس الوقت يزداد معها تقديرنا لتلك المعرفة المتطورة جداً التي حازتها الحضارات القديمة.

منذ الفجر الأول للحضارة البشرية حتى وقتنا الحالي، من القبائل الأفريقية النائية حتى العواصم العظيمة للعالم الحديث، كان نجم الشعرى ولازال يُنظر إليه بصفته مانح الحياة... رمز الارتقاء والخلوص. رغم التباين بين الثقافات والعصور المتباعدة بينها، بقيت السمات الغامضة ذاتها تُمنح لنجم الكلب، للشعري، وهذا يقودنا إلى السؤال المهم: كيف يمكن لكل هذه التوصيفات أن تتناغم رغم اختلاف الثقافات وتباعد العصور الزمنية؟ هل يوجد مصدر موحد لكل تلك الأساطير والأوصاف المتعلقة بنجم الشعرى؟ يبدو أن نجم الكلب مرتبط بشكل وثيق بالقدسية ويعتبر مصدر المعرفة والقوة والمجد. هذه السمات تتوضح جيداً عندما نتفحص التعاليم والرموز العائدة للجمعيات السرية مثل الماسونية، والتي طالما تحدثت عن ذلك الرابط الغامض مع نجم الشعرى. هل يوجد رابط سرّي بين التطور البشري ونجم الشعرى؟ إن حلّ هذا اللغز يعني حلّ أحد أعظم الألغاز بالنسبة للبشرية.

.....

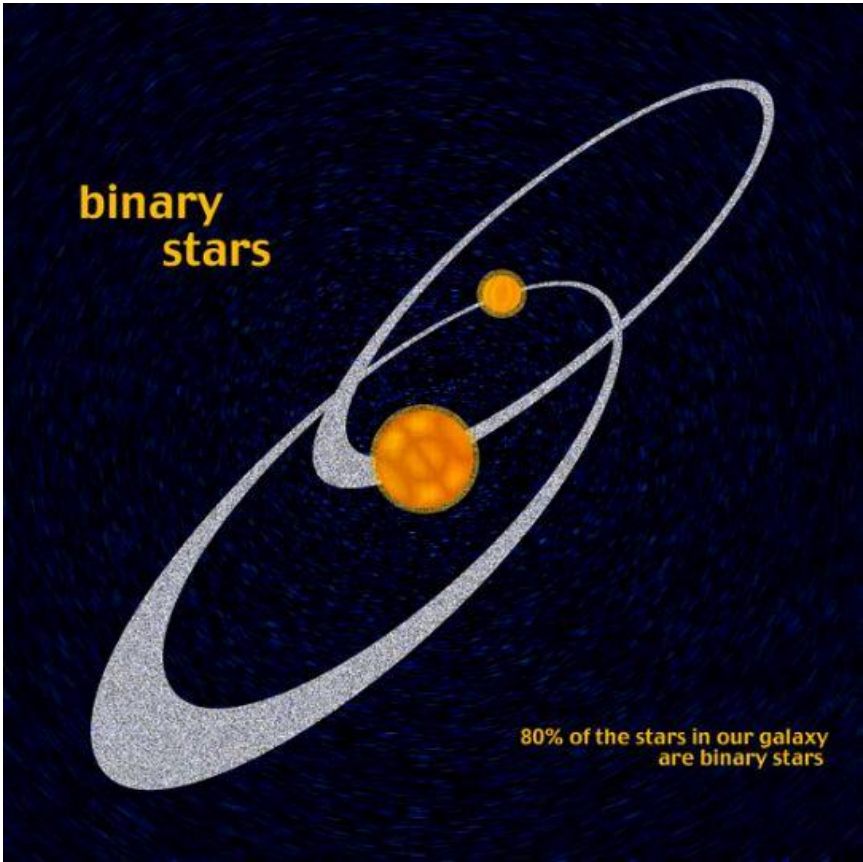
خلاصة نهائية

الفكرة الرئيسية في هذا الفصل، بقدر ما هي مذهلة، يمكن استخلاصها بما يلي:

كان القدماء يؤمنون بالدورات الزمنية ذات المراحل المتناوية والمسؤولة عن صعود وهبوط الحضارات ومستوى الوعي البشري. هذا يفسر تلك المكتشفات الأثرية التي تتم عن مستوى متطور يفوق مستوانا أحياناً مثل صور الطائرات المحفورة على العواميد القديمة والخرائط الدقيقة التي تعود لآلاف السنوات. لا يمكن تفسير هذه الظواهر إلا على أساس فكرة الدورات الزمنية المسؤولة عن صعود وهبوط الحضارات. أي كما أنها حتمية ضرورة وجود حضارات متطورة في المستقبل، فلا بد من أنه كان هناك حضارات متطورة في الماضي أيضاً. وقد قسم القدماء كل دورة زمنية إلى أربعة عصور: الذهبي، الفضي، البرونزي، الحديدي. أي أن الصعود يكون تدريجياً عبر أربعة عصور مختلفة والهبوط يكون مسيرة عكسية عبر هذه العصور الأربعة. كل دورة (صعود وهبوط) تبلغ مدتها بين ٢٤ ألف سنة و٢٦ ألف سنة. ١٢ ألف صعوداً و١٢ ألف هبوطاً. وقد حدد القدماء مدة هذه الدورة بالاستناد على ظاهرة التقدم precession والتي تمثل تلك الحالة التي تبدو فيها النجوم النجمية في حالة حركة دورية بحيث تكتمل دورتها (من منظور الكرة الأرضية) كل ٢٥.٩٢٠ سنة. وخلال هذه الدورة البطيئة جداً تبدو النجوم النجمية بأنها تدور حول الأرض مما يجعلها تتغير مواقعها في السماء بين حين وآخر. أي وفق مفهوم الأبراج الاثني عشر، كل ٢١٦٠ سنة يتبدل البرج في السماء. نحن مثلاً نعيش في عصر الحوت منذ ألفي عام تقريباً وبعد قرن أو اثنين سوف ننتقل للعيش في عصر الدلو. تم تفسير هذه الظاهرة الفلكية بشكل خاطئ من قبل إسحاق نيوتن الذي زعم بأن كوكب الارض يتأرجح خلال دورانه بفعل التفاعلات الجاذبية، لكن هذه الظاهرة في الحقيقة تحصل بسبب سفر المجموعة الشمسية بالكامل في الفضاء وضمن مدار بعيد المدى.

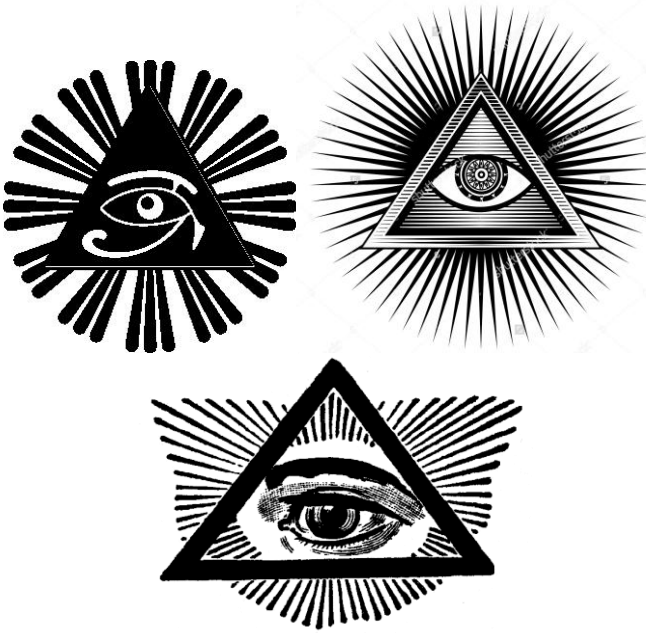
إذاً تبين أن آلية هذه الظاهرة الدورية لصعود وهبوط الحضارة الإنسانية تعود لسبب فلكي أكثر من أي سبب آخر. وهذا السبب الفلكي يمكن توضيحه بالشرح المختصر التالي:

الشمس تعتبر عنصر من منظومة زوجية مؤلفة من شمسين، أي بدلاً من مجموعة شمسية منفردة يوجد مجموعتين شمسيّتين تدوران حول بعضهما البعض. النجم المرشح لأن يكون شريك الشمس هو الشعري Sirius. هذه الدورة التي تدوم حوالي ٢٤ إلى ٢٦ ألف سنة هي التي تسبب الإيقاع التصاعدي والتنازلي لمسيرة الحضارات وقد قسم القدماء هذا الإيقاع إلى أربعة عصور.



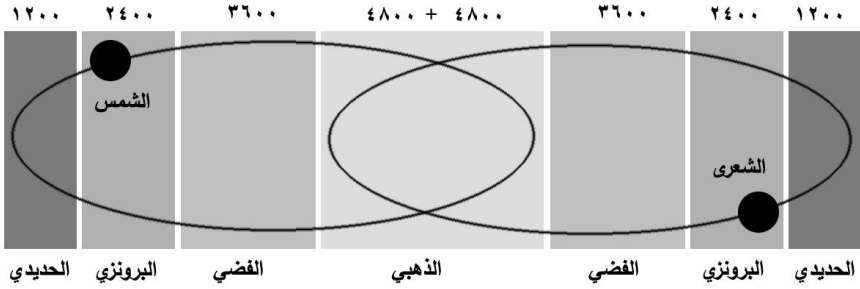
يبدو أن الكهنة الخفيون القابعين في قمة هرم كل جمعية سرية يعلمون بالطبيعة الزوجية لمجموعتنا الشمسية ومجموعة شمسية أخرى، والتي يبدو واضحاً من خلال رموزهم أن المجموعة الشمسية الشريكة لمجموعتنا هي مجموعة الشعري Sirius

بالإضافة إلى العديد من العوامل الفلكية التي ترشح نجم الشعري كزوج لشمس مجموعتنا، فإن له تاريخ حافل ومجيد مع الحضارات القديمة التي أديانها وثقافتها عموماً تتمحور حول هذا النجم. الروزنامة المصرية مثلاً تستند على دورية نجم الشعري. عبر آلاف السنين، يعتبر نجم الشعري في أدبيات المحافل السرية، مثل الماسونية، بأنه المحفز الرئيسي للصحة الروحية لدى البشرية. هو الذي يستطيع إحياء المخلص بداخل كياننا. لكن هذا لن يحصل دون التنور الذي يسبق دائماً تجلي المخلص. وبالتالي فإن هذا النجم يحدث الكثير من الأمور بداخلنا، مثل ارتقاء الوعي والتنور والخلص والكثير من الأمور الأخرى. لهذا السبب منح نوره قدسية خاصة وأشاروا إليه بالنجم المتوهج، ودائماً يبينون هذا الوهج المقدس يسطع من خلف الثالوث الذي في وسطه عين حورس (الشكل التالي).



عينات مختلفة من شعار الوهج الساطع لنجم الشعري من خلف الثالوث الذي في وسطه عين حورس التي ترمز للوعي البشري الذي مع ارتقائه إلى مستوى معين يسود التنور في كيان الإنسان ثم يتجلى المخلص.

وفقاً لهذا المفهوم الجديد بخصوص الطبيعة الزوجية لمجموعتنا الشمسية مع مجموعة الشعري، نحن الآن نقترّب من نجم الشعري ببطء، وأهم الدلائل على ذلك هو تغيّر لون هذا النجم عبر الألفيتين السابقتين، حيث صار لونه أبيض مائل للأزرق بدلاً من الأحمر القاتم. هذا يعني أننا بدأ السير في طور الصعود منذ ثلاثة قرون تقريباً، ويبدو أن الحضارة البشرية بدأت مشوارها الطويل نحو الازدهار من جديد، وذلك بعد رحلة هبوط دامت ١٢ ألف سنة حتى وصلت الحضيض في العام ٧٠١ قبل الميلاد حيث عصر التخلف والهمجية والانحطاط دام ٢٤٠٠ سنة وخرجنا منه في العام ١٦٩٩ ميلادي.



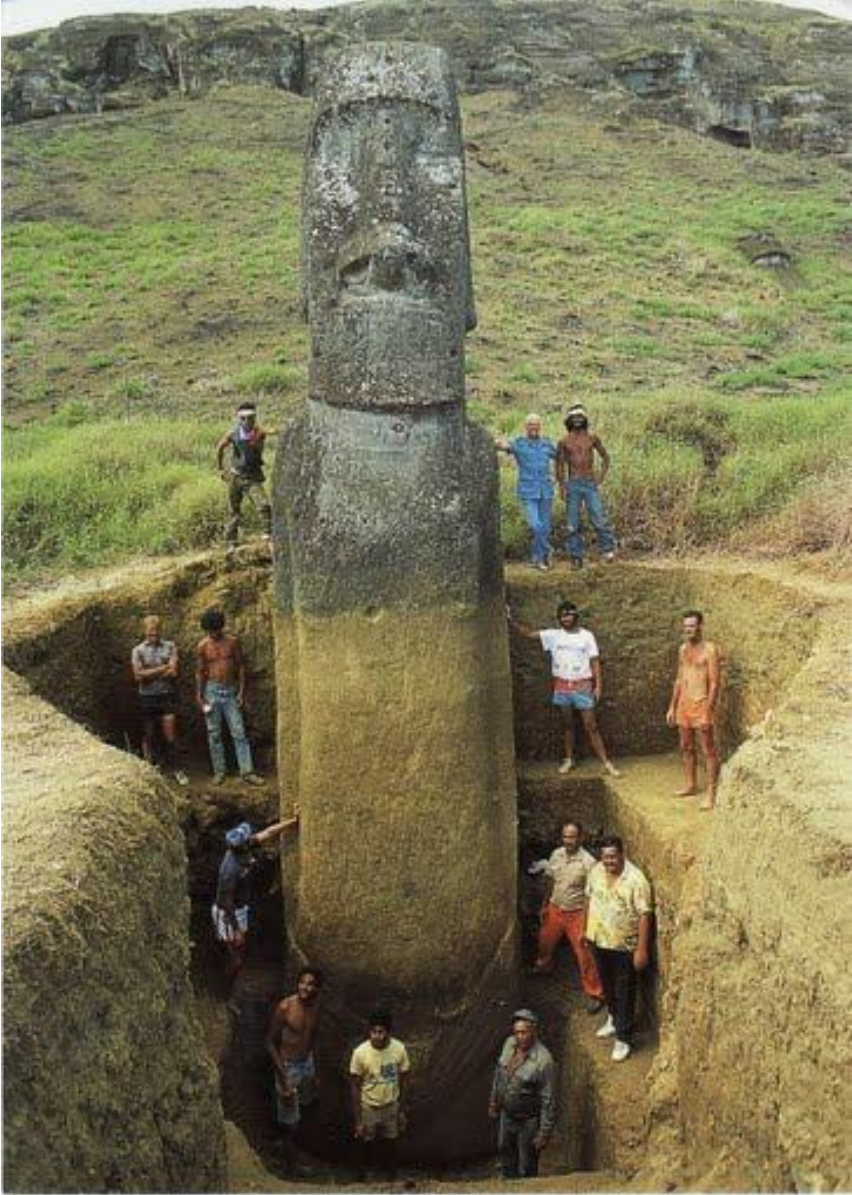
السنة الكبرى، وفقاً لمفهوم القدماء، والتي تبلغ مدتها حوالي ٢٤ ألف سنة، وهي مؤلفة من أربعة فصول: الذهبي والفضي والبرونزي والحديدي. هذه الفصول تتناوب صعوداً وهبوطاً بشكل إيقاعي متكرر كما هو مبين في الشكل.

.....

انحدار مستوى الحضارة تناغماً مع الإيقاع الكوني

يبدو أن المهاجرين الأوائل من مصر وشمال أفريقيا الذين سكنوا جزر بولينيزيا كانوا أكثر قوة وعظمة من الأحفاد الذين اكتشفهم الأوروبيين أول ما زاروا الجزر قبل قرنين من الزمن. يمكننا استنتاج ذلك بوضوح من خلال النظر إلى الآثار القديمة التي تملأ جزر بولينيزيا. التفسير المألوف بخصوص هذه الإنجازات العظيمة هو أن الذين صنعوها هم شعوب غامضة مصيرها مجهول لكن ليس لهم علاقة بسكان الجزر الحاليين. هذا التفسير خاطئ بكل تأكيد. الأمر ذاته بخصوص بناء الأهرامات في مصر وكذلك حضارة المايا المتطورة حيث يقول الاعتقاد السائد بأنهم شعوب أصولهم غامضة وقد اختلفوا بطريقة غامضة. لكن الحقيقة هي أن السكان المحليين هم المسؤولين عن هذه الإنجازات العظيمة لكن حالتهم المتخلفة بالمقارنة مع أسلافهم المتطورين أصحاب تلك الإنجازات العظيمة يعود سببها إلى الإيقاع الكوني ذو الطبيعة الدورية للتاريخ البشري حيث الصعود والهبوط لمستوى الحضارات.





التمائيل التي اشتهرت بها جزيرة إيستر *Easter island* وهي إحدى جزر بولينيزيا. لا زال الجدل قائماً حول كيفية قص العشرات من هذه التماثيل العملاقة من المقالع الحجرية ثم نحتها ثم نقلها عبر مسافة بعيدة ثم تنصيبها. لازال الباحثين يتساءلون إذا كان أصحاب هذا الإنجاز الكبير هم ذاتهم أسلاف سكان الجزيرة المتخلفين

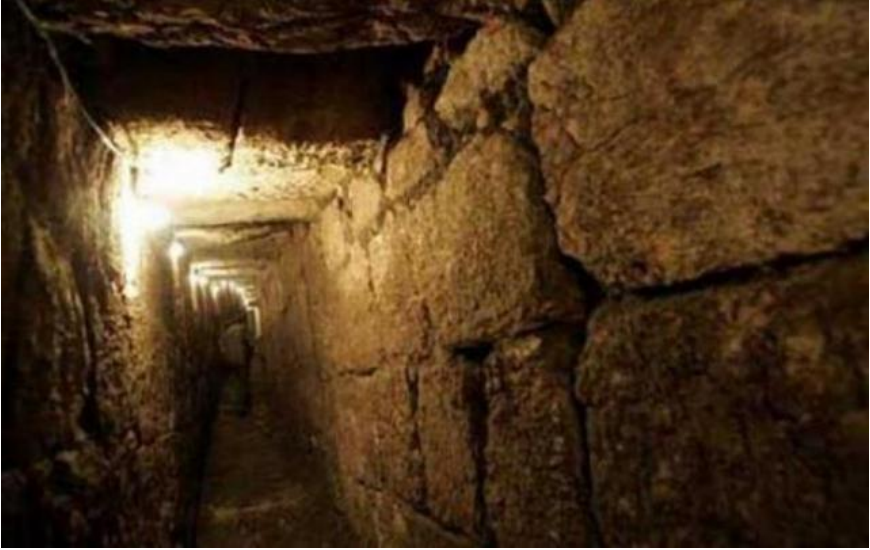


أينما ذهبت في مجموعة جزر بولينيزيا، بما فيها هاواي، سوف تلاحظ وجود آثار عملاقة ومبنية بطريقة متقنة وبواسطة حجارة مصقولة ومشذبة بطريقة متقنة رغم قساوتها. كل هذه الميزات لا تتوافق منطقياً مع مستوى السكان المحليين الذي في حالة تخلف ويعيشون في بيوت مصنوعة من الخشب وأوراق الأشجار ويعيشون حياة بسيطة شبه بدائية.





إن إنجازات عمرانية كهذه والتي تكشف عن رقي هندسي وفني لا تتناسب مع السكان المحليين لجزر بولينيزيا



أينما ذهبت في جزر بولينيزيا ستلاحظ آثار تكشف عن مستوى هندسي راقى وواسع النطاق، خصوصاً الأنفاق تحت الأرضية التي يبلغ طول الواحد منها عدة كيلومترات، والأرصفة الحجرية الطويلة جداً التي استخدمت غالباً كقنوات نقل المياه. جميعها الآن أصبحت خرائب مهملة في جزر يسكنها شعوب بدائية تتصف بالبساطة

الانحدار الحضاري كان شاملاً

بالعودة إلى سكان هاواي. كما ذكرت سابقاً، يبدو أن عزلتهم في جزيرة نائية لم تحميهم من الانحدار المحتوم لمستوى الحضارة. في إحدى الفترات القديمة وخلال وجودهم في عزلة تامة عن الخارج، يعيشون حياتهم بسلام ووثام، نفذ الدم الملكي من الجزيرة فقرر الحكماء إرسال مبعوثين إلى جزر أخرى بحثاً عن أمير يحمل دماء الأسرة الملكية، وهذا ما حصل بالفعل. جاء الأمير لكنه جلب معه حاشيته الخاصة ومن بينهم كاهونا. هنا بدأت المشكلة الكبرى. وفقاً لما ترويه الحكاية الشعبية، هذا الكاهونا القادم مع الأمير كان فاسداً وراح يرسخ صيغة كهنوتية مشوهة بحيث احتوت على القليل من السحر لكن الكثير من العبادة الصنمية عديمة الجدوى. لا حق الكاهونا الأصليين واصطادهم أينما كانوا، وفرض بناء المعابد كما فرض قدر كبير من المحرمات التي قيدت سلوك السكان في حياتهم اليومية عموماً. سادت هذه الطريقة الدينية المشوهة بقوة في الجزيرة لفترة طويلة، لكن هذا لم يمنع الكاهونا الأصليين من الاستمرار في ممارسة تقليدهم الأصيل والغير مشوه رغم تجردهم كلياً من الدعم السياسي، فعاشوا منعزلين نسبياً.

راح النظام الكهنوتي الجديد يفرض نفسه بقوة في الجزيرة. تم بناء مصاطب حجرية كبيرة في الجزر الثمانية لهاواي وشيّد عليها أصنام خشبية كبرى ومذابح للأضاحي، وهذه الأضاحي لا تتوقف عند الحيوانات فحسب بل طالت البشر أيضاً. إحدى المظاهر الرهيبة لعبادة الأصنام المفروضة على السكان هي تلك الكمية الهائلة من المحرمات التي سادت. لا يمكن للفرد فعل شيء قبل السعي إلى رفع الحرم المفروض عليه ونيل السماح من الكهنة الذين سيطروا على البلاد بشكل مطلق، وذلك بسبب الدعم الغير محدود الذي تلقوه من الزعماء المحليين والأسرة الملكية. دامت هذه الحالة الاستبدادية فترة طويلة من الزمن. راح الضغط يتزايد على السكان مع مرور الوقت حتى وصل درجة غير محمولة في بدايات القرن التاسع عشر، وهذا دفع رئيس الكاهونا في الجزيرة ويدعى "هيوهايو" إلى الدعوة لإجراء إصلاحات جذرية، فتقدم بطلب من الملكة والأمير الصغير الحاكم في حينها بأن يسمحوا له تدمير الأصنام وإلغاء كافة المحرمات دون

استثناء ومنع أولئك الكهنة المنافقين ممارستهم. وأخيراً نال السماح الملكي لفعل ما يراه صائباً فتآزر الكاهونا الأخيار مع هذا الرجل النبيل في حملته الواسعة ضدّ النظام الوثني المتوحش ونجحوا أخيراً في إلغائه كلياً.



نماذج من الأصنام القائمة في الجزيرة، وكانت أصلاً تصوير لأبطال الأساطير الدينية لسكان هاواي لكنها تحولت إلى أصنام وأهداف عبادة خلال فترة الطبقة الكهنوتية المناقفة التي حكمت الجزيرة لفترة طويلة من الزمن

تذكر المراجع بأن الكاهونا الأعلى "هيواهيوا" كان رجلاً استثنائياً بكل المقاييس. كان يحوز على قوى روحية استثنائية أبرزها قدرة الاستبصار والإدراك الغيبي. هذه القدرة الاستثنائية جعلته مستشاراً استثنائياً للملك "كاميهاميهيا" بحيث أرشده بحكمة فائقة خلال حملته التي استغرقت سنوات عديدة لتوحيد كامل جزر هاواي تحت سلطة واحدة والسيطرة على باقي الزعماء المحليين. كان "هيواهيوا" مثلاً باهراً على نموذج الطبقة العليا من سكان الجزيرة حيث كان لديه قابلية مذهلة على استيعاب الأفكار الجديدة والتجاوب معها بطريقة سليمة. لكن للأسف الشديد، هذه الميزة الحسنة في شخصيته هي

التي حملت بذور المحنة التي تنتظر سكان الجزيرة. لقد اقتترف هذا الرجل خطأ كبير جداً لم تسلم منه جزر هاواي حتى يومنا هذا.

لكن ما ذنب رجل واحد عندما يتعلق الأمر بسياق تاريخ بكامله؟ كما سبق وذكرنا، قانون الإيقاع الكوني أقوى من أي رجل أو حملة إصلاحية مهما كانت مؤثرة وفعالة. لا أحد يستطيع مقاومة القدر المحتوم. كيف يمكن لرصاصه طائشة أن تقتل آخر فرد من سلالة عريقة تعود إلى آلاف السنوات وهي الساحرة "لوتشهي" الماكثة في جبال الأطلس بحيث مات معها السر الذي عانى أسلافها ما عانوه للمحافظة عليه وصيانته عبر الزمن المديد؟ هكذا يعمل القدر المحتوم. فُرد لهذا العلم أن يزول تجاوباً مع قانون الإيقاع الكوني. الأمر ذاته حصل في هاواي. إن ظهور مصلح عظيم مثل "هيوهايو" لا يكفي لمنع القدر المحتوم. كل ما أنجزه "هيوهايو" في حملة إلغاء المحرمات والأصنام والمعابد والطبقة الكهنوتية المناقاة لم تقي سكان الجزيرة من القدر المحتوم. الضربة القاضية جاءت من مكان آخر غير متوقع.. بدأت المحنة مع قدوم الإنسان الأبيض إلى الجزيرة.

عندما مات الملك "كاميهاميا" ذو الطبيعة المحافظة جداً، راح "هيوهايو" ذو الطبيعة المنفتحة يستبصر نحو المستقبل وما رآه أسره بشكل كبير. رأى رجال ونساء بيض ينزلون إلى شواطئ هاواي ويخبرون السكان المحليين عن إلههم الذي يعبدونه. حتى أنه حدّد الموقع الذي سينزلون فيه وعلى أي شاطئ بالضبط سيجتمعون فيه مع الأسرة الحاكمة. بالنسبة لرجل في مكانته يُعتبر هذا الأمر مهم جداً. بدأ بعدها يستقصي الأخبار على طريقته الخاصة من خلال الحديث مع البحارة البيض الذين كانوا ينزلون في الجزيرة بين حين وآخر. راح البحارة يخبرونه عن أولئك الذين وصفهم "هيوهايو" بأنهم مبشرون يعبدون سيدنا يسوع الذي كان يصنع المعجزات وإحياء الموتى وهو ذاته قام من الموت بعد ثلاثة أيام من صلبه... وهكذا. تصوروا مدى تأثير القدر المحتوم. حتى مستبصر نبيه مثل هيوهايو عجز عن إدراك الصورة بوضوح. القدر المحتوم عطل قدرته الاستبصارية ونباهته لدرجة جعلته يقع في شرك البصيرة المخادعة. بعد فترة من التفكير خرج "هيوهايو" بنتيجة فحواها أن قدوم هؤلاء المبشرين هو أمر مفيد بالنسبة لأبناء الجزيرة، خاصة بعد اقتناعه بشكل واضح بأن الرجل الأبيض متفوق عليهم من

حيث السلاح الفتاك والآلات الميكانيكية المعقدة والسفن الحديدية العملاقة وغيرها من مظاهر قوة واضحة، وبالتالي من المؤكد أن لديهم سحر أقوى من سحر سكان الجزيرة أيضاً. هكذا ظنّ "هيواهيوا"، خصوصاً مع الأخذ بعين الاعتبار التشويه الكبير الذي أصاب النظام العبادي في الجزيرة والذي رسخه الكهنة المنافقون عبر عصور طويلة فلا بد من إدخال منظومة دينية جديدة وقوية وظن بأنه ما من منظومة أنسب من تلك التي سيجلبها معهم الكاهونا البيض! يا له من استنتاج ساذج ومميت!

اتخذ "هيواهيوا" قراره النهائي وهو التحضير الإيجابي لقدوم هؤلاء الكاهونا البيض الذين رأهم قادمون حتماً. راح ينشر جو من القبول والرضى تجاههم بين الأهالي والأسرة الملكية. أمر بتدمير كل ما تبقى من الأصنام والمعابد العائدة للكهنة المنافقين الذين سبق وقضى عليهم كلياً. وفي شهر تشرين أول (أكتوبر) من العام ١٨٢٠، وفي نفس المكان الذي حدده "هيواهيوا" عبر الاستبصار أمام أصدقائه والأسرة الملكية، نزلت على الشاطئ مجموعة تبشيرية كبيرة قادمة من "نيوانغلند" الولايات المتحدة. قابلهم "هيواهيوا" على ذلك الشاطئ واستقبلهم باحتفالية كبيرة وأقام صلاة استقبالية خاصة صاغها على شرفهم. ثم تقدم من الكهنة المبشرين وراح يباركهم ويبارك إلههم القابع في المكان العالي.

انتهت مرحلة الزيارات البروتوكولية إلى الأسرة الملكية وأن أوان العمل الميداني بالنسبة للمبشرين الذين تم توزيعهم على كافة الجزر مع ترخيص ملكي للقيام بعملهم بكل حرية. رافق "هيواهيوا" الفريق المفروز إلى هونولولو. لكن لم يمضي وقت طويل قبل أن يشعر "هيواهيوا" بعدم الارتياح من هؤلاء الزوار الغرباء حيث تبين أنهم لا يملكون أي سحر من أي نوع. كانوا عاجزين تماماً بنفس درجة الأصنام الخشبية التي سبق وأحرقها. كان المحليين يجلبون العميان والمرضى والعرجان أمام هؤلاء المبشرين البيض ثم يعودون بهم دون حصول أي تغيير في حالتهم. الأعمى بقي أعمى والمرضى بقي مريض والأعرج بقي أعرج. هناك خطأ في مكان ما. حتى الكهنة المنافقين حققوا إنجازات أفضل من ذلك. تبين لاحقاً أن حجة الكهنة البيض هي حاجتهم إلى معابد (كنائس)، فظنّ "هيواهيوا" بأنه ربما هنا تكمن المشكلة فتأمل خيراً وانطلق فوراً في بناء معبد لهم. كان معبد كبير وجميل ومصنوع من الحجر المصقول وتطلب فترة من الزمن قبل اكتمال

بناءه. لكن حتى بعد بناءه واستخدامه بقي المبشرون عاجزين عن شفاء الناس! هذا ولم نتحدث عن إحياء الموتى كما ظنَّ "هيواهيوا"!

كان "هيواهيوا" كريم جداً مع المبشرين، فقد أطعمهم وأحسن معاملتهم وساعدهم إلى أقصى الحدود، وقد ورد اسمه بشكل متكرر في رسائلهم وحتى إصداراتهم الشهرية. لكن ماذا فعلوا بدورهم لرد الجميل؟ بعد أن تمكنوا من السكان وتمتعوا بدعم سياسي مطلق تم محو اسمه من كافة السجلات والتقارير العائدة للتبشيرية القائمة في الجزيرة. وحبته كانت جاهزة: لطالما حاولوا إقناعه للانضمام إلى الدين الجديد لكنه رفض بشكل قاطع وفضل البقاء مع المهرطقين. عاد "هيواهيوا" إلى استخدام السحر الذي توارثه من أسلافه عبر التقليد العريق وأمر أتباعه الكاهونا بالعودة إلى مزاوله عملهم المعهود في علاج مسائل الناس المختلفة على الطريقة التقليدية. وبعد عدة سنوات، حيث تزايد باطراد عدد الرعايا الذين تحولوا إلى الدين الجديد والمرفق مع الحياة العصرية التي سوق لها الغربيون، نجح المبشرون في جعل السلطات تصدر قرار رسمي يمنع مزاوله الكاهونا لعملهم! فأصبح الكاهونا أشخاص غير شرعيين وغير مرغوب فيهم في أوساط المناطق المدنية في الجزيرة. وبالفعل، بقي هذا القانون قائماً منذ العشرينات من القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٨٩م. كانت هذه الفترة كفيلة بأن تقضي كلياً على ذلك التقليد الشعبي العريق. هذا المنع القانوني كان مرفقاً مع التحريم الديني الذي فرضه المبشرون.

هذا المنع المفروض حرم الأجيال الصاعدة فتيان وفتيات من الإقبال على تعلّم أساسيات هذه "الحوزة" كما هي العادة، الأمر لا يتوقف عند الاطلاع النظري فحسب بل التدريب العملي أيضاً والذي يتطلب الوقت والإرادة والإيمان، وجميع هذه العوامل فُقدت مع دخول الحياة المدنية الغربية والدين الجديد المرافق لها. مع مرور الزمن راح الكاهونا الكبار يموتون وراحت "الحوزة" تتدثر معهم. إذا كانت هذه مشيئة القدر فلتكن كذلك. لا جدوى من مقاومة القدر المحتوم. إنه قانون الإيقاع ووجب احترامه.

قبل أن يفهمني القارئ الكريم خطأً، ربما بدوت الآن منحازاً إلى صف المشعوذين الذين يمارسون السحر الأسود، وهذا ما سوقه المبشرون والغربيون عموماً بخصوص الكاهونا،

لكن الأمر هنا يختلف تماماً. أنا أتحدث عن تقليد معرفي عريق كان سائداً بقوة في إحدى الفترات وفي جميع أنحاء الكرة الأرضية، هذا التقليد يختلف تماماً عن ما نعتبره سحر أسود أو شعوذة. الكاهونا الأصيل لا يؤدي أحد إلا إذا تعرض للأذى أولاً. أقصد أنه لم يكن الأمر خطيراً لهذه الدرجة القصوى التي تم فيها التشديد على منع وتحريم ممارسة هذا التقليد العريق. إنه علم قائم بذاته. إن جهلنا به هو الذي يجعله يبدو سحراً بالنسبة لنا، لكن ما ذنب هذا العلم إذا كنا نجهل أشياء كثيرة عن أنفسنا وعن الوجود عموماً؟ عندما نتعرف على المبادئ الأخلاقية التي تحكم سلوك الكاهونا وممارسته تعلم حينها أن هذا العلم هو أبعد ما يكون من السحر الخطير أو الشعوذة المؤذية. سوف أشرح لاحقاً هذه المبادئ الأخلاقية التي تمثل جوهر "حوزة". رغم أن الكاهونا أصبحوا أشخاص خارجين عن القانون إلا أن هيبتهم بقيت قائمة. ما من شرطي أو قاضي يجرواً على توقيف أحدهم، خصوصاً أولئك الأصيلين الأقوياء. استمرت ممارستهم رغم التحريم والمنع لكن في السر ووراء ظهور البيض الغراء. انتشار المدارس والكنائس في كل مكان في الجزيرة والتحول السريع نحو الحضارة الغربية لم يمنع هذه الممارسة العريقة من التداول الشعبي. كان الأهالي يذهبون إلى الكنيسة أيام الأحد، يصلون ويغنون بأعلى صوتهم، لكن في باقي أيام الأسبوع يزورون الكاهونا طلباً للعلاج أو تغيير الحظ أو التنبؤ بالمستقبل. بينما في المناطق النائية كان الكاهونا يمارسون عملهم في العلن، واستمروا في عباداتهم التقليدية ويقدمون الأضحيات للإلهة "بيلي" Pele عند فوهة البركان.



الإلهة "بيلي" Pele، وهي إلهة النار والزرع والبراكين والرياح، كما أنها المسؤولة عن خلق جزر هاواي. تعتبر من أقدم الآلهة التي صمدت عبر الزمن في الجزيرة. هي سيدة الآلهة أيضاً، وهذا دليل على أن المصريين القدامى أول اكتشافهم في الجزيرة قبل آلاف السنين كانوا لازالوا يألفون المجتمعات الأمومية، أي السيادة كانت للمرأة في المجتمع المصري.

الكاهونا



كما ذكرت سابقاً، كلمة كاهونا هي كلمة مركبة مؤلفة من كلمتين جذريتين: "كا" و"هونا". الأولى هي إشارة إلى الكا Ka وهي ما نعرفها اليوم بالنفس العليا أو "الذات" أو الشمس الباطنية، وقد اعتبرها المصريون القدماء القسم الأقدس في الكائن. هذا الاسم للكائن المقدس لم يقتصر على مصر بل هو منتشر في مناطق كثيرة. ففي أفريقيا مثلاً، لا زالت بعض القبائل تستخدمها بأكثر من طريقة، مثل قبيلة الهاوسا في شمال غرب أفريقيا يقولون "كاي" تعبيراً عن الدهشة أو الإعجاب مثلاً، أي كأننا نقول "يا إلهي".

أما كلمة "هونا" أو "هنا" أو "هين" أو هوني" أو "هان" .. إلى آخره، فلا زالت مألوفة في بلادنا العربية حيث تستخدم للإشارة إلى الموقع الحالي أو المكان الحاضر أو الحوزة أو الملكية. الصيغة المستخدمة في العربية الفصحى هي "هنا" ومعناه المكان الحالي.

وبالتالي كلمة "كا هنا" استخدمت لتعني أن "كا" (الشيء المقدس أو النفس العليا) هو هنا، أي أصبح في حوزة الفرد أو أصبح متصلاً أو قريباً من الفرد. والمعنى الذي يُراد من هذه الكلمة هو أن الفرد صار على تواصل مع نفسه العليا أو ذلك الشيء المقدس

القابع في جانبه الباطني، فيحمل لقب "كا هنا"، وتختلف ألفاظ هذه الكلمة مع اختلاف الثقافة والحضارة واللغة، حيث نرى هذه الكلمة تستخدم في كافة الحضارات في الشرق الأوسط (كوهين، كاهان، كايهون،..) ومنها جاءت كلمة "كاهن" باللغة العربية، والتي تشير إلى رجل دين أو رجل يتعامل بطريقة أو بأخرى مع العالم الماورائي.

إن استخدام كلمة "كاهونا" في جزر هاواي للإشارة إلى نفس المعنى يمثل أحد الدلائل القوية على الأصل المصري لسكانها. ورد معنى كلمة "كاهونا" في القاموس المتخصص بهاواي على أنه اسم يشير إلى رجل دين أو مشعوذ أو ساحر أو حكيم،.. إلى آخره. لكن مع مرور الوقت راح سكان هاواي يستخدمون نفس الكلمة للإشارة إلى مزاولي المهنة الحرفية المألوفة لديهم، وهذا يجعل وجود أنواع كثيرة من الكاهونا في جزيرة هاواي. ففي مهنة الطب والعلاج وحدها يوجد أكثر من عشرين نوع من الكاهونا المتخصص، فنجد مثلاً "كاهونا لا أو لابأو" Kahuna la'au lapa'au وهو متخصص في طب الأعشاب، أو "كاهونا هاها" kahuna haha وهو متخصص في تشخيص الأمراض. كما نجد اختصاصات عديدة في مجال الملاحة البحرية مثل "كالاي وا أ" kālai wa'a وهو متخصص في صناعة القوارب، و"هو أوكيللي" ho'okele وهو متخصص في الملاحة وسط البحار. أما ذلك المجال الذي نسميه سحر ففيه كم كبير من الاختصاصات وفيما يلي بعضها:

١. كوهيكوهي بو أووني Kuhikui pu'uone: المتخصص في تحديد المواقع المناسبة لبناء المعابد. أي على مبدأ الوسيلة التي نألفها اليوم وهي البحث عن المياه الجوفية بواسطة قضيب الرمان (القفنقة).

٢. كيلوكيلو kilokilo: الذي ينتبأ بالمستقبل واستحضار معلومات غيبية. أي على مبدأ البصارين الذين نألفهم اليوم.

٣. هو أونأونا Ho'ounāunā: المتخصص في إرسال الأرواح لإنجاز المهمات.

٤. أنا أنا Anā'anā: الذي يقيم صلاة الموت. تُستخدم غالباً للتخلص من الأشخاص الأشرار في المجتمع، وكذلك كسلاح فتاك في الحروب.

٥. ناناولي Nānāuli: الذي يدرس العلامات الطبيعية كالغيوم والأمطار والرياح.

٦. هو أوبي أوبي أو Ho'opi'opi'o: الذي يلمس أي قسم من جسده فيتأثر ذات القسم في جسد الشخص المستهدف. تستخدم غالباً في العلاج، لكن هذا لا يمنع استخدامها للأذى.

٧. هو أوكومو كومو Ho'okomokomo: الذي يرسل الأرواح للاستحواذ على الشخص المستهدف. كانت وسيلة فعالة لاسترجاع المسروق من السارق أو غيرها من حالات مشابهة.

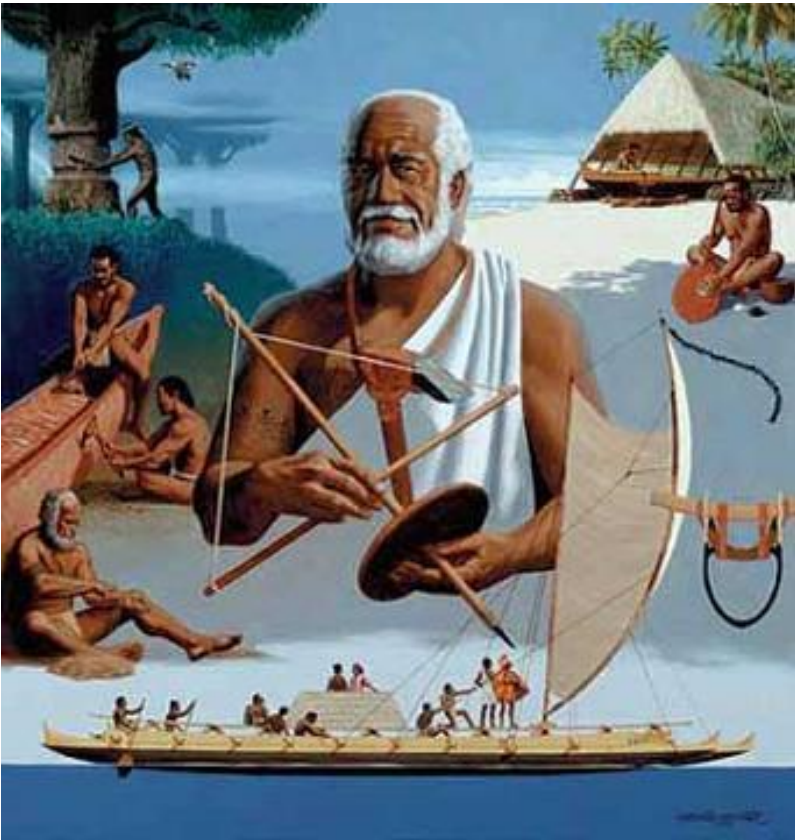
٨. بو إي أوهاني Po'i 'Uhane: الذي يستطيع اصطياد الأرواح وإخضاعها لأوامره. غالباً ما يتم الاستعانة به لكي يزيل الأرواح الشريرة من موقع مصاب أو مكان معرض للأذى.

٩. لآبا أو Lapa'au: الذي يمارس العلاج الطبي السحري (العلاج الفوري).

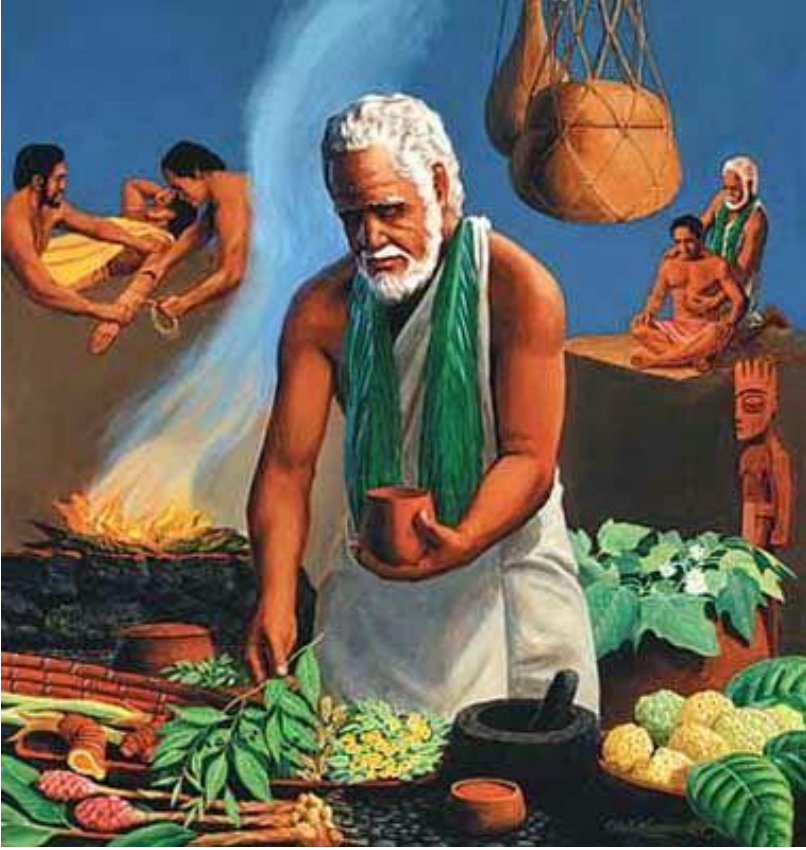
بالإضافة إلى الكثير من الاختصاصات الأخرى في هذا المجال. ومن يستطيع احتراف كل الاختصاصات التي يشملها مجال السحر يحوز على لقب "كاهونا نوي" أي الكاهونا العظيم.. الساحر الأكبر.

رغم أن المهن المذكورة في الفقرات السابقة تتعامل في مجال الماورائيات لكنهم يختلفون عن الكاهونا الأصليين الذين سادوا يوماً في الجزيرة. هذه الاختصاصات المختلفة في مجال السحر تعتبر اختصاصات دنيوية بالمقارنة مع المنهج السحري لل"حوزة" حيث هناك فرق كبير بين سحر الحوزة والسحر الشعبي الذي يتداوله الناس.

ربما هذه المظاهر الوثنية لسكان هاواي هي التي دفعت المبشرين الذين نزلوا في الجزيرة عام ١٨٢٠م إلى وصفهم بالشعب الهمجي وغير الأخلاقي وعملت على منع وتحريم كامل ممارسات الكاهونا. قد يكون المبشرين محقين في هذا الإجراء لكنهم بذلك ألغوا طريقة حياة بكاملها وليس مجرد سلوك أو مهنة أو مذهب. كل شيء كان مختلفاً في الجزيرة بالنسبة للغربيين. حتى الرقصة المشهورة لفتيات هاواي تم تحريمها في البداية لأنها تعتبر من المظاهر الخلاعية وغير الأخلاقية! كيف استطاعوا تعريف كلمة "خلاعي" لسكان هاواي؟ لا بد من أنهم واجهوا صعوبة كبيرة في ذلك، خصوصاً عندما نعلم أن حرية العلاقات الجنسية كانت سائدة في حينها. لا بد من أن المنع والتحريم الذي فرضه الغربيون على طريقة حياة سكان الجزيرة كان قاسياً جداً بالنسبة لهم.



"كالاوي وا أ" *kālai wa'a* وهو الكاهونا المتخصص في صناعة القوارب



"كاهونا لا أو لاباأو" Kahuna la'au lapa'au وهو المتخصص في طب الأعشاب

حصلت محاولة واحدة فقط لإلغاء المنع والتحریم الذي فُرض على سكان الجزيرة وكان ذلك بعد وصول الملك "كاميهاميهيا" الخامس إلى العرش عام ١٨٦٣م، حيث أعرب عن ازدياده لهذا المنع وراح يشجّع على إعادة إحياء الممارسات الشعبية. دعى هذا الملك وولي عهده (الملك "كالالاوا" لاحقاً) الكاهونا للمجيء إلى العاصمة هونولولو لتدوين حكمتهم العريقة بشكل كتابي. جمع الكاهونا تواريخ وتراويل وصلوات وممارسات طبية مختلفة لم تكن مكتوبة من قبل إذ كانت سابقاً تُنقل شفهيّاً من الأب إلى الابن. اهتم الملك "كالالاوا" الذي جاء لاحقاً بالإرث الشعبي الذي كاد يصل في زمنه حد الزوال، فراح يشجّع على العودة إلى الحياة التقليدية. هذه الإجراءات التي اتخذها الملك سبب غضب شديد لدى السكان البيض والسلطة السياسية الغربية المسيطرة على البلاد، وفي

العام ١٨٨٧م فرضوا نظام سياسي جديد أدى إلى تجريد الملك من معظم صلاحياته. استمر المنع الذي فُرض على ممارسة الكاهونا حتى العام ١٩٨٩م.

المنع والتحریم لم يطال المجال السحري فحسب بل معظم المجالات الأخرى وخصوصاً الإبحار بعيد المدى والذي برع به سكان جزر بولينيزيا عموماً. لطالما دُهل الغربيون لمدى براعة سكان الجزر في الإبحار بعيد المدى. كانوا يتقلون بين الجزر التي تفصل بينها آلاف الكيلومترات، وسط الأمواج الهائجة والعواصف والأمطار، دون استخدام بوصلة أو أي أداة مألوفة لتحديد المواقع والجهات. كان البحارون يحتفظون بأسرار هذه الطريقة العجيبة في الملاحة ضمن جمعيات سرية تتداولها فيما بينها. لكن حتى هذه المعرفة السرية انقرضت بعد سيطرة الاستعمار الأوروبي (خصوصاً فرنسا) على معظم جزر بولينيزيا.



كيف استطاع سكان جزر بولينيزيا بواسطة هذه المراكب البسيطة أن يجتازوا مسافات شاسعة من المحيط الهادي والوصول إلى أهدافهم بدقة دون استخدام نوع من المعرفة التي نعتبرها اليوم سحرية!؟

وجب العلم أن القبطان كوك Cook البريطاني استعان ببحار محلي من تاهيتي حتى استدل على جزر هاواي، قبل أن واجه مصيره هناك على يد سكان الجزيرة. إذا قارنا الأدوات المتطورة للبحارة البريطانيين وتلك البدائية للبحار المحلي البسيط من تاهيتي سوف نستنتج عينة من علم الإبحار المتقدم لسكان جزر بولينيزيا رغم اختلاف منهجه.

قد تكون الاختصاصات المذكورة سابقاً في مجال السحر مخيفة وتدعو للاشمئزاز فعلاً، لكن يجب أن لا ننسى أمر مهم جداً وهو أننا نتحدث عن طريقة حياة، وقد نظر إليها سكان الجزيرة على أنها عناصر ضرورية توفر الحلول للمسائل التي تطرأ في حياتهم اليومية. كما يجب الأخذ بعين الاعتبار العصور المتعددة التي مرّت على هذه الممارسة السحرية والتأثيرات السلبية التي شوّهتها عبر مراحل زمنية عديدة أهمها السيطرة الكهنوتية المناقفة على الجزيرة لقرون طويلة من الزمن. بالإضافة إلى الحروب التي نشبت بين القبائل المختلفة (بعد أن قسم الكهنة الجزيرة إلى قبائل ومقاطعات) والتي لا بد من أنها استخدمت هذا السحر كسلاح رئيسي فتحول مع الوقت لأداة للقتل أو الأذى بكافة أشكاله. جميع هذه الأسباب وغيرها ساهمت في تشويه المنهج الأصيل لهذه الممارسة. أما العامل الأهم فهو انحدار مستوى الوعي البشري تناغماً مع تأثير الإيقاع الكوني الذي ذكرته في الفصل السابق. رغم الحالة المتخلفة لسكان الجزر إلا أن آثار أجدادهم تكشف عن مستوى رفيع من الحضارة والإنجاز المذهل الذي يتطلب رقي علمي وثقافي.

الأمر الأهم الذي يجب معرفته هو وجود فرق كبير بين "الحوزة" السرية وبين التقاليد الشعبية والديانة السائدة عموماً في هاواي. الكاهونا الحقيقيين هم أصحاب "الحوزة" التي تعتبر تقليد سرّي محصور ضمن مجموعة محددة من الناس ويتم تناقله من الأب للإبن أو من المعلم إلى المريد، وبالتالي فهو تقليد خاص وليس عمومي. صحيح أنني ذكرت بعض المهن الشعبية التي يسمى العاملين بها كاهونا أيضاً إلا أنهم يختلفون عن الكاهونا الذين أفصدهم. حتى الاختصاصات المختلفة في مجال السحر والتي ذكرتها سابقاً تختلف تماماً عن المنهج السحري للـ"حوزة" حيث هناك فرق بين سحر الحوزة والسحر الشعبي. ذكرت سابقاً أن كلمة كاهونا أصبحت على مر الزمن معمة على كل من امتهن حرفة صناعية معينة مثل صناعة القوارب مثلاً.

ملاحظة: لقد استخدموا لقب الكاهونا كما نفعل اليوم عندما نقول معلم ميكانيك أو معلم نجار حيث كلمة معلم هنا تعني خبير أو سيّد مهنة، الأمر ذاته مع كلمة كاهونا. بينما الكاهونا الحقيقي يختلف تماماً.

صحيح أن الحوزة التي أقصدها تستخدم السحر أيضاً لكنه سحر إيجابي لا يؤدي أو يعتدي سوى في حالة الدفاع عن النفس. هو ليس سحر في الحقيقة بل معرفة قائمة بذاتها، طريقة حياة خاصة، نظرة مختلفة تماماً للوجود، لكننا نجهل آلياتها وطبيعتها فنقول عنها سحراً. هذه المعرفة "السحرية" هي التي ساهمت في بناء الأهرامات مثلاً ومعجزات عمرانية مشابهة، وكذلك المعجزات الطبية والكيميائية وغيرها من التي شهدتها التاريخ القديم. لا أعتقد بأن هذا المنهج السحري للحوزة سيبدو مخيف إلى تلك الدرجة بعد التعرف على الأخلاقيات العالية التي تفرضها تعاليمها على الممارسين مثل التشديد على عدم أذى الآخرين والدعوة المستمرة إلى محبتهم ومساعدتهم كلما سنحت الفرصة.

عصر الظلام يحتاج الجزيرة

وجب العلم أن هذا المنهج السحري القائم في هاواي كان في أحد الفترات التاريخية سائداً في كافة أنحاء العالم. الحوزة التي يجتهد الكاهونا في هاواي إخفاءها عن العامة هي ذاتها التعاليم السرية التي تسود تحت أسماء مختلفة بين كافة الجمعيات والمذاهب السرية حول العالم. والسبب الذي جعل هذه التعاليم سرية أو خفية هو سبب وجيه ومنطقي. لمدة طويلة من الزمن، قبل ذلك التاريخ المشؤوم، أي حوالي ٥٠٠ ميلادي (وهو تاريخ تقريبي)، ازدهرت بقايا علوم مذهلة في روعتها تغطي كافة المجالات، من بينها ساد منهج خاص للتطوير الشخصي، ومنهج صحي (علاجي)، ومنهج روحاني كان مكشوفاً للجميع. لم يكن سريراً لأنه لم يكن في حينها معرضاً للقمع والملاحقة. كانت الأديان الشمولية ذات الطابع السياسي القمعي لازالت في بدايات ظهورها ورسوخها. صحيح أن تلك الفترة التاريخية تمثل نهاية الحضارات العظيمة وما رافقها من علوم ومناهج روحية مبهجة لكنها رغم ذلك تمثل فترة أكثر روعة بالنسبة لما جاء لاحقاً. كان يسود نظام اجتماعي متوازن يكرم المرأة بنفس مستوى الرجل. أما بخصوص جزيرة هاواي، ما أصبحت تسمى لاحقاً التعاليم السحرية كانت تسمى في البداية "هو أو مانا" أي صناعة المانا، أو خلق القوة الحيوية. والأفراد الذين مارسوا هذه التقنيات كانوا على علم بأن كل القوة وكافة القوى الحيوية تنبعث من مصدر واحد أحد.. وهو مصدر كل شيء موجود..

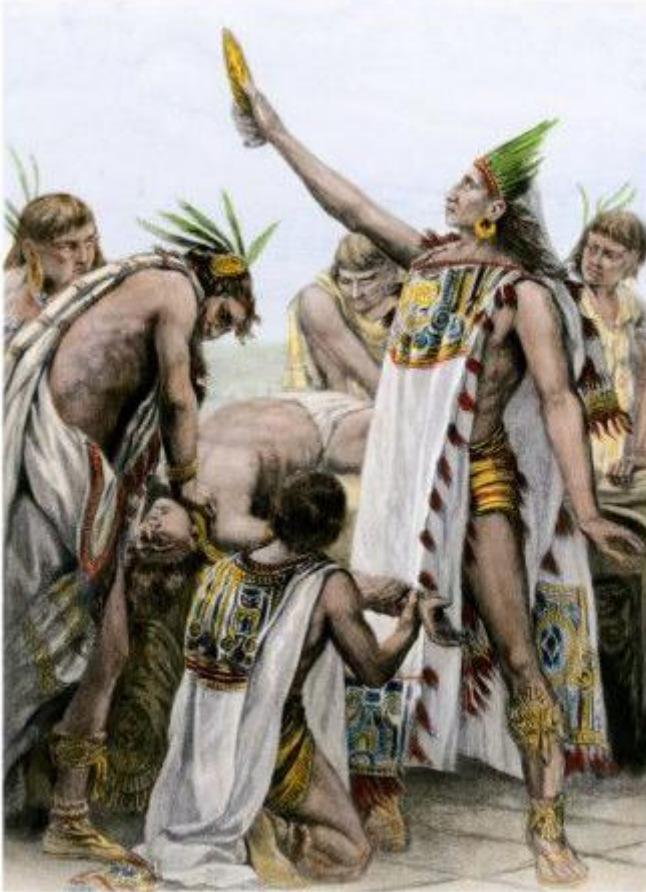
هو مصدر الحياة، وكافة أشكال الطاقة. في تلك الأثناء كانت هذه المعرفة منتشرة في كافة أنحاء الكرة الأرضية. نستطيع تتبع آثار وبقايا هذه المعرفة في كافة أنحاء العالم رغم اختلاف التسميات والشروحات والممارسات.

السبب الذي جعل هذه المعرفة السامية تختفي من على وجه الأرض بحيث لم تترك سوى بقايا مشوهة هو تعرضها لهجمة شرسة انطلقت منذ آلاف السنين وتعاظمت وانتشرت عبر القرون إلى أن أعلنت انتصارها بالضربة القاضية حوالي ٥٠٠ ميلادي. أما في جزيرة هاواي، فقد وصلتها الضربة القاضية بين ٧٥٠م و١٢٥٠م (تختلف التواريخ حسب المراجع). في هذه الفترة جاء الكاهونا الشرير "با أو" Pa'ao إلى هاواي ووجد في الجزيرة شعب مسالم محب يعيش بوئام وانسجام في جنة على الأرض. هذا الكاهن الخسيس عمل على تدمير المنظومة الروحية التي كانت قائمة في الجزيرة (الكاهونا الأصليين) وراح يرسخ نظامه الكهنوتي المقيت مما أدى إلى تغيير المعتقدات والممارسات الدينية السائدة في الجزيرة. النظام القديم اندثر إلى الأبد وساد مكانه نظام شيطاني جديد يهدف إلى استعباد السكان واستثمارهم لصالح الأسرة الملكية المسخة.

خلال تلك الفترة الدموية التي كان فيها الدين الجديد يرسخ نفسه في مجموعة جزر هاواي كان الكاهونا الأصليين يتعرضون للملاحقة والقتل والمعابد تتعرض للتدمير وكل ما يتعلق بالنظام القديم يُحرق ويحطم إلى أن مُسحت آثاره بالكامل. لم يبق من النظام القديم سوى تلك التراتيل التي يتناقلها الأجيال والتي أخفى فيها الكاهونا الأصليين كامل معرفتهم. في الحقيقة، إن ما حصل في هاواي مجرد نسخة مصغرة لما كان يجري حول العالم. ما نسميه ملاحقة الكفار وذبحهم وسبي نسائهم كان سائداً بقوة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. محاكم التفتيش التي أدارتها الكنيسة في أوروبا كانت شرسة لدرجة أن عدد سكان اسبانيا لوحدها انخفض ٥٠% خلال قرنين من الزمن. أنظمة روحية عريقة مثل نظام التانترا في الهند كان في حينها يتعرض للملاحقة والاندثار من قبل موجة دينية جديدة تجتاح الهند. هذه الحالة المرعبة كانت سائدة في كافة المناطق حول العالم، من الهنود الحمر في أمريكا حتى شعوب الأبوريجينال في أستراليا. كافة الشعوب التي

حازت على التعاليم الأصيلة كانت تتعرض للملاحقة في محاولة حثيثة للقضاء على تلك التعاليم والثقافة التي حضنتها.

المظهر الأكثر شناعة للنظام الديني الجديد الذي سيطر على هاواي تمثل بإدخال طقوس التضحية بالبشر في الممارسات الدينية. يمكننا رؤية المظهر ذاته الذي ساد في حضارات أمريكا الجنوبية (مثل الأزتك والإنكا) بعد سيطرة طبقة كهنوتية مسخة في تلك البلاد أيضاً.



شعائر التضحية بالبشر في حضارة الأزتك. هل كانت سائدة منذ البداية؟ أم أنها مجرد ممارسة طارئة رافقت الطبقة الكهنوتية الشريرة التي سيطرت على البلاد في إحدى الفترات التاريخية الغادرة؟



معظم الجزر النائية سادت فيها شعائر التضحية بالبشر في إحدى فترات العصور
المظلمة التي اجتاحت العالم أجمع

بعد سيطرة الكهنة المنافقين انفلتت الممارسة السحرية من عقالها. لم يعد هناك أي ضابط أخلاقي أو ديني يردع السحرة من القيام بأعمال مؤذية وشريرة. أصبح الأمر يعتمد على الساحر ذاته إن كان خيراً أو شريراً. من هنا بدأت تتخذ هذه الممارسة مظهر مقرر كما شعرنا خلال قراءة الموضوع السابق الذي يتحدث عن أنواع الكاهونا. في تلك المرحلة العصبية التي مرت بها الجزيرة بدأ ينشأ ما نسميهم الكاهونا السود. بدلاً من استخدام قواهم السحرية لخدمة مجتمعاتهم، راحوا يستخدمونها لاستعباد الناس وإبقائهم في حالة خوف دائم، بينما الكهنة المنافقين استغلوا مناصبهم النافذة لعزل الناس عن التواصل الروحي المباشر مع الكائن الأعلى. كانت فترة سوداء بكل ما تعنيه الكلمة.

إن استخدام القوة النفسية والإكراه النفسي للسيطرة على الآخرين بهدف الربح أو أي هدف أناني/دنيوي سوف يؤدي إلى تدمير التكامل البنيوي للنفس، مما يؤدي بدوره إلى تدمير الروح. هذه نتيجة سوء استخدام القوى على المستوى النفسي فقط. بينما سوء استخدام القوى الروحية، أي تلك التي تصنع المعجزات (السحرية)، فتؤدي إلى مخاطر أكبر. يبدو واضحاً أن هذه القوة الروحية ثنائية الجانب، أي يمكن استخدامها للشر كما للخير،

وبالتالي فإن المجال الذي يعمل به الكاهونا (أو أي شاماني أو ساحر) هو مجال يفرض علينا أخذه بجدية وعدم الخفة.

لكن من ناحية أخرى، وجب علينا عدم الخلط بين المفاهيم ووضع كافة الأعمال التجاوزية في سلة واحدة. بعض الأديان الرسمية السائدة اليوم، والتي تحدد ما هو حرام وما هو حلال، تقيم صلاة الاستسقاء بهدف جلب الأمطار. لكن هذه ممارسة معروفة ومنتشرة في كافة بقاع العالم حيث معظم القبائل البدائية اليوم يقيمون طقوس مختلفة تهدف إلى جلب الأمطار، لكن المفارقة هي أنها تعتبر ممارسات شعوذة من قبل الدين الذي يقيم صلاة الاستسقاء! إن جلب الأمطار لإرواء الناس والزرع هو عمل خير، وبالتالي يمكن البناء على هذه الممارسة الخيرة للتوسع أكثر في مجال الممارسات التجاوزية بحثاً عن ما يفيدنا ويكون خيراً لنا، خصوصاً فيما يتعلق في مجالي الزراعة والصحة. إذا تم إجراء عمل تجاوزي معيّن بهدف حماية الحقول والبساتين من الحشرات الضارة بالإضافة إلى زيادة الإنتاج، وهي طريقة رخيصة وغير ضارة، فسوف تعتبر شعوذة وغير سليمة. لكن رمي كميات كبيرة من المضادات الحشرية الكيماوية والسماذ الكيماوي في الأراضي المزروعة تعتبر أمر علمي وسليم! مع العلم أن الأرض التي يتم تلويثها بالمواد الكيماوية سوف تموت وتصبح جرداء خلال فترة قصيرة، بينما العمل التجاوزي لن يصيبها بأي أذى. هذا ما أقصده بخلط المفاهيم خلال التعامل مع هذا الموضوع. صحيح أنه يوجد جانب شرير لهذه الممارسة لكن يوجد أيضاً جانب جيد ومفيد، وهذا الجانب الأخير مهما كان ضئيلاً وجب الاهتمام به واخذه على محمل الجد.

هذا ليس تسويق للشعوذة والسحر كما سوف يتهمني به البعض، لكن يمكن اعتبارها زيادة في المعرفة والاطلاع. الحوزة التي أتناولها في هذا الكتاب، كما العلوم الخفية والشامانية المنتشرة حول العالم بمظاهرها المختلفة، هي تتناول الجانب الخفي من الإنسان، لكن بنفس الوقت هي تمثل سيف ذو حدين. الأمر يتوقف على ممارس هذه العلوم، بدلاً من استخدامها للكسب والسيطرة وغيرها من أهداف دنيوية يمكن استخدامها لتطوير الذات والارتقاء الروحي.

الحوزة ليست دين بل علم تطبيقي

قبل السير قدماً في شرحنا وجب توضيح مسألة مهمة تتعلق بالمعتقدات الدينية للكاھونا. إن "الحوزة" التي تم تناقلها بينهم من جيل إلى جيل تعتبر نوع من علم النفس التطبيقي أكثر من كونها تعاليم دينية. العناصر الدينية بالمعنى الذي نألفه نحن هي ضئيلة جداً في هذا المنهج العلمي الخاص. وجب العلم أنه لا يوجد فرق كبير بين مفهوم السحر والدين. كلاهما يتعامل مع مواضيع ماورائية. لكن السحر يمثل نوع معيّن من العلاقة المتبادلة مع قوى ماورائية، بينما الدين يمثل علاقة الإنسان مع قوة ماورائية مطلقة. كل الأديان الحالية تحوي نوع من الممارسة السحرية في منهجها. الصلاة مثلاً تمثل نوع من السحر لأنها تتعامل مع جهة ماورائية. إن كل ما نفعله بهدف نيل منافع معينة لأنفسنا في هذه الحياة أو الحياة الأخرى يمثل نوع من السحر، لأن السحر هو عبارة عن حصول على شيء من مصادر ماورائية. الدين الحقيقي (والذي هو بعيد كل البعد عن الأديان السائدة اليوم) هو عبارة عن عبادة كائن مطلق وقبول كل ما يمنحه مهما كان سيئاً أو جيداً ويكون الفرد متشكراً في كلا الحالتين. الشخص المتدين الحقيقي هو من أسلم نفسه كلياً للإله الأعلى وقبل بكل ما يختبره من مساوئ وحسنات. أما المتدين الذي يتطرف في عبادته ومعاملاته وحياته عموماً، خصوصاً بالالتزام بالطقوس والفرائض الدينية المختلفة، فهو ليس إنساناً متديناً (أي هو ليس مسلماً) لأنه يفعل ما يفعله فقط من أجل نيل رضى إلهه (يتزلف) ليس لأي سبب سوى لأنه يطمح إلى نيل الحسنات بأقصى درجة ويجاهد بكل ما عنده إلى تجنب السيئات بأقصى الحدود، وهذه ليست طريقة المتدين الأصيل الذي يرضى بكل ما يناله من حسنات وسيئات ويكون متيقناً أن ما يختبره من ظروف سيئة أو جيدة هو مجرد دروس تزيد من توسع الوعي لديه لأنه لهذا السبب بالذات تجلّى بصيغة جسدية في العالم المادي الذي يعتبر أكبر مدرسة للنفس والوسيلة الوحيدة لتتقيتها وجلاءها.

رغم أن "حوزة" الكاھونا تحوي في منهجها على قصص جلبوها معهم من وادي النيل والتي تتطابق مع قصة آدم وحواء وقصة الخلق وقصة الطوفان وغيرها، لكنهم لم يأخذوا

بالمفهوم الديني الذي يتحدث عن إله أعلى ذو طبيعة أبوية متسلطة. لقد سَلّموا بوجود إله مطلق للكون لكن لا يمكن للعقل البشري استيعابه وبالتالي يستحيل إدراكه والتعامل معه مباشرة. لا يستطيع الإنسان استيعاب أي شكل من الوعي المختلف عنه أو أعلى منه في المنزلة. بالتالي رأوا أنه كل الجهود البشرية لتصور خصائص وميزات إله أعلى مطلق ونهائي يُعتبر مضيعة للوقت. آمنوا بوجود مصدر مطلق للخلق لكنهم لم يتعاملوا معه أو يتوجهوا إليه بصلواتهم. ما الجدوى من الصلاة لشيء لا تعرفه؟ استنتجوا أنه ما من نتيجة عملية لذلك.

لقد ظهر الكثير من الحركات الدينية عبر التاريخ البشري وقررت التعامل مباشرة مع الكائن الأسمى [جلّ وعلا] الذي خلق الكون. لكن ماذا كانت النتيجة سوى تدنيته أكثر من تمجيده؟! أكثر ما فعلوه في هذا السبيل هو تصوّره وكأنه بهيئة إنسان آخر! رغم أنهم زادوا من مستوى عظمتهم لكنهم أبقوا على جعله يتصرف ويفكر ويتكلم كما الإنسان. بدلاً من محبته راحوا يهابونه ويصلون له خوفاً من غضبه وأملاً بنيل عطاياه وإحسانه. راحوا يرشونه بذبائحهم وأضحياتهم وقرابينهم المختلفة. حاولوا جاهدين الالتزام بأوامره ووصاياها التي تصوّروا أنه فرضها. أي بمعنى آخر، راحوا يعبدون ويتوسلون لكائن ذو طبيعة بشرية لكن أعظم منزلة من الإنسان العادي وهنا يكمن الخطأ في التعامل مع الكائن الأسمى [عزّ وجلّ] الذي يفوق تصوّر أرقى الخيال ويسمو فوق أرقى إدراك وبالتالي مجرّد التعامل معه بطريقة بشرية دنيوية يعني تدنيته في أي حال من الأحوال.

كان الكاهونا عمليين أكثر في هذا المضمار. من خلال تسليمهم بحقيقة وجود مستويات عديدة من الوعي والتي تسمو فوق مستوى وعي الإنسان، لم يهتموا بأي مستوى سوى ذلك الذي يعلو وعي الإنسان مباشرةً. في هذا المستوى يقبع ما نسميه الوعي الخارق أو النفس العليا، وهو الإمتداد الأعلى في كينونة الإنسان. أشار إليه الكاهونا باسم "أوماكوا" Aumakua، ومعناه "العريق" أو "الوالد الحنون" أو "الروح الأمانة والجديرة بالثقة". عندما وصفوه بـ"الوالد الحنون" قصدوا بذلك الأب والأم معاً، حيث الـ"أوماكوا" يعتبر ذكر وأنثى معاً. كافة الصلوات موجهة لهذه الروح المزدوجة، ولأنها تعتبر جزءاً من كينونتنا مثل العقل الواعي والعقل الباطن (رغم أنها تقبع في المستوى الباطني) لم يتوجه الكاهونا

إلى هذه الروح بالعبادة بل بالمحبة، بالتالي لم يقدموا لها الأضاحي ولا الرشاوى من أي نوع. كانت العلاقة معها تتميز بالمحبة والثقة كما هي علاقة الابن مع والديه تماماً.

بسبب هذا السلوك العقلاني السليم حافظ الكاهونا على اتباع ممارسة دينية بسيطة وخالية من العقائد والمسلّمات الدينية الصارمة. كانوا مباشرين في عملهم التجاوزي إلى أقصى الحدود. لهذا السبب كانوا يحوزون على منهج سحري عملي جداً وله تأثيرات مباشرة وفعالة. هذه الطريقة في صناعة السحر لم تتطلب أي تنظيرات فلسفية أو لاهوتية من أي نوع. لن تجد في معتقداتهم أي قديسين أو أولياء صالحين أو جنة ونار ولا وحي إلهي ولا نصوص مقدسة معرّضة لسوء الفهم والتفسير. "حوزتهم" تشمل تطبيقات عملية تستطيع إحداث قوة سحرية كبيرة في أي لحظة يتم طلبها.

لهذا السبب نرى أن طقوس المشي على الجمر أو على الحمم البركانية السائلة والتي اشتهر بها الكاهونا في جزيرة هاواي تعتبر طقوس أساسية بالنسبة لهم لأنها كانت ولا زالت تعتبر، وخصوصاً بالنسبة للمتخرجين الجدد من مدرسة الحوزة، إثبات فعلي على وجود قوة سحرية يمكن استدعاءها وفق طرق محددة وحين الطلب.

معظمنا يصلي من أجل نيل البركات والعطايا على أنواعها، لكن أصحاب "الحوزة" يستطيعون تجسيد نتائج أكيدة ومباشرة وتكون أكثر فعالية وقوة من تلك البركات والعطايا التي نصلي من أجلها. نحن مثلاً لا نستطيع الصلاة من أجل الحصول على مناعة ضد النار! بينما أصحاب الحوزة يعتبرون هذه المنحة الإلهية أقل ما يمكن تقديمه حيث يوجد الكثير من الإنجازات والظواهر المذهلة التي يستطيعون تجسيدها.

.....

قدوم الكاتب لونغ إلى الجزيرة

وصل الكاتب "ماكس فريدم لونغ" Max Freedom Long إلى هاواي في العام ١٩١٧م ليعمل بوظيفة معلم مدرسة. أول مدرسة توكل بها كانت في منطقة "كيلاويا" التي فيها بركان كان لايزال نشطاً، ويستغرق السفر إليها ثلاثة أيام من هونولولو بواسطة قارب بخاري صغير. لم يمضي وقت طويل من وجوده هناك حين بدأ يسمع روايات مختلفة عن السحرة المحليين الذين يسمونهم "كاهونا". أثار ذلك فضوله فبدأ يطرح الأسئلة هنا وهناك. لكن أسئلته هذه لم تلقى التجاوب ولا حتى الترحيب. شعر بأنه خلف الحياة الأهلية العادية تقبع أسرار وممارسات خاصة لا ترحب بالمطفلين الغريباء. أدرك بعد فترة بأن هؤلاء السحرة، الكاهونا، خارجين عن القانون منذ الأيام الأولى لوجود المبشرين خصوصاً بعد أن أصبحوا العنصر الحاكم في البلاد، وهذا جعل نشاطات الكاهونا ومراجعتهم سرية جداً عندما يتعلق الأمر بالرجل الأبيض.

راح "لونغ" يسمع الكثير من الروايات عن العلاج الفوري عبر استخدام السحر، وكذلك القتل الفوري باستخدام السحر لكن دائماً يكون القتل لأولئك الأشرار الذي يؤذون الآخرين. والأمر الأغرب الذي سمعه "لونغ" هو استخدام السحر من أجل استشراف مستقبل الفرد وإذا لم يكن جيداً يتم تغييره ليكون أفضل!

كان "لونغ" ذو عقلية متشككة، وهذا بسبب تنشئته الدينية بالإضافة إلى ميوله العلمية التي لا تسمح له الانجراف بسهولة مع تيار من المعتقدات الخرافية. الذي دعم هذا الموقف المتشكك هو قراءته لمجموعة من الكتب التي استعارها من مكتبة هونولولو حول الكاهونا، ونسبة كبيرة من مراجعتها جاءت من المبشرين الذين سيطروا على البلاد قبل قرن تقريباً. الخلاصة التي استنتجها "لونغ" بعد قراءة هذه الكتب هي أن الكاهونا هم مجموعة من الأندال الأشرار الذين يعيشون على جهل السكان ومعتقداتهم الخرافية... وأنهم لا يحوزون على أي سحر من أي نوع. حينها استراح "لونغ" مطمئناً بأن كل ما

يسمعه عن هؤلاء الكاهونا هي نسج خيال لا أكثر. لكن الواقع فرض عليه قصة مختلفة تماماً.

أول حادثة شهد عليها "لونغ" أثارت ارتياحه من جديد. هناك شاب من السكان الأصليين يعيش في نفس المنطقة ويعرفه "لونغ"، هذا الشاب تخرّج من المدارس الرسمية وكله إيمان بأن العلم الذي يحوزه هو أرقى منزلة من الخرافات المحلية ولكي يثبت ذلك قرّر تحدي المعتقدات السائدة فدخل إلى حرم معبد صغير (خلوة) ويكون بذلك قد دنسه. هذا الاستعراض للعضلات انقلب على الشاب المسكين حيث مجرد أن دخل الخلوة أصابه الشلل في رجليه. حمله أصدقاؤه إلى المنزل بعد أن خرج من الخلوة زاحفاً. بعد عجز طبيب المنطقة عن علاجه أخذوه إلى أحد الكاهونا فعالجه فوراً.

بدأ "لونغ" يطرح الأسئلة من جديد. سأل بعض السكان البيض القداماء في المنطقة عن رأيهم بالكاهونا فكانت الإجابة واحدة: لا تتدخل في شؤونهم وابقى بعيداً عنهم. سأل أشخاص محليين ذوي ثقافة عالية ومستوى علمي رفيع لكنهم لم يجيبوا. إما أنهم اكتفوا بالضحك أو تجاهلوا السؤال كلياً. استنتج "لونغ" بأن هذه الحالة المريبة تخفي حقيقة معينة لها أساس واقعي لكن يرفض الجميع الاعتراف بها أو الحديث عنها أصلاً.

لم تتقطع الروايات المختلفة عن الكاهونا مع تنقل "لونغ" من مدرسة إلى أخرى في الأرياف المعزولة بجزر هاواي حيث لازلت التقاليد الشعبية نشطة هناك لكن من جهة أخرى كان القانون ساري المفعول والتحریم الكنسي أيضاً كان نافذاً بقوة.

إحدى الروايات الشائعة التي سمعها "لونغ" كان حينها في منطقة تسود فيها مزارع القهوة على منحدر الجبل وفي الأسفل على الشاطئ يعيش صيادين أسماك محليين. سكن حينها في منزل مجاور لامرأة عجوز تعمل واعظة لأكبر أبرشية في المنطقة، لكنه علم بأن كنيستها مستقلة تماماً عن الكنائس التبشيرية في الجزيرة. كانت هذه المرأة ذاتية التعيين كواعظة وقد ورثت هذا المنصب من والدها وليس من السلطة الكنسية في الجزيرة. وكان لهذه الحالة قصة مثيرة بالفعل. بدأت القصة منذ أيام والدها الذي كان

واعظاً معيناً رسمياً من قبل السلطة الكنسية وقد قرر في أحد الأيام أن يغامر في تحدي القوة السحرية لأحد الكاهونا المحليين من خلال استخدام صلاته الكنسية وإيمانه المسيحي الصادق. لكن الكاهونا وعده بأنه سيقتل جميع أفراد رعيته واحداً تلو الآخر ليثبت بأن معتقداته أكثر أصالة وواقعية من الخرافات المسيحية. قال "لونغ" بأنه اتطلع على مذكرات ذلك الواعظ بنفسه، حيث ذكر كيف بدأ أفراد رعيته يموتون الواحد تلو الآخر ثم الهروب المفاجئ لباقي أعضاء الرعية خوفاً من أن تطالهم هذه اللعنة المميته. لكن الذي لم يذكره هذا الرجل المؤمن في مذكراته كان أكثر عجباً بالنسبة للونغ وقد روته ابنته بلسانها. غاب الواعظ لفترة من الزمن عن الأنتظار وخلالها تعلم كيف يستخدم السحر الذي يؤدي إلى الموت (صلاة الموت) وراح في السرّ يقيم هذا الطقس المميت ويوجهه إلى الكاهونا الذي سبب هذه الكارثة لرعيته. ذلك الكاهونا لم يتوقع هذا الإجراء من قبل الواعظ وبالتالي لم يتخذ الاحتياطات اللازمة فمات خلال ثلاثة أيام. ما كان على الرعية سوى التسابق عائدين إلى الكنيسة وتعظيم الواعظ الذي تغلب على الكاهونا الشرير. الجميع ظنّ بأن الواعظ استخدم الصلاة الكنسية للانتصار أما الحقيقة فبقي سرّها مدفوناً إلى الأبد. منذ تلك الحادثة تغيّر الواعظ كلياً. شيء ما أصاب معتقداته في الصميم. لم يرتدّ عن الدين المسيحي لكنه بقي مستقلاً عن السلطة الكنسية لعدم جدواها بنظره. لقد أسس كيانه التبشيري الخاص وقدمت له إحدى الأميرات المحليات هدية وهي قطعة أرض تمتد من الشاطئ حتى سفح الجبل فبنى عليها كنيسته الخاصة وها هي ابنته ترأسها كواعظة مستقلة بعد ستين سنة.

مضى الآن على وجود "لونغ" في هاواي أربعة أعوام ولم تتقطع خلالها الروايات المثيرة حول الكاهونا المتراوحة بين المشي على النار والتحكم بالأمطار إلى العلاج الفوري وتحضير الكائنات الغيبية وغيرها، لكن جميعها بقيت مجرد روايات رغم مصداقية الرواة وقوة الدلائل والبراهين إلا أن هذا لا يكفي لبناء صورة واضحة ذات أساس واقعي راسخ. هو بحاجة إلى سلطة رسمية تؤكد هذه الظواهر وليس الاكتفاء بمصادر شعبية. في هذه الفترة انتقل إلى هونولولو وبعد أن استقر هناك قرر زيارة متحف "بيشوب" للتاريخ الطبيعي Bishop Museum وهي مؤسسة مشهورة أوجدتها الأسرة الملكية لتمويل مدرسة خاصة للسكان الأصليين. سبب زيارته هذه هو محاولة إيجاد أحد يقدم أجوبة

رسمية لتساؤلاته حول الكاهونا والتي أفلتته عبر السنوات. سمع بأن أمين المتحف أمضى معظم حياته يدرس كل ما يخص الحياة المحلية في هاواي، فأمل أن يقدم له جانب من الحقيقة على الأقل، وبطريقة علمية باردة ووفق منطق سليم ومقبول.

كان أمين المتحف يدعى "وليام توفتس بريغهام" William Tufts Brigham وفقاً للكاتب "لونغ" كان "بريغهام" عالم عظيم ومرجع مهم في مجال عمله، نال التقدير والاحترام من قبل المتحف البريطاني بسبب كمال دراساته ونشر المتحف الكثير من التقارير العلمية بناء عليها. كان في الثانية والثمانين من عمره، ضخم البنية وأصلع لكن ذقنه كثيفة الشعر.

دخل "لونغ" إلى مكتبه وبعد أن عرض "بريغهام" عليه الجلوس عزّف "لونغ" عن نفسه ودخل فوراً إلى السؤال الكبير الذي جلبه إليه أصلاً. استمع "بريغهام" بانتباه وراح يسأل عن الأشياء التي سمعها "لونغ" والمناطق المختلفة التي سكنها والأشخاص الذين تعرف عليهم. راح يرد على تساؤلات "لونغ" حول الكاهونا بتساؤلات عن استنتاجاته بخصوص الموضوع. شرح "لونغ" بأنه لازال مقتنعاً بأن الأمر بكامله مجرد إيمان بالخرافات أو إichاعات أو خدع أو غيرها من هذا القبيل، لكنه لازال بحاجة إلى أحد يمثل مرجعية رسمية بهذا الشأن ويحوز على معلومات حقيقية تحسم الموضوع بشكل نهائي فتهنأ نفسه إلى الأبد.

شعر "لونغ" في البداية أنه جاء إلى المكان الخطأ، بسبب التساؤلات العديدة التي طرحها "بريغهام" وجميعها بعيدة كل البعد عن الموضوع الرئيسي. راح يتساءل في نفسه، كيف يمكن لأكاديمي محترم كهذا أن يحدثني عن السحر والكائنات الخفية وغيرها من أمور ماورائية؟ بدأ صبر "لونغ" ينفذ قبل أن يتوقف "بريغهام" فجأة عن الكلام وحدق إلى عينيه بنظرة صارمة وسأله: "هل أستطيع الاتكال عليك في احترام ثقتي بك؟" ثم ابتسم وتابع قائلاً: "حتى بهذه السن المتأخرة من عمري لا زالت مهتماً بسمعتي الأكاديمية.."

أجابته "لونغ" بأن ما سيقوله لن يخرج أبعد من باب المكتب وانتظر ما سيدلي به هذا الأكاديمي المحترم. فكر "بريغهام" للحظات ثم قال: "للمدة أربعين سنة كنت أدرس الكاهونا بحثاً عن إجابات على التساؤلات التي تطرحها. الكاهونا يستخدمون بالفعل ما تسميه سحراً. إنهم يشفون بالفعل. يقتلون بالفعل. وينظرون إلى المستقبل ويغيرون مجرياته بالفعل. الكثير منهم دجالين، لكن البعض منهم حقيقي وأصيل. بعضهم يستخدم هذا السحر للمشي على النار أو فوق الحمم البركانية السائلة والتي بالكاد تحمل وزن إنسان.."، ثم توقف عن الكلام فجأة وكأنه تكلم الكثير بخصوص هذا الموضوع. اتكأ إلى الوراء على كرسيه وراح يراقب تجاوب "لونغ" لما قاله.

أصيب "لونغ" بدهشة. ها هو جالس أمام مرجع علمي كبير يعترف له بواقعية الموضوع الذي جاهد الجميع في تكذيبه. كان يتوقع العكس تماماً، تكذيب رسمي لمسألة الكاهونا. بدلاً من غسل يديه كلياً من هذا الموضوع رأى "لونغ" نفسه غائصاً فيه حتى الأذنين. استجمع أفكاره ورأى نفسه يطرح سؤالاً بتردد: "للمشي على حمم بركانية؟... لم أسمع عن ذلك من قبل... كيف يفعلون ذلك؟.."، ضحك "بريغهام" وقال "للمدة أربعين سنة أن أجب على هذا السؤال لكن دون جدوى..".

لم يمضي وقت طويل في هذه المقابلة قبل أن يذوب الجليد بين الرجلين. وكانت هذه المقابلة بداية جيدة لعلاقة صداقة استمرت سنوات. كان "بريغهام" يعمل سابقاً معلّم مدرسة، وبالتالي كان لديه موهبة التبسيط والتوضيح في مناقشة حتى أعقد المسائل. هذا ما لاحظته "لونغ" مع مرور الوقت. وقد أسرّ له "بريغهام" لاحقاً بأنه طالما كان يبحث عن شاب مناسب يدرسه كيف يدرس هذه الظواهر بطريقة علمية ويأتمنه بالمعرفة التي اكتسبها خلال دراسة هذا المجال الغير مكتشف بعد والذي لازلنا نسميه سحر.

كان لدى "بريغهام" توك كبير لمعرفة سر الكاهونا، لكنه يتقدم في العمر وشعر بأن الوقت القصير الذي بقي من حياته لن يمنحه هذه الفرصة. شرح كيف أن الكاهونا بذاتهم فشلوا في إقناع أولادهم وبناتهم في الالتزام بالتدريب وتعلم هذا التقليد العريق الذي تم تناقله عبر العصور من الأب لابن وتحت قسم صارم بالحفاظ على السرية التامة.

مغريات الحياة العصرية ذات الوتيرة السريعة خربت عقول الصغار وأفسدت أرواحهم. أكد "بريغهام" أن الكاهونا الذين يستطيعون إحداث الشفاء الفوري وغيرها من معجزات حقيقية قد انقرضوا من الجزيرة منذ العام ١٩٠٠م والكثير منهم كانوا أصدقائه المقربين. حتى لو بقي هناك كاهونا أصليين في الجزيرة فقد تعلموا عبر التجربة الصعبة أن لا يتعاملوا مع البيض، وبالتالي ما من مواطن محليّ يجروء على اصطحاب معه إنسان أبيض عند زيارة كاهونا دون إذن منه، وهذا الإذن نادراً ما يُمنح لأحد.

اعترف "بريغهام" متألماً بأنه أصبح وحيداً في الساحة بحيث لم يعد هناك ظواهر خارقة ليدرسها مع موت أصدقائه الكاهونا. وقد يبدو الأمر مضحكاً بالفعل إذ استطاع في الماضي أن يحضر طقوسهم ويراقب عملهم وكان صديقاً مقرباً لهم، حتى أنه تمكن في إحدى المناسبات أن يمشي على الحمم البركانية بصحبتهم وبحماية سحرية منهم، لكنه رغم ذلك كله لم يتكون لديه أدنى فكرة عن آلية عمل هذا السحر الذي استخدموه. باستثناء حالة واحدة فقط وهي تلك التي تسمى "صلاة الموت" التي وصفها بأنها ليست سحر بمعنى الكلمة بل عبارة عن ظاهرة متقدمة من تحضير الأرواح.

كل ما استطاع فعله "بريغهام" هو إثبات حقيقة أن التفسيرات السائدة حول سحر الكاهونا ليست صائبة. هي ليست مجرد إichاءات نفسية ولا أي شيء مألوف حالياً في مجال علم النفس. إنهم يستخدمون شيئاً لازال غامضاً وعلينا اكتشافه، لأنه العنصر الأهم في العملية. علينا إيجاده وفق وسائل علمية، وسوف يحدث ثورة في عالم المعرفة إذا وجدناه. سوف يحدث تغييراً جذرياً في المفاهيم العلمية. كما أنه سيحدث توفيقاً حاسماً بين المعتقدات الدينية المتضاربة.

أبرز ما أوصى به "بريغهام" بخصوص هذه الظواهر هو التالي: ابحث دائماً عن ثلاثة أشياء خلال دراستك لهذا السحر. لا بد من وجود نوع معين من الوعى الذي يدير عملية السحر. وكذلك نوع معين من القوة المستخدمة لتجسيد هذه الإدارة الواعية. وأخيراً لا بد من وجود نوع معين من المحتوى أو المادة المرئية أو غير المرئية التي تعمل خلالها

تلك القوة. ابحت دائماً عن هذه العناصر الثلاثة، وإذا وجدت واحد منها فسوف يقودك إلى العنصرين الآخرين.

بعد أربع سنوات من الصداقة الحميمة مات السيد "بريغهام" تاركاً السيد "لونغ" وحيداً في هذا المجال الاستثنائي من البحث العلمي. هذا يجعل السيد "لونغ" الإنسان الأبيض الوحيد في العالم الذي يعرف الكثير عن تقليد الكاهونا الذي يتعرض للزوال بشكل مطرد وسريع ويسعى جاهداً إلى تفسيره بشكل علمي مقبول. لطالما ترقّب مع السيد "بريغهام" ظهور اكتشاف جديد في مجال علم النفس أو الأبحاث الروحية لكن دون جدوى، حيث كلا المجالين بدأ بيدي عقمه في هذا الموضوع. رغم وجود أكثر من مئة عالم بارز انشغل في البحث بهذا المجال الغامض عبر خمسين سنة سابقة لتلك الفترة (خصوصاً جمعية الأبحاث الروحية) لكن لم يتم التوصل إلى أي نظرية ثابتة تفسر حتى ظواهر بسيطة مثل التخاطر والإيحاء النفسي، هذا ولم نتحدث عن تجلي الأشياء من العدم أو انتقالها لحظياً من مكان إلى آخر أو تجليات شبحية أكتوبلازمية.

مرّ المزيد من السنوات وعجز "لونغ" عن التقدم في بحثه، وفي العام ١٩٣١م اعترف بانهزامه وترك الجزر عائداً إلى دياره في كاليفورنيا. استمر هناك في ترقّب ظهور أي اكتشاف ثوري في مجال علم النفس يحمل تفسير علمي مناسب لهذه المسألة التي طالما شغلته لكن دون جدوى. لكن في العام ١٩٣٥م استيقظ في أحد الليالي بفكرة مذهلة قادته مباشرة إلى المفتاح الذي سيكشف له عن الحل المنشود لهذا اللغز. لا بد أن لدى الكاهونا أسماء خاصة للعناصر التي يتكون منها تقليدهم السحري. دون هذه الأسماء لما استطاعوا نقل هذا التقليد عبر الأجيال. بما أنهم يتكلمون لغة هاواي فلا بد من أن تلك الأسماء موجودة بهذه اللغة. لغة هاواي مكونة من كلمات مركبة، أي كل كلمة تتألف من كلمات جذرية قصيرة. بالتالي فإن ترجمة تلك الكلمات الجذرية القصيرة سوف تؤدي إلى معرفة المعنى الأصلي للكلمة المركبة. كل ما عليه فعله الآن هو النظر في الكلمات المستخدمة في صلوات وترتيلات الكاهونا المسجلة في الأرشيف وبيدأ بترجمتها بعد إعادتها إلى جذورها.

بدأ العمل على هذه الفكرة في الصباح التالي. أول ما خطر له هو الاعتقاد السائد لدى الكاهونا والقائل بأن للإنسان روحين اثنين. لم يبدي أحداً أي اهتمام لهذا الاعتقاد الذي اعتُبر خاطئ. كيف يمكن للإنسان أن يملك روحين؟ يا لها من سخافة.. يا لها من خرافات سوداء! هكذا كان رأي الجميع بهذا الاعتقاد. راح "لونغ" يبحث عن الأسماء التي استخدمها الكاهونا للإشارة إلى هاتين الروحين. استعمل معجم مترجم من لغة هاواي إلى اللغة الإنكليزية، وكان معجم قديم صادر عام ١٨٦٥م. أسماء الروحين هي: "أوهاني" *uhane* و"أونيهيبيلي" *Unihipili*. وجاءت معانيهما في المعجم كما يلي:

١. "أوهاني" *U-ha-ne*: هي نفس أو روح الشخص. شبح أو روح الإنسان الميت. هذه الروح تستطيع الكلام والبكاء والشكوى.. إلى آخره. هذه الروح تفارق الشخص كلياً بعد موته ولم يعد لها صلة به إطلاقاً.

٢. "أونيهيبيلي" *U-ni-hi-pi-li*: عظام رجل ويد الشخص. وهو اسم يُطلق على أحد مراتب الآلهة التي تُدعى "أكوانو هو". كما انها الاسم الذي يشير إلى الجندب.

أدرك "لونغ" أن هذه التعريفات غير الكاملة لهتين الروحين جاءت بسبب عدم اتفاق التبشيريين (الذين صاغوا المعجم أصلاً) على الكثير من الجوانب التي يمثلها الاسمان لأنه يبدو أن السكان المحليين الذين استشاروهم بهذا الخصوص كانوا يعطوهم معاني متضاربة. بعد إعادة كل اسم إلى جذوره كشف عن العديد من المعاني المؤدية إلى فكرة واحدة نهائية. تذكر أن غايته الأساسية هي إيجاد معاني لها علاقة بالسكر الذي استخدمه الكاهونا.

لم يمضي وقت طويل قبل أن يكتشف حقيقة مهمة جداً وهي أن هاتين الروحين التي تحدثت عنهما الكاهونا قصدوا بهما الوعي واللاوعي وفق مفهومنا المعاصر. لكن لم يكن اللاوعي كما نفهمه بل كان بالنسبة للسكره أعظم بكثير. فيما يلي التعريفات التي توصل إليها "لونغ" بعد العودة إلى جذور الكلمات.

١. "أوهاني" هو الوعي. الكلمة الجذرية "هاني" في كلمة "أوهاني" تعني الكلام. أي أن هذه الروح هي التي تتكلم في الإنسان. وصفوا هذه الروح بأنها تتكلم وتبكي لكن مفعولها ضعيف. وهذا بالضبط ما يقوله علم النفس الحديث عن الجانب الواعي للإنسان إذ هو يمثل القسم الأصغر من منظومته العقلية.

٢. "أونيبيبيلي" هو اللاوعي. الكلمات الجذرية لهذه الكلمة تعطي عدد كبير من المعاني التي توصف هذه الروح. تشير المعاني إلى أن هذه الروح تبكي لكنها لا تستطيع الكلام. هي شيء يغطي شيء آخر ويخفيه، أو هي خفية بواسطة غطاء أو حجاب. هي روح تتبع الروح الأخرى أو موصولة بها. هي لزجة وتلتصق بالروح الأخرى. هي تلتحق بالروح الأخرى وتعمل كخادم لها. هي الروح التي تتصرف بسريرة وبصمت وبكل حذر، لكنها لا تفعل بعض الأشياء لأنها تخاف من غضب الآلهة. هي الروح التي تستطيع أن تتأ أو تتدلق من الشيء أو تخرج من ذلك الشيء أو تسحب شيء من ذلك الشيء. هي ترغب بأشياء معينة لدرجة التوق. هي عنيدة وممتعة، وتميل إلى عدم فعل ما تُؤمر به. هي تختلط أو تتصبع أو تُنقع بشيء آخر. لها علاقة بدلف الماء أو صناعة ورشح الماء المنعشة (اكتشف "لونغ" لاحقاً أن الماء يرمز إلى القوة الحيوية للإنسان).

وفقاً للكاتب "لونغ"، نظر الكاهونا إلى الوعي واللاوعي على أنهما عبارة عن روحين متواجدتان في جسد واحد يتم السيطرة عليه من قبل اللاوعي. الروح الواعية هي أكثر إنسانية بمظهرها وتملك القدرة على الكلام وبالتالي هي تقبع في الواجهة. بينما الروح القابعة في الخفاء (اللاوعي) هي المسؤولة عن الحزن وذرف الدموع وصنع الماء الذي يرشح في الجسم (القوة الحيوية التي تغذي الجسم بالطاقة)، كما أنها تقوم بعملها بالسر وبصمت كامل، لكنها بنفس الوقت عنيدة وتميل إلى رفض الانصياع. هي تلتصق بالروح الواعية لدرجة الاندماج فتعطي الانطباع بأنهما يمثلان روح واحدة.

بالإضافة إلى هاتين الروحين في كيان الإنسان (الوعي واللاوعي) تحدثت تعاليم الكاهونا عن واحدة ثالثة سموها "أوماكوا" Aumakua وتعني الأبوي أو العريق جداً أو الروح الروحية الأمانة أو الجديرة بالثقة. وفقاً لمفهوم الكاهونا، هذه الروح هي أنثى وذكر معاً

وتقع في الجانب التجاوزي من الفرد وهي أعلى منزلةً من الروحين السابقتين. هذا الجانب هو الذي نشير إليه اليوم بأسماء مثل الوعي الخارق أو النفس العليا أو الملاك الحارس أو الروح المرشدة أو غيرها. هذا الجانب يمثل أساس تعاليم "الحوزة" ومحور الممارسات السحرية للكهونا. كما أنه مثل محور دراستنا في الجزء السابق والذي أشرت إليه باسم "الذات" أو الشمس الباطنية.

أصبح واضحاً بالنسبة لـ"لونغ" أن الكهونا قد عرفوا منذ آلاف السنين كل ما يتعلق بعلم النفس الذي لم يتعرف عليه الإنسان العصري سوى قبل سنوات قليلة. أصبح متيقناً أن ما استعرضه الكهونا من معجزات سحرية اعتمد بشكل جوهري على معرفتهم بعوامل نفسية مهمة والتي لم يكتشفها العلم بعد.

إذاً، اكتشف "لونغ" الكلمات التي توصف "أقسام العقل" كما يشير إليها علم النفس الحديث. خلال سنوات عديدة من البحث والتقصّي بدأت تتوضح لديه تدريجياً تفاصيل التقليد السري للكهونا. لقد نجح في إيجاد الشيفرة التي تقبع مخفية في لغة هاواي التي تحمل معتقداتهم وتقاليدهم وغيرها من مقومات ثقافية مختلفة. هذه الشيفرة ساعدته في اكتشاف معتقدات مشابهة في حضارات قديمة أخرى أيضاً. هذه الشيفرة بُنيت على لغة لا بد من أن تكون متطابقة لفظياً مع لغة أسلاف الكهونا الذين عاشوا في مصر قبل هجرتهم إلى المحيط الهادي. في بعض البلاد التي مرّ عليها المهاجرون المصريون خلال رحلتهم الطويلة تأثروا بلغاتها المحليّة وبالتالي تم تعديل بعض الكلمات أو استبدالها كلياً. لكن لحسن الحظ حافظ الكهونا في هاواي على لغتهم بحذر شديد، لأنه بين طيات لغتهم الشعبية تقبع الشيفرة التي تمثّل المفتاح لحوزتهم السريّة. لو حصل أي تغيير في لغتهم الشعبية فسوف تتغير الكلمات وبالتالي تضيع الشيفرة إلى الأبد.

من أجل المحافظة على نقاوة لغتهم كان الكهونا يدرّبون صغارهم على حفظ تراثيل طويلة تتناول تاريخ شعبهم وسلالة الزعماء والملوك. لو أخطأ أحد هؤلاء الصغار في لفظ أي كلمة خلال الترتيل يتم تصحيحه فوراً من قبل المعلّم. كنتيجة لهذه الطريقة بقيت

لغة سكان هاواي صامدة دون تغيير لآلاف السنين. بينما حصل الكثير من التعديلات في اللغة بين سكان الجزر الأخرى مثل نيوزيلاندا وتاهيتي.

الذي عقّد عملية فكّ الشيفرة هو استخدام كلمات معيّنة كرمز لعنصر معيّن في منظومة الحوزة، وإذا لم يُعرف المعنى الرمزي فسوف لن تُفهم الفقرة بالكامل. مثلاً، في مصر القديمة نجد صورة الجندب في المدفن مع المومياء. كان الجندب في هاواي يرمز لنفس المفهوم أيضاً. لكن اسم الجندب بلغة هاواي هو "أونيهيبيلي" وهي الكلمة ذاتها التي استخدمها الكاهونا للإشارة إلى ما نعتبره العقل اللاواعي. ما من كلمة جذرية لهذه الكلمة لها علاقة بالجندب أو المومياء أو الشخص الميت، لكنها توصف جميعاً خصائص العقل اللاواعي. مثال آخر على الرموز نجد "الماء" الذي يرمز إلى القوة الحيوية للإنسان. وكذلك نجد "النور" الذي يرمز إلى النفس العليا أو الوعي الخارق أو غيرها من مصطلحات تشير إلى ذلك الكيان العظيم القابع في أعلى مستويات الإنسان أو في جانبه التجاوزي، وقد أشرت إليه في الجزء السابق بكلمة "الذات" أو الشمس الباطنية.

مع انتهاء الحرب العالمية الثانية كان "لونج" قد طوّر فهم كامل لهذه الشيفرة اللغوية ومعظم الرموز التي تحويها. لكن في الحقيقة تطلب الأمر أربعين سنة لكي يصبح فقيهاً في هذا المجال. أي ليس قبل العام ١٩٦٥م تمكن من جدولة كامل المنهج الذي اعتمده هذه المنظومة القديمة التي تسمى "حوزة". وبالتزامن مع ذلك أجرى أبحاث ووجد تشابهات متعددة مع الشيفرة اللغوية لهذه "الحوزة" في أديان وأنظمة روحية مختلفة عريقة مثل منظومة اليوغا وكذلك الهندوسية والبوذية. كما وجد "لونج" تشابهات في الأساطير الإغريقية والمصرية القديمة وكذلك الكتابات المقدسة للطوائف العبادية القديمة في الشرق الأوسط. لقد وجد تطابق في العبارات والأقوال المشفرة الواردة في "حوزة" الكاهونا مع تلك الواردة في الـ"أوبانشاد" (وهي نصوص مقدسة هندوسية) وكذلك في كتاب الأموات المصري وفي الملحمة الهندوسية الشهيرة "بهاغافاد غيتا"، كما أنه وجد آثار لهذه "الحوزة" مُشفرة في كل من العهد القديم والجديد في الإنجيل.

القوة الهائلة المستخدمة في السحر

كيف تتجلى ومن أين تأتي؟

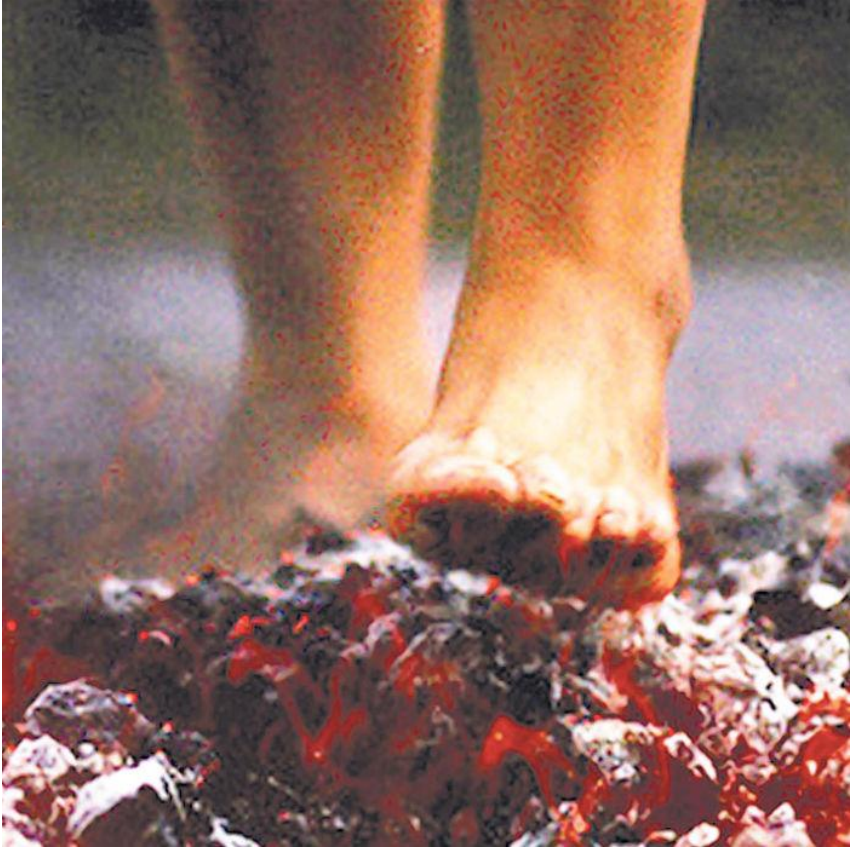
خلال تناوله سحر الكاهونا كان لونغ يسعى إلى وصفها وتفسيرها بأكبر قدر ممكن من المنطق العلمي، ولتحقيق ذلك كان يقارن بين الظواهر السحرية التي اشتهر بها الكاهونا بظواهر مشابهة يتم إنجازها من قبل شعوب مختلفة حول العالم، لكن تختلف عن بعضها من ناحية تفاصيل الطقوس وكذلك اختلاف في الكائنات الغيبية التي يناشدونها وغيرها من تفاصيل تعتبر ثانوية أمام الموضوع الرئيسي. فمثلاً، طقوس المشي على النار مختلفة بين الشعوب المختلفة التي مارسته، لكن الموضوع الرئيسي متشابه وهو المناعة ضد النار التي يكتسبها الممارسون. وكان "لونغ" يلجأ غالباً إلى تفسيرات أعضاء جمعية الأبحاث الروحية الذين اشتهروا منذ قرنين تقريباً وكانوا رجال علم بارزين في أيامهم، وقد تناولوا هذه الظواهر بطريقة علمية بحتة. لكن المنطق العلمي الذي اعتمدوا عليه هو الذي كان سائداً في أيامهم، لكنه تقدم كثيراً اليوم وأصبح أسهل علينا تفسير تلك الظواهر السحرية بالاعتماد على نظريات عصرية أهمها النظرية الهولوجرافية (تحدثت عنها بالتفصيل في الجزء الثاني من هذه المجموعة). سوف لن أتناول تلك الإنجازات السحرية بالتفصيل لأنني فعلت ذلك عبر أجزاء سابقة، لكن سأكتفي بذكرها سريعاً وباختصار. بدأ "لونغ" من ظاهرة المشي على النار والتي اشتهر بها الكاهونا كما الكثير من الشعوب الأخرى حول العالم. الفقرات التالية مقتبسات من كتابه:



إحدى شعائر المشي على الجمر في هاواي

يوجد مظهرين يجعلان المنظومة النفسية/الدينية للحوزة مذهلة ويميزها عن المنظومات الدينية والنفسية العصرية. أول هذه المظاهر هو أنها حقيقة واقعية. هي عملية وواقعية بالنسبة للاهونا وبالتالي لا بد من أن تكون عملية وواقعية بالنسبة لنا. أما المظهر الثاني فهو قابلية هذه القدرة العجيبة أن تتجلى لدى الفرد مهما كان اعتقاده أو دينه.

إن أفضل مثال على السحر العملي والحقيقي والذي يعمل بشكل جيّد لدى الدينيين وكذلك الوثنيين وحتى المتوحشين هو ما يُسمى "المشي على النار"، والذي يتم ممارسته عبر القرون الماضية ولازال يُمارس اليوم في أماكن مختلفة حول العالم.



كيف يمكن للقدمين اكتساب مناعة كاملة ضد حرارة الجمر رغم الاتصال المباشر؟

إن سهولة فحص ودراسة هذه العملية، التي يدخل فيها عاملين فقط: القدمين والمادة المحترقة (جمر أو حمم بركانية أو نار)، جعلها أبسط ظاهرة واضحة وجلية، حيث ما من شيء غامض بخصوص الأقدام والأشياء الساخنة. وقد تم إخضاع هذه الظاهرة للكثير من الدراسات الدقيقة مما يستبعد عامل الخداع من أي نوع. لكن بالإضافة إلى الأقدام والمواد الساخنة يوجد عامل ثالث في هذه الظاهرة والذي يصعب رؤيته أو فحصه أو مراقبته. لكن هذا العامل حقيقي وبعيد كل البعد عن الخداع. هذا العامل الثالث هو ما نسميه اليوم "السحر". هذا العامل الثالث هو الذي يكون حاضراً بالضرورة خلال اتصال الأقدام بالحرارة العالية فيحميها من الحروق أو أي آثار سلبية وجب أن تنتج منطقياً من هذا الاتصال.

لقد شنت حرب شرسة ضد ما تسمى "الخرافات" superstitions عبر القرنين الماضيين. كان نمو العلوم يستند على إمكانية العلماء في محاربة الخرافات والمحرمات الدينية الجازمة والمجحفة. لكن تبين اليوم أن إنكار هذه العلوم العصرية للظواهر الروحية تمثل وجه جديد للتحريم الجازم والمجحف، لكن هذه المرة بدلاً من أن تكون ذات صبغة دينية هي علمية. لقد جاهدت مدارسنا ومؤسساتنا الإعلامية بكل ما بوسعها وعبر السنين الطويلة في سبيل تكذيب كل الظواهر التي عجز العلم عن تفسيرها، ونتيجة لذلك ظهرت تلك العبارة المرعبة التي يستخدمها الأكاديميون للقضاء على مصداقية أي من تلك الظواهر الخارقة، هذه العبارة هي: "خرافة سوداء" Black superstition ويا لها من عبارة مرعبة، حيث سببت بتدمير الكثير من العلوم والظواهر التي رغم واقعيتها إلا أنها لا تستند على المنطق العلمي السائد. لقد تم محاسبة وإقفال الكثير من المصالح والمهن التي لها علاقة بإحدى الظواهر الخارقة باعتبارها غير قانونية. بسبب هذا كله، تم دفع الإنسان العادي إلى الاعتقاد بأن كل ما له علاقة بكلمة "سحر"، كتلك التي تتجلى بوضوح في ظاهرة المشي على النار، هي مجرد خداع وليس لها أساس واقعي.

من بين حالات كثيرة حول العالم تتعلق بشعائر المشي على النار، ذكر "لونغ" إحدى الحالات المميزة المتعلقة بالمناعة ضد النار لكنها تستخدم للعلاج. قررت أن أذكرها هنا

لأنها تمثل من ناحية ثانية مثلاً واضحاً على طريقة قمع هذه الممارسات بواسطة القانون:

ياباني يعالج بالنار

بين عامي ١٩٢٨ و ١٩٢٩م جاء إلى هونولولو رجل ياباني يعالج بالنار. استعرض قواه أمام الإعلام وراح يمارس العلاج. كان اختصاصه معالجة التهاب المفاصل. كان يسخن مجموعة من الحجارة الصغيرة إلى درجة تصبح كالجمر بحيث يمكنها أن تحرق الجلد بسهولة ومجرد أن لامسته. لكن بواسطة السحر (حسب ادعاءه أمام المحكمة لاحقاً) يمكن جمع الحجارة حول المفصل المصاب بحيث تلامس الجلد لبعض الوقت فيتم العلاج مباشرة وعلى الفور، والجلد لم يصاب بأي أذى من أي نوع. وقد عالج بالفعل الكثير من الحالات، أشهرها هي حالة رجل أمريكي ثري كان عاجزاً عن المشي لمدة شهور عدة بسبب ركبتيه المصابتان بالتهاب المفاصل.

يقول "لونغ" أن هذه الحالة مهمة ويمكن إثبات صحتها عن طريق الرجوع إلى أرشيف المحكمة التي مثل أمامها لاحقاً. بعد فترة وجيزة من ممارسة علاجاته لبعض الوقت في هونولولو تم اعتقال هذا الرجل الياباني نتيجة شكوى قدمها أحد الأطباء الرسميين. اتهم بممارسة الطب دون رخصة قانونية، لكن بسبب عدم وصفه أي دواء من أي نوع لمرضاه، تم اتهامه بأنه كاهونا، أي مشعوذ. لم تهتم المحكمة بالدلائل العديدة التي تثبت صحة النتائج المذهلة لهذه الطريقة العلاجية الغريبة بقدر ما هي مجدية، في الوقت الذي عجز الأطباء الرسميين عن التوصل إلى أي نتيجة إيجابية في علاج التهاب المفاصل. دافع الياباني عن نفسه من خلال زريعة أنه كان يستخدم السحر وليس العلاج الطبي، وشرح وسيلته التي تستخدم الحجارة الحارة للعلاج. السحر ليس معترفاً به في المحاكم العصرية. لذلك تم تغريمه وسجنه بصفته كاهونا وتم طرده لاحقاً خارج البلاد.

يختتم "لونغ" هذا الفصل باستنتاج يقول: المناعة ضد النار، إن كانت مكتسبة عبر الصلاة لإله ماورائي أو عبر روح شخص ميت أو غيرها من كائنات ماورائية، هي في

جميع الأحوال نتيجة عمل ماورائي وفوق طبيعي، وهذا ما نسميه السحر. كافة الظواهر الماورائية أو الفوق طبيعية هي سحر، إن كانت علاجات فورية أو تجسيد ظاهرة روحية كالتعامل مع كائنات غيبية، أو التخاطر أو الاستبصار أو التنبؤ.. أو استخدام "شعائر الموت" .. إلى آخره، جميع هذه الأمور تندرج في خانة السحر.

لكن السؤال الكبير هو: ما هو هذا السحر؟ وكيف يتم تجسيده حسب الطلب؟ رغم تعدد الوسائل واختلاف الشعائر بين الشعوب إلا أن النتيجة تكون ذاتها، وبالتالي لا بد من وجود تفسير علمي موحد. مجرد أن تعرفنا على السبب المنطقي خلف ظاهرة السحر لا بد من تحديد الإجراءات أو الخطوات التي يجب اتخاذها قبل تجسيده على أرض الواقع.

الأساسيات الثلاثة في السحر وتجلياتها المختلفة

يُنذكر "لونغ" كيف قام الدكتور "بريغهام" Brigham بشرح ظاهرة سحر الكاهونا بالاستناد على ثلاثة عناصر أساسية وجب حضورها قبل تجلي أي ظاهرة خارقة، وهي: [١] حضور نوع من الوعي الخفي، والذي استخدم [٢] نوع من القوة الخفية، وتم التحكم بهذه القوة عبر [٣] نوع من المحتوى الخفي أو المادة الخفية. أكد الدكتور "بريغهام" أنه مجرد فهم هذه العناصر الثلاثة يصبح السحر سهل الفهم بالنسبة لنا.

يكتب "لونغ" مقارناً: وفقاً لما يشرحه الكاهونا، فإن [١] "أوماكوا" Aumakua وهو الوعي الخارق أو النفس العليا، يمثل عنصر الوعي الذي يلعب دوراً في ظاهرة المناعة ضد النار، أما [٢] القوة التي يستخدمها هذا الوعي فيسميها الكاهونا "مانا" mana وهي معروفة لدينا باسم القوة الحيوية. هي كهربائية بطبيعتها وتظهر خواص مغناطيسية قوية. أما [٣] المحتوى أو المادة الخفية التي تنشط وسطها تلك القوة الحيوية فتسمى "أكا" aka أو محتوى الجسم الظليل كما يوصفونه.

أورد "لونغ" الكثير من الحالات والظواهر المختلفة كأمثلة وحدد فيها جميعاً نشاط العناصر الثلاثة في كل مثال. معظم أمثله اقتبسها من موسوعة العلوم الروحية

Encyclopaedia of Psychic Science للدكتور "ناندور فودور" Nandor Fodor وكان هذا الأخير عضو بارز في جمعية الأبحاث الروحية SPR، والذي جمع مع فريق عمله كافة التقارير والشهادات المتعلقة بالظواهر الروحية عبر المئة السنة السابقة للعام ١٩٣٣م. نالت هذه الموسوعة شهرة واسعة لأن كاتبها لجأ إلى تقييمات وآراء وتنظيرات عقلانية وحكيمة. لم يوجد في ذلك الزمان أي مصدر أو مرجع يفوقه شمولية في التفاصيل والتوسع في المواضيع المتعلقة بالظواهر الروحية على اختلاف أنواعها.

ذكر "لونغ" تلك الظاهرة التي كانت تتجلى في حضور الوسطاء الروحيين، وهي ارتفاع الأشياء في الهواء دون أي سبب منطقي. لم يتوقف الأمر على أشياء صغيرة مثل الملاعق والأطباق والكؤوس التي كانت تحلق في الهواء، بل حتى الطاولات الكبيرة والكراسي الثقيلة كانت تتراقص في الهواء كما لو أنها بخفة أوراق الشجر. أما التفسيرات العلمية لهذه الظواهر الغريبة فلم تتقدم منذ ذلك الزمن الذي شهد ازدهار الأرواحية في أوروبا وأمريكا قبل مئتي عام. لازالت تُعزى إلى كائنات خفية أهمها أرواح الموتى التي كانت تنشط خلال جلسات تحضير الأرواح. يؤكد "لونغ" أنه حتى الكاهونا في هاواي كانوا يعزون ظواهر مماثلة إلى كائنات خفية، لكن تفسيراتهم كانت مختلفة بعض الشيء حيث كانت أشمل وأكثر وضوحاً ومباشرة.

في زمن ازدهار الأرواحية في أوروبا وأمريكا بُذلت جهود كبيرة من قبل رجال العلم الذين اهتموا بهذا الأمر من أجل تفسير تلك الظواهر الماورائية الغامضة بطريقة لا تعتمد على أسباب تتعلق بنظرية الأرواح أو الكائنات الخفية عموماً. وقد نجح الكثير من الباحثين في وضع تفسيرات تعتمد على فكرة وجود قوى فيزيائية مجهولة وهي بعيدة كل البعد عن فكرة الأرواح والكائنات الخفية. في هذه التفسيرات بالذات بحث الكاتب "لونغ" لكي يجد العناصر الثلاثة الأساسية التي تلعب دوراً في ظاهرة السحر. (ذكرت موضوع الأرواح بالتفصيل في الجزء الثالث من هذه المجموعة).

خلال بحثه في موسوعة العلوم الروحية للدكتور "ناندور فودور" وجد "لونغ" مصطلح علمي جديد استخدمه كل من الباحثين الشهيرين "مورسيلي" و"فلورني" و"غيلي"

و"كارنغتون" لتفسير الحركة التلقائية للأشياء والتي كانت تحصل في حضور الوسيطة الإيطالية الشهيرة "يوسابيا بلادينو" Eusapia Paladino وهذا المصلح العلمي هو "التجسيد الخارجي لقدرة التحرك" Exteriorisation of motricity (أي الحركة التلقائية للأشياء بعيداً عن الفرد لكن بتدخل مباشر منه). توصل هؤلاء العلماء إلى اعتقاد بأن هذه الحركة التلقائية motricity التي كانت تتجسد في حضور الوسيط يعود سببها إلى خليط من الطاقة الكهربائية والقوة الحيوية والطاقة العصبية. افترضوا بأن هذه القوة، مهما كانت طبيعتها، يمكنها ترك الجسد والدخول في الشيء الذي يظهر الحركة التلقائية.

إذاً، أصبح في حوزتنا أحد العناصر الأساسية في الظاهرة السحرية وهو عنصر القوة ويتمثل بتلك التي أشار إليها الباحثون الأرواحيون بمصطلح "الحركة التلقائية" motricity، بقي أن نجد العنصرين الآخرين المتعلقين بعنصر الوعي وهو الذكاء الخفي المسؤول عن حصول هذه الحركة التلقائية، والعنصر الثالث هو المحتوى الخفي الذي يستخدمه عنصر القوة كأداة للتأثير على الأشياء بشكل ملموس.

أقرّ الباحثون بضرورة وجود عنصر وعي أو نكاء خفي وراء ظاهرة الحركة التلقائية للأشياء، إذ من المفروض أن يكون هذا العنصر العقلي الخفي هو الذي حفّز تلك القوة المحركة على الخروج من جسد الشخص وتحريك الأشياء البعيدة عنه. بالإضافة إلى ذلك، فإن هذا العقل الخفي هو المسؤول عن استرجار تلك المادة الخفية من جسد الوسيط واستخدامها كأداة تنشيط وسطها القوة المبدولة لتحريك الأشياء (أي عنصر المحتوى). أطلق الباحثون الأرواحيون على هذه المادة الخفية اسم "أكتوبلازم" ectoplasm. أما ذلك العقل الخفي المسؤول عن كامل المجرىات المؤدية إلى تجسيد الظاهرة الروحية مثل حركة الأشياء، فقد توصل الباحثون إلى حقيقة أنه أحد الجوانب المجهولة من العقل الباطن subconscious. قالوا أن هذا العقل الباطن يستطيع وفق ظروف وضمن شروط محددة أن يجسد عنصر الحركة التلقائية motricity ومصحوبة مع مادة أثيرية خفية ectoplasm فتخرجان من جسد الوسيط وتتجسدان عند الشيء الذي سوف يتحرك بعدها تلقائياً. يفعل العقل الباطن كل هذه الأمور دون أن يشعر

العقل الواعي بذلك، ولهذا السبب يتم تفسير حركة الأشياء أو أي ظاهرة روحية أخرى بأنها من عمل كائنات خفية ليس لها علاقة بالشخص المعني رغم أن عقله الباطن هو الذي يقوم بالعمل فعلياً.

في الحقيقة يوجد كمية هائلة من التفسيرات التي خرج بها الباحثون العلميون في الظواهر الروحية عبر القرنين الماضيين وجميعها اتخذت طابع علمي بعيد عن كل ما هو ماورائي. تم التقدم بالكثير من الفرضيات حول تلك القوة الخفية التي تتولد خلال الجلسات الروحية وإحدى تلك الفرضيات تؤكد بأن تلك القوة الخفية لها علاقة بالمغناطيسية، وأخرى تجعل المغناطيسية مرتبطة بطريقة ما بالجاذبية، وأخرى تجعل المغناطيسية متواجدة بالضرورة حيث يوجد تيار ذو طبيعة كهربائية... وغيرها من نظريات مختلفة تمثل محاولات حديثة لتفسير تلك الظواهر الغريبة وغير المألوفة التي تتجسد في جلسات تحضير الأرواح. لازال هذا المجال الواسع مفتوحاً للبحث والجدال كما أنه يمثل مجال واعد للبشرية لأنه يخفي الكثير من الحلول المجدية للمشاكل المستعصية التي تواجهها مجتمعاتنا العصرية. قد تبدو هذه الفكرة الأخيرة شاذة وغير عقلانية بالنسبة للبعض، لكن وجب على هذا البعض أن يعلم بأن القوة التي يمكن توليدها في هذا المضمار هي أقوى بآلاف المرات من الطاقة النووية! وإذا عرفنا كيف نولدها ونستثمرها فسوف نستغني عن كافة أشكال الطاقة التي نستخدمها اليوم والتي تعتمد على الوقود الأحفوري والطاقة النووية وغيرها من طاقات تعتمد على تكنولوجيات ملوثة للبيئة. هذه هي ذاتها طاقة "فريل" Viril التي جاهد الألمان النازيون في محاولة توليدها واستثمارها في الثلاثينات من القرن الماضي! لكن كامل أبحاثهم صودرت وأخفيت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية! لكن أعتقد بأن الوقت لازال مبكراً للحديث في هذا الموضوع.

يقول الكاتب "لونغ" بأن الكاهونا تعرفوا على الطبيعة الجاذبة والنافرة لهذه القوة الحيوية التي كانوا يولدونها لإحداث الظواهر السحرية المختلفة، لكنهم لسوء الحظ لم يفصحوا عن أي تفسير أو شرح لهذا الجانب من ظاهرة السحر الذي كانوا يجسدونه. كانوا يعلمون جيداً بأن هذه القوة تمثل شيء له علاقة بالمجريات الفكرية والنشاط الجسدي،

ويعلموا أيضاً أن هذه القوة تمثل جوهر الحياة بذاتها. أما الرمز الذي استخدموه للإشارة إلى هذه القوة الخفية فهو رمز الماء. وهذا هو ذاته الرمز الذي لا زال يستخدمه أنسباءهم في الشرق الأوسط اليوم. يقولون مثلاً: الماء يجري، وهذا ما تفعله هذه القوة... الماء يملأ الأشياء، وكذلك تفعل هذه القوة... الماء يتسرب، وكذلك تفعل هذه القوة.

أخشاب مَكهربة

بالإضافة إلى طبيعة الجذب والنفر التي أظهرته، تعرف الكاهونا على طبيعتها الكهربائية أيضاً، حيث ذكر "لونغ" في كتابه كيف أمضى الدكتور "بريغهام" مدة طويلة من وقت يدرس خلالها تلك الممارسة العريقة لدى الكاهونا والمتمثلة بحمل قطع خشبية ثقيلة باليد ومن ثم التركيز عليها فكرياً مما يتم شحنها بنوع من الكهرباء. كانت هذه القطع الخشبية الثقيلة تُستخدم قديماً في المعارك بين القبائل حيث كان الكاهونا يقفون في الصفوف الخلفية ويشحنون تلك القطع الخشبية ومن ثم رميها على أحد الأعداء، ومجرد أن لمستته القطعة الخشبية كان يسقط على الأرض فوراً فاقداً الوعي.

لقد جرّب الدكتور "بريغهام" قوة هكذا قطع خشبية ووجدها قادرة على إعطاء ما يمكن وصفه بصعقة كهربائية من نوع خاص. تقوم هذه الصعقة بتخدير الطرف الذي تلمسه كما تصيب الرأس بالدوار الشديد. ذكر "لونغ" أيضاً بأن طريقة مشابهة كانت سائدة بين الهنود الحمر في أمريكا. أحد التقارير في أرشيف الحكومة الأمريكية يروي كيف قام شاماني هندي باستعراض قواه السحرية عبر لمس أحد الشباب المحاربين الأشداء في صدره بواسطة أصبع السبابة، فما كان على الشاب المحارب سوى السقوط على الأرض غائباً عن الوعي.

بالإضافة إلى الصعقة الكهربائية التي تتولد نتيجة هذه العملية، فإن "لونغ" لا يستبعد عامل آخر وهو ما نسميه الإيحاء المغناطيسي، أي أوامر موجّهة للعقل الباطن للضحية فيستجيب لها دون تردد، فيسقط الفرد نتيجة تأثيرين، أولهما الصعقة الكهربائية الملموسة، وثانيهما أوامر إيحائية تفرض على الفرد السقوط مع فقدان الوعي. لا يمكن شرح هذه

العملية بطريقة أوضح من ذلك. إذًا، الطاقة الكهربائية التي انتقلت إلى الفرد المستهدف هي قوة حيوية فكرية أكثر من كونها قوة كهربائية فيزيائية كما نألفها.

الطبيعة الجاذبة لهذه القوة الحيوية

كما أن الطبيعة الكهربائية تختلف بالنسبة لهذه القوة الحيوية، نجد أن الطبيعة المغناطيسية أيضاً تختلف عن ما نألفه بخصوص المغناطيس العادي. فالمغناطيس العادي يجذب القطعة المعدنية إليه، لكنه هو أيضاً يجذب نحو القطعة المعدنية، أي أن الانجذاب متبادل. بينما في حالة الطبيعة المغناطيسية للقوة الحيوية التي يوئدها الساحر، أو ممارس أي شكل من أشكال العمل التجاوزي، فتختلف تماماً.

يذكر "لونغ" في كتابه مثلاً على هذه السمة الغريبة في الطبيعة الجاذبة للقوة الحيوية، وهو أحد ممارسي التنويم المغناطيسي اسمه "أرثر سبراي" Arthur Spray الذي يعمل بمهنة تصليح الأحذية (سكافي) في منطقة قريبة من مدينة لندن. قام هذا الرجل باستعراض تلك الظاهرة العجيبة في إحدى المناسبات أمام مجموعة من الصحفيين. اختار أحد الشباب رآه مناسباً للإيجاء المغناطيسي، ثم جعله يستلقي مستقيماً على الأرض، ثم أوقعه في نوم مغناطيسي عميق بحيث صار جسده متخشباً بالكمال (أصبح صلباً كما لوح الخشب). ثم وقف المنوم من جهة قدمي النائم وأمره بفتح عينيه، بعد أن فتح عينيه ناظراً باتجاه المنوم راح هذا الأخير يلوح بيده اليمنى موحياً للنائم بالقيام على قدميه.

راح النائم يرتفع للأعلى مع بقاء قدميه على الأرض، واستمرت الحركة ببطؤ إلى أن أصبح النائم واقفاً باستعداد على قدميه (كما في الصورة المقابلة). النائم طبعاً لم يفعل ذلك بالطريقة المألوفة، بل بقي جسمه متخشباً وراح يرتفع رأسه مع كتفيه للأعلى كما لو أنه لوح من الخشب. بعد وقوفه باستقامة لعدة ثواني راح المنوم يشير بيده موحياً للنائم أن يعود إلى الأرض ثانيةً. فراح جسم النائم المتخشب يميل نحو الأرض بحركة بطيئة إلى أن عاد إلى وضعية الاستلقاء السابقة. طوال فترة القيام والنيام هذه، لم يشعر المنوم

أي قوة جذب أو سحب في جسمه أو يده. وكذلك النائم الذي يزن ٧٠ كيلوغرام لم يتدخل في أي حال من الأحوال بعملية القيام والنيام هذه، بل قوة خفية ساهمت في العملية من أولها حتى آخرها. لقد تم تكرار هذه العملية العديد من المرات وعلى يد الكثير من المنومين الآخرين عبر السنوات، خصوصاً على المسارح الاستعراضية. أما القوة الخفية التي تنشط خلال العملية فلا يمكن تعريفها بالضبط لكن يبدو أن لها طبيعة كهروحيوية والتي تتراكم في جسم النائم مغناطيسياً بحيث تتكاثف ومن ثم تقوم بعملها الموكل إليها، أي العمل الذي تم برمجتها لتنفيذه من قبل المنوم بواسطة قوة الفكر والإرادة.



هناك صيغة أخرى لاستعراض هذه القوة الجاذبة التي اشتهر بها البارون "يوجين فيرسون" Eugene Ferson وكان رجل ذائع الصيت في زمانه. ذكره السيد "لونغ" في كتابه حيث قام باستعراض هذه القوة مرات عديدة في هونولولو أمام حشود من المشاهدين. كان هذا الرجل يؤمن بأنه إذا أجرى إحياء عقلي معين فسوف يسحب قوة كهربائية من الجو المحيط به. ما من شك بأنه كان يسحب فعلاً قوة معينة من الجو لكن طبيعتها غريبة وغير مألوفة وهذا ما أشارت إليه استعراضاته. غالباً ما كان يجري الاستعراضات أحد تلاميذه وهذا الأخير كان يجري عملية شحن لجسمه بالطاقة

الكهربائية من الجو المحيط، تستمر هذه العملية لدقيقة أو اثنين حتى يشعر بأن جسمه امتلأ بتلك الطاقة، ثم يضع يديه على كتف شخص آخر ثم يبعد يديه رويداً رويداً حتى يصبح على بعد مترين أو ثلاثة، وعندما يعطي أمر معين يجذب الفرد الآخر بقوة نحوه كما لو أنه مدفوع بجرار زراعي يستحيل مقاومته. الأمر الغريب في العملية هو أن الشخص المأمور يندفع بقوة نحو الشخص الأمر بينما هذا الأخير لا يتأثر إطلاقاً بأي قوة جذب من أي نوع. هنا تكمن المسألة وهذا ما يجعل هذه القوة مختلفة تماماً عن القوة المغناطيسية العادية. بالإضافة إلى ذلك، لا يمكننا القول بأن هذه مجرد قوة إيحائية تم زرعها في العقل الباطن للشخص المأمور، لأن هذه القوة استطاعت أن تفعل فعلها في الأشياء غير العاقلة وكذلك على الحيوانات.

اختبر شابين من منتبعي طريقة "فيرسون" هذه القوة على كلب ونجحت. روى أحد الشابين كيف قاما بشحن أنفسهما بالطاقة الكونية، على طريقة "فيرسون" ثم وضعا أيديهما على خلفية الكلب وأبعدهما رويداً وبيداً فراح جسد الكلب يلحق بهما رغم مقاومته وتشبثه بالأرض، لكن كانت القوة الجزارة أقوى من محاولاته الحثيثة للتحرر منها كما لو أنه يُسحب بواسطة جرار آلي. هذه التجربة تمثل دليل على أن عامل الإيحاء مستبعد من العملية حيث لا يوجد لغة مشتركة بين الإنسان والكلب لكي يزرع في عقله الباطن إيحاءات كلامية. لقد نجحنا بجرّ الكلب حوالي المتر بهذه الطريقة مع أن كلا الشابين لم يبذلا أي مجهود أو يشعرا بأي قوة جذب من أي نوع.

هذه القوة الحيوية قابلة للبرمجة

في إحدى المناسبات قام البارون "فيرسن" بشحن إحدى الكراسي خفيفة الوزن بهذه القوة المغناطيسية، وكانت هذه الكرسي من بين صف كامل من الكراسي المشابهة، ثم أدخلوا امرأة كانت بعيدة عن المكان بحيث لم ترى أي كرسي تعرضت للشحن، ثم راحت هذه المرأة تمشي بالقرب من صف الكراسي وما أن صارت أمام الكرسي المشحونة حتى جذبتها إليها قوة شديدة يستحيل مقاومتها. كان وزن المرأة يفوق وزن الكرسي بعشر مرات ورغم ذلك انجذبت نحو الكرسي بدلاً من أن تتجذب الكرسي نحو المرأة مع أن الفرد

يتوقع العكس. يبدو أن السرّ يكمن في عملية الشحن، حيث الشيء المشحون مهما كان صغيراً وخفيف الوزن فسوف يلعب دور الجاذب دائماً بينما الشيء أو الكائن المجذب لا يحتوي جسمه على هذه الطاقة المشحونة.

من خلال المثال السابق نستنتج بأنه يمكن زرع هذه القوة الحيوية العاقلة في أي مكان خارج كياننا ومن ثم برمجتها بأوامر محددة تجعلها تقوم بمهام محددة، ومن هنا يمكننا معرفة السرّ وراء ما نسميها الكائنات الخفية التي يتم خلقها أو استحضارها وتوكيلها لحراسة أماكن معيّنة أو إرسالها عبر مسافات إلى أهداف بعيدة لتنفيذ مهام خاصة موكلة إليها. ذكرت هذا الموضوع بالتفصيل في الجزء الثالث والخامس من هذه المجموعة وقد وصفت ما سميته صناعة أو خلق الكينونات الفكرية. هذه هي ذاتها الكائنات الخفية التي تعامل معها السحرة وكل من عمل في المجال التجاوزي ومنهم الكاهونا في هاواي. كانوا جميعاً يسلّمون بوجود أرواح فيتعاملون معها وفق طقوس محددة. لكنها في الحقيقة مجرد كينونات فكرية يتم خلقها وفق طقوس معيّنة تهدف لهذا الغرض وقد سميتها مسرحيات ذهنية. المسرحية الذهنية أمر ضروري لكي تعمل هذه الظاهرة بشكل واقعي وفعلي. المسرحية الذهنية تقوي عامل الإيمان الذي يعتبر عنصر أساسي لخلق أي ظاهرة خارقة للطبيعة (سوف أتكلم عن هذا العامل الأخير بالتفصيل لاحقاً).

تقديم ذبيحة لكائن خفي

ذكر "لونغ" في كتابه كيف شرح له "و.ر. ستيوارت" Stewart الذي عاش مع قبيلة بربرية في الجزائر وتدرّب على يد كاهنة القبيلة (سبق وأسلفت ذكره) كيف يمكن تخزين هذه الطاقة الحيوية في الخشب والحجر والماء وجسم الإنسان وكذلك في أجسام الكائنات الخفية، ويمكن لهذه القوة الخفية أن تتجلى فجأة بصفتها كائن ذكي وترفع أشياء في الهواء. روى "ستيوارت" إحدى الأمثلة على هذه الظاهرة السابقة والتي شهد عليها شخصياً. ذكر كيف أنه في إحدى الليالي ذهب مع الكاهنة البربرية إلى سفوح أحد التلال القريبة من موقع القبيلة حيث يوجد مدخل إلى حجرة تحت أرضية تشبه المغارة الطبيعية، نزلاً إليها عبر درجات محفورة باليد. في نهاية الحجرة يوجد صخرة كبيرة بارزة

من الأرضية والجدار معاً. قامت الكاهنة على ضوء الشعلة بذبح دجاجة وجعلت دماءها تسيل فوق الصخرة ثم رمتها أمامها على الأرض، فعلت كل ذلك وهي تتلو تعويذة موجهة لكائن خفي يعتقد أنه يسكن داخل تلك الصخرة. بعد أن رمت الدجاجة الميتة على الأرض أمام الصخرة لفترة من الوقت ارتفعت فجأة في الهواء والتصقت بالصخرة بقوة وكأنها انجذبت إليها كما المغناطيس. بعدها بلحظات اقترب "ستيوارت" حاملاً الشعلة بيده محاولاً تفحص الأمر عن قرب، ف شعر بقوة جذب قوية كادت تسحبه إلى الصخرة لولا تدخل الكاهنة التي أمسكت به وأرجعته بقوة، ثم قررت أن يغادرا المكان فوراً. أكدت بأن اقترابه نحو الصخرة كان خطأ كبير كاد أن يؤدي بحياته. لم تفصح له الكاهنة عن الروح التي تسكن تلك الصخرة، لكنه يعتقد بأن هذا الكائن الخفي الذي يتطلب زيارة يومية من قبل الكاهنة له علاقة بمسائل يومية مثل خصوبة التربة أو سلامة المواشي أو غيرها من أمور تعتبر مهمة بالنسبة للقبيلة ومواشيها. لكن الذي صرحت به الكاهنة بهذا الخصوص هو أنه خلال التعامل مع هذه الكائنات الخفية وجب اتباع طقوس محددة، وأن أي تغيير تفصيلي في هذه الطقوس قد يؤدي إلى مشكلة كبيرة. وما فعله "ستيوارت" خلال وجودهما في المكان، أي عندما حاول الاقتراب من الصخرة، هو مخالفة كبيرة لمسيرة الطقس وكاد أن يسبب مشكلة كبيرة. قالت أنه وجب عليه الانتظار حتى ينتهي الطقس ويكون الكائن الخفي الساكن في الصخرة قد انتهى من استهلاك كامل القوة الحيوية للدجاجة المذبوحة التي جذبها إليه وبعد انتهاءه من ذلك تسقط الدجاجة على الأرض، وحينها فقط يمكنه الاقتراب.

شرحت سابقاً أن هكذا ممارسات كانت سائدة في كافة أنحاء العالم القديم وتعتمد على مبدأ واحد وهو يتعلق بصناعة "كينونات فكرية" يتم خلقها في مكان معين (معبد مثلاً) وبرمجتها بمهمات محددة تخدم أصحابها. أما الطقوس التي يتم إقامتها لاستحضار قوة هذه الكينونة الفكرية بما فيها من تقديم أضحيات أو قرابين متنوعة فهي مجرد مسرحيات ذهنية تتوافق مع معتقدات البيئة الاجتماعية المحلية. أي وجب معاملة الكينونة الفكرية المخلوقة في المكان وكأنها تمثل كائن حقيقي وجب تكريمه بالذبائح والهدايا مقابل خدماته. هذه الأمور ترسخ من الإيمان بوجود الكائن مما يزيد من قوة واقعيته وتأثيره.

على هذا المبدأ تعمل الأصنام التي تم عبادتها في كل مكان في العالم القديم حيث كان يتم شحنها بالطاقة بطريقة غير مباشرة وذلك عن طريق التعبد وشعائر الصلوات المختلفة الموجهة لكائنات غيبية تمثل أصحاب تلك الأصنام والتي يجب تكريمها عبر تقديم الذبائح (مسرحية ذهنية). أما الفوائد التي يمكن كتسابها من الطاقة المخزنة في تلك الأصنام فهي كثيرة وتختلف حسب متطلبات البيئة الاجتماعية السائدة. (الأمر ذاته ينطبق على المزارات التي قد تمثل أضرحة أو مقامات المقدسة، وهذا شكل من أشكال العبادة المألوفة في كافة الأديان).

الكينونة الفكرية

وفقى مفهوم الكاهونا

يعتقد الكاهونا بأن كافة الأشياء في الوجود (الإنسان، الحيوان، النبات، الأشياء الجامدة، وحتى الأفكار) لها أجسامها الطيفية الخاصة. أما بخصوص الأفكار التي تصدر من عقولنا فقد شدّد الكاهونا على أنها أشياء شبه مادية إذ لها أجسامها الطيفية الخاصة وقابلة لأن تبقى قائمة وتنمو أيضاً إذا اعتنى الفرد بها كما حالة النبتة تماماً. الفكرة بالنسبة للكاهونا هي كما البذرة التي تُزرع في الأرض، حيث هي قابلة للحياة والنمو والتمدد إذا استمرّ الفرد في العناية بها وسقايتها بالماء (شحنها بالطاقة). هذه البذور الفكرية قد تكون سيئة أو خيرة حسب الحالة. قد يزرعها الفرد في كيانه (غالباً دون علم منه) فتشكّل ما وصفها الكاهونا بالعناقيد، بعضها قد يشكّل ما يمكننا تسميتها بالعقد النفسية أو القناعات السلبية وبالتالي يجب اقتلاعها فوراً لأنها مؤذية. يمكن للفرد زرع هذه البذور الفكرية في فرد آخر (كما الإيحاء المغناطيسي)، أو في النفس الدنيا أو النفس العليا من كيانه. هذا الموضوع الأخير يتطلب شرح مستفيض سأذكره لاحقاً، لكن المهم أن الأفكار بالنسبة للكاهونا تمثل أشياء قائمة بذاتها أو حتى كينونات قائمة بذاتها، وبالتالي تعاملوا معها بطريقة خاصة. هذا الوصف التشريحي للأفكار يساعدنا كثيراً في تفسير ظواهر عقلية كثيرة مثل التحكم عن بُعد أو التخاطر أو أي ظاهرة عقلية يستطيع الفرد إحداثها في أهداف بعيدة عنه زمانياً ومكانياً. هذا بالإضافة إلى ظاهرة تحضير

الأرواح والجن وغيرها من كائنات غيبية تعتبر في الحقيقة كينونات فكرية تم تسميتها وتتشبثها وفق طرق معينة فصارت تبدو وكأنها كائنات منفصلة قائمة بذاتها.

إن نظرة الكاهونا للأفكار قريبة جداً لمفهوم "الوعي الديناميكي" الذي تناولته بالتفصيل في الجزء الخامس. حيث أدركوا جيداً أن الفكر هو طاقة بحد ذاتها ويمكنها الانتقال عبر عاملي الزمان والمكان لإدراك الهدف الذي توجه إليه انتباه الفرد. أحد المبادئ السبعة الرئيسية لدى الكاهونا تقول: ". تذهب الطاقة أينما وجهت الانتباه..". (سوف أذكر هذه المبادئ السبع بالتفصيل لاحقاً).



الوعي الديناميكي الذي يولده الإنسان بشكل طبيعي هو الذي يتحول إلى كينونة فكرية بعد تركيزه وتكثيفه ويرمجته بتعليمات محددة

الأمر الغريب هو أن الكاهونا كانوا يعلمون جيداً أن الأفكار تمثل كيانات مستقلة، وبالتالي لا بد من أن يتساءل الفرد، طالما أن الكاهونا يقرون بمبدأ الوعي الديناميكي والكينونات الفكرية وآلية عملهما لماذا إذاً يؤمنون بالأرواح والكائنات الخفية؟ الجواب بسيط، الحكماء الأوائل الذين وضعوا الأسس الأولية للحوزة علموا أنه دون صياغة مسرحية ذهنية يدخل في سياقها سيناريو (يكون أبطاله كائنات خفية) لا يمكن للإيمان أن ينشط ويقوى لدى الفرد وبالتالي لا يمكن للظاهرة أن تتجسد بشكل قوي ومؤثر. إن

للإيمان الراسخ دور مهم وأساسي في الأعمال التجاوزية بكافة أشكالها وهذا ما سوف أتأوله بالتفصيل لاحقاً.

طقس الموت

أما طقوس الموت التي اشتهر بها السحرة والشامنيين والمشعوذين حول العالم، والتي غالباً ما يعزونها إلى أرواح أو جن أو غيره من كائنات خفية مختلفة، فهي في الحقيقة عبارة عن عملية خلق كينونات فكرية مبرمجة للقيام بملاحقة وقتل الأشخاص المستهدفين. لقد احترف القدماء عملية خلق الكينونات الفكرية بحيث تخدمهم في جوانب كثيرة من حياتهم اليومية كالزراعة والعمارة والطب وغيرها، لكن كما لكل علم وجهان: سالب وموجب، خير وشرير، نجد أن هذا العلم أنتج ما يعتبر الممارسة الأخطر والأكثر رعباً على الإطلاق ويتمثل في خلق كينونات فكرية يتم تسخيرها للقتل. الأمر الخطير في هذا العمل هو أن الضحية قد تكون بعيدة آلاف الكيلومترات لكنها مع ذلك تقع فرصة سهلة للكينونة المسخرة لقتلها! كل ما يحتاجه الساحر هو أثر للشخص المستهدف، أي شعر أو أضفر أو قطعة من ألبسته أو صورة له، فتتم العملية بنجاح.

كما ذكرت سابقاً، كان يوجد أنواع مختلفة من الكاهونا في هاواي، والذين هم في الحقيقة مجرد مشعوذين محليين ليس لهم أي صلة بالكاهونا الأصليين سوى الاسم الذي انتحلوه. ليس لهم أي صلة بالحوزة أو على الأقل يفتقدون إلى فهم حقيقي لجوهر معاني الحوزة ومنهجها الروحاني الأساسي. لهذا السبب نجد اختلاف كبير في اختصاصاتهم. بعضهم كان بالكاد يحترف تحضير الكائنات الخفية والتعامل معها، بينما بعضهم الآخر كانوا يجيدون التنبؤ بالمستقبل. والبعض تخصصوا في التحكم بالرياح والطقس بشكل عام. القليلون فقط استطاعوا ممارسة السحر بشموليته، أي كافة جوانبه، بما في ذلك العلاج الفوري والتحكم بالعناصر بكافة تجلياتها. هؤلاء هم الكاهونا الأصليين. رغم أن الكاهونا توزعوا على اختصاصات مختلفة إلا أن جميعهم يحترفون "طقس الموت" الذين يشيرون إليه بكلمة "أانا" anana.

من أجل أن ينجح الكاهونا في طقس القتل عليه أن يملك كائنات خفية مخصصة لهذا الغرض. واحد أو اثنين أو حتى ثلاثة من هذه الكائنات الخفية. غالباً ما يرث هذه الكائنات من كاهونا آخر، أو عليه إقامة شعائر معينة لإيجاد وتطوير كائنات جديدة. في الحقيقة، كل هذه التفاصيل هي مجرد مسرحيات ذهنية تتمحور حول كينونات فكرية لأكثر ولا أقل، لكن هكذا كانوا يعتقدون على أي حال.

كانت هذه الكائنات الخفية التي يستحضرها الكاهونا بهدف القتل تُعطى أوامر وتعليمات محددة حول مهمتها. كان على الأغلب يحملها طاقة مميتة بهيئة أمانة أو رسالة وجب توصيلها إلى جسد الضحية المستهدفة. كان الكاهونا خلال الطقس يشير إلى الأثر التابع للضحية المستهدفة (شعر، أو أضافر، أو قطعة قماش تابعة للشخص المستهدف) ثم يرسل الكائنات الخفية إلى صاحب هذا الأثر الذي بين يديه. عندما تصطاد الهدف تزرع في كيانه تلك الطاقة المميتة فتبدأ هذه الأخيرة بفعل فعلها في الضحية. أول ما تتجلى في كيانه هو على شكل صدمة قوية تؤدي إلى الشلل. ثم تتفاقم المسألة مع مرور الوقت حتى يتوسع الشلل ويصل القلب فيموت الشخص على الفور. بعض الكاهونا كانوا يولكون تلك الكائنات بالاندماج بجسد الضحية وامتصاص كامل حيويته، وهذا ما يحصل بالضبط، حيث يبدأ الخدر يصيب الضحية من قدميه ثم يتمدد عبر فترة ثلاثة أيام إلى الركب ثم الأفخاذ ثم الوركين وأخيراً الصغيرة الشمسية أسفل القلب أو القلب مباشرة وحينها يموت الشخص على الفور.

كان التفسير العلمي الرسمي لحالات الوفاة التي تحمل هذه الأعراض يقول بأن سببها نوع من السمّ الغامض أو حالة نفسية تنتج من رعب الضحية من تهديده بالقتل. لكن هذه كلها تفسيرات علمية بعيدة كل البعد عن الواقع. في الوقت الذي كان فيه الأطباء يتسلون بهذا تفسيرات واهية، كان سكان هاواي يعرفون السبب واثقون جيداً بأنه السبب الوحيد. ذكر "لونغ" في كتابه مثلاً على أن عامل الخوف أو السمّ الغامض ليس لهما أي دور في العملية. كتب يقول:

جاء شاب إيرلندي إلى هونولولو ومعه سيارة تكسي حديثة يعمل عليها سائق أجرة. كان مفعماً بالحيوية والنشاط، شعره أحمر، متحمس للحياة ولم يخشى شيئاً. لم يمضي وقت طويل حتى صاحب إحدى الفتيات المحليات، وكانت هذه الفتاة مغرمة جداً به إلى درجة أنها ألغت خطبتها إلى شاب آخر من سكان الجزيرة الأصليين. لطالما حاولت جدتها أن تنهي علاقة حفيدتها مع هذا الشاب الغريب لكن دون جدوى. كانت هذه المرأة العجوز واثقة بأن نوايا هذا الشاب الإيرلندي غير سليمة وبالتالي عليها اتخاذ الإجراءات اللازمة لإبعاده من حياتها. كانت تهدده باستمرار لكن تهديداتها كانت بريئة بعض الشيء حيث كانت تقول له أن الله لن يرضى عليه إذا استمر بالتلاعب بعواطف الفتاة، أو أن مصيره الجحيم إذا تعرض للفتاة بالأذى وغيرها من تهديدات بسوء الآخرة. لكن يبدو أن هذا الشاب الأوروبي لا يؤمن بتلك المسائل الدينية وميوله كانت علمانية. بالإضافة إلى أن زير نساء مثله يكون معتاداً على تهديدات كهذه، وبالتالي لم تترك هذه التهديدات أي أثر في نفسه.... في أحد الأيام شعر بأن رجله أصيبت بالخطر ثم الشلل الجزئي. حاول جاهداً تحريكها لكن دون جدوى، وبعد فترة بدأ الخدر والشلل يتمدد للأعلى، وخلال يومين كان قد زار طبيبين لكن دون جدوى، فانتهى به الأمر مستلقياً في المستشفى. بذلت كافة الجهود لإيجاد علاج لهذه الحالة لكن دون جدوى. خلال خمسين ساعة بعد الإصابة وصل الخدر إلى خصره. عجز كافة الأطباء عن علاج هذه الحالة رغم محاولاتهم الحديثة، إلى أن تدخل طبيب عجوز بعد استدعائه إلى المستشفى. أمضى هذا الطبيب معظم حياته في الجزيرة وأصبح يألف عاداتها جيداً. مجرد أن نظر بسرعة إلى الأعراض عرف السبب وأدرك أن المسألة ليست صحية بل شيء مختلف تماماً. بعد انفراده وحيداً مع الشاب اقترب منه وأجرى معه تحقيق سريع فعرف في النهاية عن قصة الشاب مع الفتاة المحلية. بعد المزيد من التحقيق علم بتهديدات الجدة العجوز والتي لم يأخذها الشاب على محمل الجد. هذا الطبيب الحكيم لم يتكلم شيئاً عن الموضوع لأحد بل توجه مباشرة إلى منزل الجدة العجوز. وخلال زيارته إلى منزلها جرى الحديث التالي، قال لها الطبيب الذكي:

".. أنا أعلم أنك لست كاهونا (أي مشعوذة، وهذه تهمة خطيرة في الجزيرة) وأعلم بأنه لا دخل لك في هذه المسألة إطلاقاً، لكن بصفتي صديق أسألك، هل يمكنك مساعدتي بإيجاد حلّ لمسألة هذا الشاب المسكين؟.."

أجابت الجدة العجوز قائلة: ".. حسناً، أنا لا أعرف شيئاً عن موضوع هذا الشاب، وأنا لست كاهونا كما تعلم. لكن أعتقد بأنه إذا قطع الشاب عهداً على نفسه بأن يغادر الجزيرة عبر أول سفينة متوجهة إلى أمريكا ولم يعود أو حتى يرأسل أحد هنا، ربما يشفا من مرضه.."

أجاب الطبيب العجوز: ".. أنا أضمن بأنه سوف يقوم بكل هذه الأمور.."، فأجابه العجوز: ".. حسناً، فلنرى ذلك.."

بعد اسرعه إلى المشفى ومقابلة الشاب، واجه الطبيب العجوز صعوبة كبيرة في إقناع الشاب العنيد بمغادرة الجزيرة، لكن بعد أن تخلى الطبيب عن طريقته الالتفافية في شرح المسألة ووضح له الأمور بطريقة مباشرة أصيب الشاب بالرعب فاستسلم وقيل بكافة الشروط، كان ذلك في فترة بعد الظهر، وعند المساء كان قد استعاد عافيته تماماً وبعدها مباشرة توجه إلى الميناء واستقل أول باخرة متوجهة إلى أمريكا.

لقد أورد "لونغ" الكثير من الأمثلة بخصوص هذا الموضوع لكن أعتقد بأن المثال السابق يكفي لتوضيح المسألة. لكن بالإضافة إلى طقوس الموت، يوجد طقوس مخصصة للعلاج وسوف أتناولها بالتفصيل لاحقاً.

هذه القوة الحيوية لها سمات فيزيائية عجيبة تتخطى تلك المتعلقة بالجذب والنفر والكهرباء والمغناطيس. هناك الكثير من الأمثلة عبر التاريخ لقدرة أشخاص على الارتفاع في الهواء والموضوع التالي يكشف عن بعض الأمثلة:

الاسترفاء في الهواء

ورد في أدبيات المذهب الأرواحي (يؤمن بالأرواح وتحضيرها)، الذي ازدهر في القرن التاسع عشر، حالات كثيرة تشير إلى هذه الظاهرة البشرية المميزة، بالإضافة إلى ارتفاع أشياء أخرى مثل الكراسي والطاولات وغيرها.. تتحرك وتطوف في الهواء دون أي تدخل بشري من أي نوع. أشهر المرتفعون عن الأرض هو الوسيط الروحي "دانيال دوغلاس هوم" Daniel Dunglas Home. حصلت تجربته الأولى في الارتفاع عندما كان حاضراً في إحدى جلسات تحضير الأرواح في شهر آب من عام ١٨٥٢م. فقد ارتفع فجأة في الهواء... أصيب برعشة ابتداءً من رأسه نزولاً إلى أخمص قدميه، وسيطرت عليه مشاعر الرعب والبهجة معاً... ارتفع في الهواء قليلاً ثم عاد لمكانه، ثم ارتفع ليعود ثانية، وفي المرة الثالث انطلق عالياً في الهواء حتى وصل إلى سقف الغرفة، حيث لامست يداه ورجلاه السقف ببطء. بعد فترة من هذه الحادثة أصبح يستطيع التحكم بهذه القدرة حسب الرغبة والطلب. كان يعتقد بأن الأرواح التي كان يحضرها هي المسؤولة عن رفعه في الهواء. طوال ٣٠ سنة من ممارسة استعراضات أما العامة، شاهد الآلاف من الناس بأعينهم قدرته العجيبة على الارتفاع في الهواء. وأشهر استعراضات الارتفاع التي قام بها "هوم" كانت بحضور اللورد "آدر" Lord Adare، سيد مقاطعة "ليندزي"، حيث طاف في الهواء وخرج طائراً من النافذة إحدى عمارات لندن الشاهقة ودخل إلى نافذة العمارة المقابلة.

لقد شاهده العالم الإنكليزي البارز السير "وليام كروكس" William Crookes في مناسبات كثيرة وهو يرتفع عن الأرض، وأكد بأنه ليس هناك أي أثر أو حتى إمكانية للخداع في العملية. وفي إحدى المناسبات، ارتفعت زوجة السير كروكس، والتي كانت جالسة بالقرب من "هوم"، هي والكرسي التي تجلس عليها في الهواء.

الوسيط الروحية الإيطالية المشهورة "أوسابيا بلادينو" Eusapia Palladino كانت في مناسبات كثيرة ترتفع عن الأرض، واستطاعت أيضاً أن ترفع أو تخفض من نسبة أوزان الأشياء. لقد تم التأكد من صحّة ومصداقية قدراتها الاستثنائية من خلال تجارب مخبرية

صارمة أجزاها علماء أوروبيون بارزون في بدايات القرن العشرين. وبعد مشاهدة استعراضاتها الاستثنائية، صرّح الرياضياتي والعالم الفلكي الفرنسي "كاميل فلاميريون" Camille Flammarion بأنه يجب أن لا يُعتبر الارتفاع عن الأرض غريباً أكثر من ظاهرة جذب المغناطيس لقطعة حديد. خلال قمة ازدهار المذهب الأرواحي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تم التبليغ عن عدد كبير من حالات الارتفاع في الهواء، وتم توثيق هذه الحالات بطريقة علمية منهجية.



الوسيط الروحي الشهير "كولين إيفانز" Colin Evans يرتفع في الهواء خلال إحدى الجلسات الأرواحية النشطة عام ١٩٣٨م.

في منتصف القرن التاسع عشر، سافر القاضي "لويس جاكلواه" Louis Jacolliot، رئيس محكمة العدل في مدينة "شاندرباغور" في المستعمرة الهندية، حول البلاد الهندية للتعرف أكثر على العجائب التي كان يستعرضها "الفاكيريون" fakirs (وهم متصوفون هنود). وقد كتب عن الكثير من الاستعراضات التي شاهدها خلال جولته، لكن الذي يهمننا هنا هو ظاهرة شاهدها بأمر عينه في مدينة "فاراناسي" حيث قام أحد الفاكيريون يدعى "كوفينداسامي" باستعراضات كثيرة أمامه، وإحداها هي ارتفاعه عن الأرض مسافة ١٢ بوصة، وبقي معلقاً في الجو أكثر من ٨ دقائق. وقد وصف "جاكلواه" مناسبة أخرى ارتفع فيها هذا الفاكير، حيث كتب يقول:

".. متكناً على عكازه بيد واحدة، ارتفع الفاكير تدريجياً في الهواء، حوالي ٢ قدم فوق الأرض. كانت أرجله متصالبة (وضعية التربيع) تحته، ولم يجري أي تغيير في وضعيته... بقي معلقاً بهذه الوضعية في الهواء لمدة ٢٠ دقيقة، وحاولت أثنائها معرفة كيف يمكن لـ"كوفينداسامي" أن يرتفع خارقاً كل قوانين الجاذبية المعروفة. لقد كانت فعلاً أكثر مما استطيع استيعابه. العكازة لم تمنحه أي دعم من أي نوع، حيث لم يكن هناك اتصال ملموس بينها وبين جسده سوى من خلال يده اليمنى.."



صورة قديمة لأحد المتصوفين الهنود (الفاكير) يرتفع في الهواء

هناك الكثير من المراجع التي تشير إلى هذه الطريقة في الارتفاع في الهواء. فقد وصف المراسل الصحفي الأمريكي "جون كيل" John Keel مناسبة مشابهة تماماً لما سبق، خلال سفره في "سيكيم" (ولاية هندية) في الخمسينات من القرن الماضي، حيث قابل "لاما" (راهب بوذي) عجوز واستعرض أمامه هذه القدرة العجيبة. يقول جون كيل واصفاً لما رآه:

.. ضغط بيد واحدة على قمة العصا، وهي عبارة عن غصن سميك طوله ٤ أقدام، همّ بقليل من الجهد، ومن ثم راح يرفه أرجله إلى الأعلى في الهواء واتخذ وضعية التربع، بينما هو معلقاً في الهواء. لم يكن هناك شيئاً خلفه أو تحته. دعمه الوحيد كان العصا، والتي يبدو أنه استخدمها من أجل التوازن وليس لمساعدته على الارتفاع.. كنت مندهشاً لما رأيته.."



الارتفاع في الهواء مألوفاً في معابد التبت، خصوصاً بين الأطفال

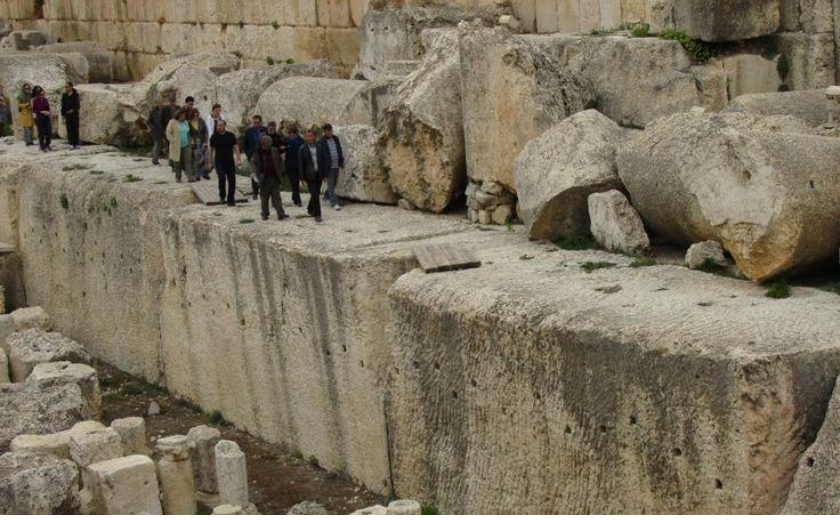
هناك الكثير من الأمثلة التي يمكن ذكرها، لكن أعتقد بأن هذا كافي لإثبات نقطة مهمة هي أن ظاهرة الاسترفاع البشري كانت مألوفة في تقاليد شعبية كثيرة. كلما تعمق الفرد في هذه القدرات العقلية العجيبة مع ارتباطها الوثيق مع تلك الطاقة الحيوية الغامضة سوف يصل في النهاية إلى تفسير منطقي وسليم لكافة مظاهر السحر. رغم افتخارنا

بتقدم علومنا العصرية إلا أنه وجب الاعتراف بأننا لازلنا نجعل تماماً خفايا العقل وأسرار تلك القوة الحيوية الغامضة ومحتواها الأثيري الخفي.

رفع الحجارة



ذكرت سابقاً أنه خلال جلسات تحضير الأرواح التي ازدهرت عبر القرنين الماضيين حصلت ظواهر كثيرة غير مألوفة أهمها ارتفاع الأشياء في الهواء مثل الكراسي والطاولات وغيرها من أشياء ثقيلة، وكان الاعتقاد سائداً بأنها من عمل الأرواح التي كانت تحضر في المكان. لكنها في الحقيقة مجرد كينونات فكرية تتولد من الوسطاء الروحانيين لكنها تتصرف وفق ما يعتقد أولئك الأشخاص (مسرحية ذهنية) فتبدو أنها من عمل الأرواح. ذكرت هذه الظاهرة أيضاً في الجزء الثالث والتي استثمرها القدماء الذين أدركوا سرّها جيداً وراحوا يخلقون كينونات فكرية خاصة لرفع الأشياء الثقيلة ونقلها من مكان إلى آخر عبر مسافات بعيدة.



كيف استطاع القدماء استخدام حجارة عملاقة تزن مئات الأطنان في البناء؟



عندما ننظر إلى تلك الحجارة الدائرية العملاقة التي تتألف منها عواميد معبد بعلبك في لبنان سوف نصاب بالذهول والمهابة من تلك التقنية الغامضة التي اعتمدها القدماء لتشييد صروحهم العملاقة في زمن من المفروض أن يفتقر إلى تقنيات رفع متطورة

رغم التفسيرات الواهية التي اوجدها العلماء العصريين لكيفية بناء تلك الصروح الحجرية العملاقة (الحبال والبكرات والعبيد) والتي هي بعيدة جداً عن المنطق، إلا أن التسليم بوجود قوة حيوية/عقلية تحضر جميعاً عند تجسيد أي ظاهرة خارقة سوف يساعدنا على التوصل إلى حل ذلك اللغز الكبير المتعلق بكيفية رفع تلك الحجارة الثقيلة.

هل يعقل أن بناء الأهرامات وكافة المواقع العملاقة حول العالم سَخَّرُوا هذه القوة الحيوية/العقلية لتنفيذ مشاريعهم العمرانية الجبارة؟! ربما يستبعد الإنسان العصري ذلك الجواب الذي يعتبر الأنسب للسؤال السابق، لكن بعد أن ينظر إلى عينات مرئية ملموسة لا بد من أن يغير طريقة تفكيره. يوجد الكثير من الأمثلة حول العالم لكن أعتقد أن المثال التالي يكفي لإثبات هذه الحقيقة. في بلدة "ماولينونغ" Mawlynnong الواقعة شمال شرقي الهند يوجد صخرة ضخمة وزنها عدة أطنان موضوعة على قاعدة مؤلفة من أربع قوائم، هذه الصخرة ترتفع في الهواء عشرات السنتيمترات ولبعض الدقائق ثم تعود إلى مكانها بهدوء، وذلك في يوم محدد في فصل الربيع.

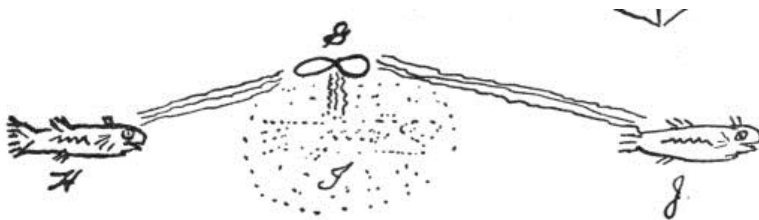


صخرة " ماولينونغ" العجيبة تطوف في الهواء في موعد محدد سنوياً

أما عن سبب حصول هذه الظاهرة العجيبة فلازال غامضاً، لكن مهما كان تفسيره فسوف يبقى بعيد كل البعد عن المنطق العلمي لأنه يستحيل وفق مفاهيمنا الفيزيائية أن يحصل هكذا ظواهر. الكينونة الفكرية المزروعة في هذه الصخرة تنشط وتتصرف بطريقة منتظمة وفي مواعيد محددة وهذا يجعل كامل الظاهرة من صنع الإنسان لكن لا أحد يعلم كيف ولماذا. المهم أنها إثبات مرئي وملموس على إمكانية ارتفاع الحجارة العملاقة في الهواء دون أي وسيلة فيزيائية مألوفة.

صيد السمك بطريقة عجيبة

حتى هذه القدرة الأخيرة التي تتحدى الجاذبية رغم عظمتها إلا أنها تعتبر لا شيء أمام ظواهر أخرى مثل خلق الأشياء من العدم وقد اشتهرت هذه الظاهرة خلال جلسات تحضير الأرواح حيث كانت الأشياء تظهر في المكان فجأة كالورود والحجارة والتحف المعدنية وغيرها. لكن أغربها هي تلك التي كان الكاهونا يمارسونها وهي ظاهرة تجسيد الأسماك داخل الوعاء، وكانت هذه طريقة الصيد الشائعة لدى الأسلاف القدماء. كانوا يضعون وعاء فخاري كبير له غطاء ثم يجلسون حوله ويتلون ترتيلات خاصة موجهة إلى أحد الآلهة، وبعد فترة تتجسد السمكة أو عدة أسماك داخل الوعاء! وتكون السمكة من النوع الذي يرغبونه! رغم تعدد التفسيرات إلا أنها جميعاً لم تثبت حتى الآن من أين تأتي السمكة التي تتجسد فجأة في الوعاء. هل تأتي من مكان آخر في هذا العالم المادي، أم تولد مباشرة من العالم الباطني؟!



الشكل السابق مأخوذ من كتاب "لونغ" وتوضح طريقة تفسيره لكيفية اختفاء السمكة من مكان بحري بعيد وظهورها في الوعاء الذي يجلس حوله الكاهونا.

التحكم بالرياح

لطالما اشتهرت شعوب مختلفة حول العالم بطقوس أو صلوات الاستسقاء والتي كانت تُقام بهدف جلب الأمطار وكانت هذه الأخيرة تأتي فعلاً. لكن في جزيرة هاواي لم يحتاج سكانها للأمطار لأنها تهطل بغزارة في الجزيرة، أما الرياح فكانت تمثل أمراً يستحق الاهتمام وخصوصاً بالنسبة للبحارة القدماء، لهذا السبب كان هناك كاهونا مخصصين للتعامل مع الرياح. ذكر الكاتب "لونغ" إحدى الأمثلة المثيرة في كتابه وتتعلق بأحد الأشخاص وهو مهندس أمريكي يعمل في مسح الأراضي يدعى "ن.س. أمرسون" N. S. Emerson وقد عاش معظم حياته في الجزيرة. كان عمله يدفعه إلى زيارة الكثير من المناطق النائية في جزر هاواي المتعددة حيث كان الكاهونا لازالوا يزدهرون في تلك الأيام القديمة. يبدو أن السيد "أمرسون" كان طيب القلب ولطيف المعشر مما جعله يصادق أكثر من كاهونا في الأماكن المختلفة التي عمل بها. لكن أحد أولئك الكاهونا كان سحره قوياً ومخصص في مجال التحكم بالطقس عموماً، فقرر أن يعلم السيد "أمرسون" فن التحكم بالرياح. قدمه أكثر من مرة إلى الإله المسؤول عن التحكم بالطقس، وذلك عبر شعائر معيّنة، ثم علمه كيف يتلو إحدى الدعوات القصيرة التي تؤدي إلى زيادة الرياح أو تقليلها. هذا كل ما في الأمر!

قام الكاهونا باستعراض هذا النوع من السحر أكثر من مرة أمام السيد "أمرسون" وهذه طريقة مجدية لكي يؤمن بواقعية الأمر، وقد نجحت فعلاً في ترسيخ إيمانه بإمكانية حصولها، لأن العامل الأهم في أي عمل تجاوزه هو الإيمان المطلق بإمكانية حصول النتائج المرجوة. في النهاية، بعد أن أصبح السيد "أمرسون" جاهزاً نفسياً وعقلياً للقيام بالأمر بنفسه، طلب منه الكاهونا أن يجري العملية بإشرافه، فقام "أمرسون" بما طُلب منه متوجهاً إلى سيد الرياح وبعد فترة قصيرة بدأ يشاهد النتيجة تتجلى أمامه! ومع مرور الوقت والمزيد من الممارسة أصبح "أمرسون" قادراً على إحداث نتائج مجدية مجرد أن ذكر اسم إله الرياح وتكرار تلاوة دعاء قصير فقط. ليس هناك أي شيء غير عادي بخصوص ذلك الدعاء الذي يكرر تلاوته. يبدو أن الكاهونا أعطى السيد "أمرسون"

مفتاح بصيغة دعاء بسيط يمكنه من فتح التواصل مع النفس العليا والتي هي المسؤولة عن أعمال تجاوزية هائلة كالتحكم بالطقس.

كان هذا الرجل مشهور بين الجالية الغربية في الجزيرة، وغالباً ما كان أصدقاءه يأتون إليه طالبين مساعدته في تخفيف حدة الرياح عندما يريدون السفر في البحر بين جزر هاواي المتعددة. كما كان يُطلب حضوره في أيام العطل المدرسية لكي يجعل الرياح معتدلة بحيث يستطيع التلاميذ إطلاق طائراتهم الورقية بطريقة مناسبة. الكثير من الشهود وصفوا كيف كان هذا الرجل يجري دعائه الخاص لإله الرياح وكانت النتيجة تتجلى حسب رغبته بعد عدة دقائق. ليس هناك أي مناسبة فسل فيها هذا الرجل في تجسيد نوعية الريح التي طلبها.

استبدال عظمة مكسورة بأخرى جديدة

هذه تعتبر إحدى مظاهر خلق الأشياء من العدم. ذكر "لونج" في كتابه إحدى الحوادث التي وثقها الدكتور "برغهام"، تم فيها علاج عظمة مكسورة بشكل فوري ومباشر من قبل إحدى الكاهونا النساء. كانت الكاهونا العجوز تُعتبر إحدى أقوى الكاهونا في جزر هاواي، وفي إحدى المناسبات بينما كانت تجري إحدى الحفلات المقامة في منزلها استعرضت قدراتها بشكل مباشر وأدرك الجميع مدى قوة هذه المرأة.

انزلق أحد الضيوف على الرمال وكان الكسر في رجله فظيلاً حيث يمكن رؤية نهاية العظمة خارجة من الجلد. بعد إدراك مدى خطورة الكسر، قرّر الحاضرين نقل الرجل فوراً إلى المستشفى، لكن الكاهونا العجوز اعتبرت بأن هذه إهانة لها وطلبت عدم سماع شيء عن المستشفى. ركعت على الأرض بجانب الرجل المكسور، جلّست رجله وضغطت على منطقة الكسر التي خرجت منها العظمة. وبعد الصلاة والتأمل لبضعة دقائق، وقفت منتصبّة وأعلنت نهاية العلاج. نهض الرجل المكسور مستغرباً على رجليه، قام بأول خطوة، ثم الثانية، ثم راح يمشي وكأن شيئاً لم يحصل! لقد عولج تماماً ورجله لم تبدي أي علامات على كسر من أي نوع!

في الحقيقة يوجد عدد كبير من الظواهر الأخرى التي يمكن ذكرها هنا لكن أعتقد بأن الأمثلة السابقة تكفي لوصف طبيعة تلك القوة العقلية/الحيوية التي يولدها الكاهونا خلال طقوسهم والتي تشير إليها بالسكر. يمكنك العودة إلى ظواهر كثيرة أخرى أوردتها عبر أجزاء هذه السلسلة من الكتب وجميعها طبعاً تتجسد بفعل ذات القوة وبنفس الطريقة. الأمر ذاته ينطبق على موضوع الشفاء والعلاج الذي اشتهر به الكاهونا الذين استخدموا القوة السحرية ذاتها. لكن هناك طريقة أخرى للعلاج اهتم بها الكاهونا وهي العلاج الذاتي والذي يعتمد كلياً على الحالة النفسية للمريض والذي يمكن أن نسميه العلاج بالإيمان وهذا ما سوف أتناوله لاحقاً.

القوة العقلية/الحيوية التي نسميها سحر

طبيعتها وسماتها

إذاً، يبدو أنه خلال الطقوس السحرية التي يقيمها الكاهونا (وكافة الشامانيين والسحرة حول العالم) تتولد قوة ذات طابع خاص. هذه القوة العقلية/الحيوية التي نسميها قوة سحرية ليست قوة فيزيائية ممتدة بل هي عاقلة وقابلة للبرمجة بحيث تتجلى بهيئات وأشكال مختلفة تتوافق تماماً مع الرغبة أو الإرادة أو الخيال أو التصور الذهني وجميع هذه الأمور هي مجريات عقلية. بالإضافة إلى ذلك، هذه القوة العقلية/الحيوية ليست من عمل كائنات خفية من أي نوع بل هي تصدر من الإنسان ذاته رغم أن المظاهر تشير إلى غير ذلك، بالتالي لا نستطيع فهم واستيعاب هذه القوة العقلية/الحيوية قبل التعرف على التركيبة الفعلية للكينونة البشرية. يمكننا تلخيص سمات هذه القوة العقلية/الحيوية عبر البنود التالية:

١. إن الظواهر غير المألوفة التي تتجسد بفعل هذه القوة العقلية/الحيوية تخضع لقوانين طبيعة خاصة بها، وهي تخالف تماماً المفاهيم العلمية السائدة. هذا جعل رجال العلم المنهجي عاجزين عن استيعابها وفهم طريقة عملها، لأنهم رجال ينتمون إلى منهج علمي يعتمد على منطق مختلف عن المنطق الذي يحكم هذه الظواهر مما جعلهم يواجهون صعوبة في صياغة نظريات صحيحة حول طريقة عملها.

٢ . يمكن لهذه القوة العقلية/الحيوية أن تعمل خارج حدود زمنية ومكانية محددة. فهي متناقضة تماماً مع القوانين النيوتونية التي وضعت حدود ثابتة للمكان والزمان.

٣ . المظاهر التي تميّزت بها هذه القوة قامت بدحض جميع النظريات التي اعتمدت في تفسيرها لها على عناصر مثل، موجات، ذرات وجزيئات، قوى، حقول، وغيرها من عناصر علمية تقليدية أخرى. (لكن يتم استخدام هذه المصطلحات من أجل وصف مجريات عمل هذه القدرات وليس من الضرورة أخذ هذه المصطلحات بحرفية الكلمة).

٤ . هذه القوة لا تتأثر بالقوى الأساسية الأربعة المعروفة: القوة النووية الشديدة، القوة النووية الضعيفة، قوة الجاذبية، القوة الكهرومغناطيسية.

٥ . هذه القوة لا تنتمي ولا تخضع لأي من القوانين الطبيعية المعروفة مثل: قانون الديناموحراري، أو قانون الجاذبية.

٦ . هذه القوة لا تتطلب عملية تذبذبات الطاقة أو تبدلاتها في عملية التأثير عن بعد. فعلمية اختفاء عملة نقدية مثلاً تتطلب بالمفهوم الفيزيائي التقليدي طاقة قابلة نووية صغيرة تقوم بمحوها عن الوجود، أما هذه القوة العقلية/الحيوية فطريقتها تختلف تماماً.

٧ . هذه القوة العقلية/الحيوية لا تتوافق مع النظرية النسبية التي تقول بأنه لا يمكن للمادة أن تسافر بسرعة تفوق سرعة الضوء، أي ١٨٦.٠٠٠ ميل في الثانية. بل يبدو أن سرعتها لحظة! أي أسرع من الضوء بكثير!

٨ . جميع المظاهر التي تميّزت بها هذه القوة، والتي تتناقض مع المفهوم العلمي المعاصر، دفعت الباحثين إلى التوجه نحو مجالات أخرى خارجة عن حدود المنهج العلمي التقليدي في سبيل إيجاد تفسيرات مناسبة لها. أهم المواضيع التي شغلت الباحثين هو موضوع الوعي وعلاقته الصميمية بتلك القوة العقلية/الحيوية، ومن هنا ظهر مفهوم

حالات الوعي البديلة Altered States of Conciouseness. وهذا المفهوم الأخير يتنافى تماماً مع المفهوم العلمي الذي يستند عليه علم النفس العصبي.

ذكرت سابقاً أن هذه القوة العقلية/الحيوية ليست من عمل كائنات خفية من أي نوع بل هي تصدر من الإنسان ذاته رغم أن المظاهر تشير إلى غير ذلك، بالتالي لا نستطيع فهم واستيعاب هذه القوة العقلية/الحيوية قبل التعرف على التركيبة الفعلية للكينونة البشرية. لقد اختلفت التقسيمات حسب اختلاف المفكرين والباحثين، لكن جميعها اتفقت على تعدد أقسام ومستويات المنظومة العقلية البشرية. الموضوع التالي يمثل طريقة الشرح التي اتبعها "لونغ" في كتبه المختلفة عن الكاهونا، ويتحدث عن وجود ثلاثة كيانات عقلية مختلفة في الإنسان، وكل كيان عقلي له قوته ومحتواه الخاص. دعونا نتعرف على هذا التقسيم الثلاثي الذي تحدث عنه "لونغ" وسوف يأتي تعليقي على الموضوع لاحقاً.

.....

ثلاثة كيانات منفصلة

داخل كل إنسان

وفقاً لما تعرفنا عليه سابقاً، توصل "الونغ" إلى وجود ثلاثة كيانات عقلية منفصلة في الإنسان، وقد صنّفها بطريقة تناسب المنطق الغربي السائد في أيامه، أي: عقل واعي، عقل باطن، والوعي الخارق. أو يمكن تصنيفها على الشكل التالي: نفس عليا، نفس وسطى، ونفس دنيا. وبالإضافة إلى هذه الكيانات العقلية المختلفة، تحدث عن ثلاثة مستويات من القوى أو الطاقات Mana (كل عقل له قوته الخاصة)، وكذلك تحدث عن ثلاثة مستويات من المحتويات المادية Aka (كل عقل له محتواه الأثيري الخاص).

[١]

العقول الثلاثة

الوعي واللاوعي والوعي الخارق

كما سبق وذكرت، وفقاً للباحث "الونغ"، اعتبر الكاهونا كل من العقل الواعي والعقل الباطن للإنسان كيانيين منفصلين. اعتبروا العقل الواعي بأنه مجرد روح تستطيع الكلام، وهي تسكن في الجسد كضيف. هي تستطيع إدراك الحقائق وتُعقلنها منطقياً. المهمة الأساسية للعقل الواعي هي إرشاد وتوجيه العقل الباطن. يعترف علم النفس العصري بوجود عقل باطن ووصف بعض خصائصه لكن هذا الوصف كان ناقصاً بشكل كبير وبالتالي العلم لا يفهمه كما فعل الكاهونا، فهؤلاء استوعبوه جيداً وعرفوا قدراته وكيف يتم استثمار تلك القدرات. اعتبر الكاهونا هذا العقل الباطن بأنه روح ذات طبيعة حيوانية. وكما باقي الحيوانات، يختزن بداخله إرشاد فطري يوجّه نمو الكائن وتنفسه وهضمه للطعام والقيام بكافة الوظائف اللاإرادية. نحن نعلم اليوم بأن العقل الباطن يسيطر على ردود فعلنا الأوتوماتيكية مثل الارتكاسات اللاإرادية. كافة الحيوانات تخضع لسيطرة عواطفها، والحال ذاتها مع العقل الباطن لدينا حيث يعتبر مركز منظومتنا العاطفية. وظيفة العقل الواعي هي كبح جماح عواطفنا والتحكم بها بطريقة لائقة. بالإضافة إلى

ذلك، نظر الكاهونا إلى العقل الباطن على أنه مخزن كافة الأفكار والانطباعات التي اختبرها العقل الواعي في حياته اليومية. نحن اليوم نشبهه كالكومبيوتر الذي يخدم كمخزن ذاكرة لكنه يفتقد القدرة على المجادلة العقلانية. على العقل الباطن أن يعتمد على العقل الواعي في عملية الاستدلال العقلاني. إذاً، العقل الواعي يتصرف كمرشد ويتحكم بالعقل الباطن عبر الإيحاء.

بالإضافة إلى العقليين الواعي والباطن، هناك كيان ثالث بين محتويات الكينونة البشرية. أشاروا إليه وفق المصطلحات العصرية بالنفس العليا أو الوعي الخارق أو غيرها من مصطلحات. يمكن تسميته بالملك الحارس أو الروح المرشدة التي تحدثت عنها بعض الأديان. اعتقد الكاهونا أن هذا الكيان التجاوزي أكثر سمواً من الكيانين العقليين السابقين إذ يُعتبر ما يمكن وصفه بالإله الشخصي للفرد. وصفوه بأنه لا يقبع في الجسد مع الروحين المذكورتين سابقاً (العقل الواعي والباطن) ويستطيع السفر إلى أماكن بعيدة ومع ذلك يبقى يمثل جزء من كينونة الإنسان.

من أجل تبسيط الشروحات المتعلقة بهذه الكيانات العقلية الثلاثة، قرر الكاتب لونغ استخدام ثلاثة مصطلحات بسيطة للإشارة إليها وهي: النفس العليا (الوعي الخارق) والنفس الوسطى (العقل الواعي) والنفس الدنيا (العقل الباطن).

لم تكن النفس العليا تمثل بالنسبة للكاهونا الإله الأعلى، إذ اعتقدوا بوجود مستويات عديدة من النفوس الأرقى منزلةً ويمكن للنفس العليا أن تلتجئ إليها في حالات معينة لنيل مساعدتها. أشاروا إلى تلك النفوس الأرقى من النفس العليا باسم "أكوا أوماكوا" وهي تعلوا النفس العليا في المرتبة. الكاهونا لم يشغلوا أنفسهم بالتعامل مباشرة مع الإله المطلق [عزّ وجلّ] ولا حاولوا دراسته أو فهمه، والسبب هو أنه عصيّ عن الاستيعاب البشري، وثانياً، أنهم على يقين بأن النفس العليا كقيلة في تحقيق كل أمنياتهم ومتطلباتهم.



العقول الثلاثة وفق شرح "لونغ"

إن مصطلح "النفس الدنيا" لا يجعل هذا المستوى من العقل (العقل الباطن) أقل شأنًا أو أدنى منزلة، لكنه يعني أنه يحتل الموقع الأدنى في سلم التدرج العقلي. هذا القسم من العقل هو الذي ركّز عليه الكاهونا في تعاليمهم إذ اعتبروه شيئاً واجب فهمه بشكل جيد. أولاً، هو منفصل عن الكيان العقلي الواعي كما انفصال هذا الأخير عن الكيان الأعلى (النفس العليا). تعتبر النفس الدنيا خادمة للنفسين الأخرتين، وهي مرتبطة مع النفس الوسطى كما يرتبط الأخوين، تلتصق معها كما يتصل جزأين للشيء ذاته. النفس الدنيا تسيطر على كامل المجريات المختلفة للجسد المادي ما عدا الوظائف الإرادية. هي تمثل القسم الحيواني من الإنسان. هي مركز العواطف والانفعالات. لهذا السبب فإن المحبة والكره والخوف والضحك والبكاء.. جميعها تصدر كانهالات عاطفية بتحفيز من النفس الدنيا، وتكون هذه الانفعالات قوية أحياناً لدرجة أنها تجرف بطريقها إرادة النفس الوسطى (العقل الواعي) فتجبرها على تنفيذها عملياً. إن فهم هذه النقطة مهم جداً حيث هذا يثبت مدى قوة النفس الدنيا في سيطرتها علينا. بالتالي فإن مهمة النفس الوسطى هي التعلّم كيف تتحكم بالنفس الدنيا وتمنعها من إدارة حياتنا اليومية على طريقته العفوية الخاصة.

النفس الدنيا هي التي تتأثر أو يتم السيطرة عليها بواسطة الإيحاء المغناطيسي. هي التي تحتفظ بأفكار غير مُعقّنة والتي تسربت إليها في وقت لم تكن النفس الوسطى (العقل الواعي) محترسة، وإذا تفاعلت مع هذه الأفكار سوف يتشكل ما نسميه "العقدة النفسية". كما أن وظيفة النفس الدنيا تسجيل وحفظ كل انطباع وكل فكرة تخطر للنفس الوسطى. كافة الأصوات والمشاهد والخواطر والكلمات تُخزّن على شكل وحدات متصلة، وقد وصفها الكاهونا بعناقيد أو بذور. وكلما أرادت النفس الوسطى استرجاع أي من هذه الانطباعات المخزّنة إلى ذاكرتها تستجيب النفس الدنيا لهذا الطلب مباشرة. بهذه الطريقة نتذكر الأشياء بشكل فوري خلال الحديث أو الكتابة أو غيرها. كما ذكرت سابقاً، فإن للنفس الدنيا طبيعة حيوانية وبالتالي هي مجردة من القوة العقلانية. هي مركز العواطف إلى جانب كونها مخزن الذاكرة. هي تستنتج بناء على الذاكرة المخزّنة لديها وليس تقيمها العقلاني للأمور. إن رغباتها وإرادتها تستند كلياً على ما خُزن بذاكرتها من خبرات وتجارب سابقة وبالتالي يكون رد فعلها أتوماتيكي لكل ما تواجهه من مواقف بحيث تعتمد على نتيجة ما اختبرته سابقاً من مواقف مشابهة. لهذا السبب نرى ردود فعلها أحياناً غير منطقية تجاه مواقف معينة، إذ هي تستند على نتائج مواقف سابقة خزنت في ذاكرتها. أما النفس الوسطى للإنسان فهي لا تتذكر وليس لديها عواطف وبالتالي تستجيب للمواقف التي تواجهها بطريقة عقلانية مناسبة للطرف الحالي. أما النفس العليا فلديها طريقة أرقى للتعامل مع المواقف وتستند على عوامل تجاوزية لا نستطيع فهمها أو استيعابها.

إحدى أهم الطرق المتبعة وفق مفاهيم الـ"حوزة" هو فهم خطوط الاتصال بين هذه النفوس الثلاثة في الإنسان وقد أوجدوا نوع من الصلاة الموجهة للنفس الدنيا وتحفيزها على الاتصال المباشر مع النفس العليا لكي تستجيب هذه الأخيرة وتلبي الطلبات المرجوة. أي بمعنى آخر، لا يمكن الوصول إلى النفس العليا سوى عن طريق النفس الدنيا (العقل الباطن). لا نستطيع التواصل مع النفس العليا بشكل مباشر بل وجب الحصول أولاً على موافقة العقل الباطن وهنا تكمن المسألة الكبيرة التي وجب حلها. وبالتالي فإن أهم جزء من ممارسة الكاهونا للسحر هو التعلم كيف تتعامل مع العقل الباطن من أجل الوصول

إلى النفس العليا. وعندما نستطيع التواصل مع هذه الأخيرة لم يعد هناك أي شيء مستحيل بالنسبة لنا.

[٢]

القوى الثلاثة

"المانا" Mana مصدر القوة السحرية للكاهونا

بالنسبة للكاهونا، لا يمكن للسحر أن يتجلى دون حضور نوع من الطاقة الحيوية التي يولدها الجسم وسموها "مانا" Mana، وهي ذاتها الطاقة التي أشار إليها الهنود باسم "برانا" Prana والصينيين باسم "تشي" Chi (مع العلم بأن كلمة "مانا" وردت في العهد القديم لكن بلفظ مختلف حيث تم تشديد حرف "النون" فتحوّل إلى كلمة "مئة" بالعربية). وفي الحقيقة فإن هذه الطاقة الحيوية كانت معروفة في كافة الثقافات القديمة حول العالم لأنها تمثل جزء أساسي في الأديان والمعتقدات القديمة لكن علم النفس الحديث لا يعترف بوجودها أصلاً. بالنسبة للقدماء فإن هذه القوة الحيوية إذا استخدمها الفرد بشكل مناسب سوف يحصل على نتائج مجدية وعملية. هذا ما اعتقده الكاهونا أيضاً واعتبروها عنصر أساسي لممارساتهم التجاوزية المختلفة.

حسب وصف الكاهونا لهذه الطاقة وطريقة سلوكها، يمكن تشبيهها بالطاقة الكهربائية حيث هذه الأخيرة يمكن توليدها ومن ثم تخزينها (في مكثفات أو بطاريات) ومن ثم تفريغها لتؤدي عمل معين مثل إضاءة مصباح. ال"مانا" أيضاً يتم توليدها من قبل النفس الدنيا ومن ثم تخزينها في الجسم ثم إطلاقها حين الطلب لأداء عمل معين. لكن الفرق هو أن ال"مانا" ليست طاقة مينة كما الكهرباء العادية حيث يمكن تحميلها بأفكار ومشاعر معينة. بالإضافة إلى أنها تستطيع السريان عبر أي شيء مهما كان نوعه دون حصول أي انخفاض في قوتها، وهي لا تضعف خلال سفرها عبر مسافات بعيدة. بعكس الكهرباء التي تتفاوت شدتها حسب نوع الوسيط الذي تجري عبره كما أنها لا

تستطيع المرور عبر المواد العازلة والمسافة التي تسافر عبرها تؤثر بشكل كبير على درجة شدتها.

تحدث الكاهونا عن ثلاثة مستويات لهذه الطاقة الحيوية التي سموها "مانا". أدنى درجات هذه الطاقة تصنعها النفس الدنيا بشكل طبيعي وذلك من أجل إنعاش الجسد وتمكينه من أداء وظائفه ككائن حي. بعض من هذه الطاقة يتم مشاركتها مع النفس الدنيا والعليا. عندما تُستخدم من قبل النفس الوسطى تتغير طبيعتها بطريقة معينة فينشكّل نوع آخر من الطاقة وقد سماها الكاهونا "مانا مانا" وهذه التسمية المزدوجة للطاقة تشير إلى أنها تصبح أكثر قوة في هذا المستوى، فتستخدمها النفس الوسطى للتحكم بالنفس الدنيا. القوة التي تستخدمها النفس الوسطى هي ما يعرفها علم النفس الحديث بـ"قوة الإرادة"، والإرادة التي أقصدها هي تلك التي يسخرها المنوم المغناطيسي مثلاً خلال تركيزه على النائم، وهي تشكّل نوع من القوة العقلية وليس مجرد صفة أو حالة نفسية. أما النفس العليا، فعندما تصل الطاقة إلى مستواها، بطريقة معينة، يصبح اسمها وفق الكاهونا "مانا لوا" أي الطاقة الأقوى. وتكون الطاقة في هذا المستوى التجاوزي ذات طبيعة مختلفة تماماً حيث تستطيع بطريقة معينة صناعة كل ما نعتبره معجزات، مثل المناعة من النار أو العلاج الفوري.

أحد الأمور الأساسية التي نتعلمها في الحوزة" هو كيفية تجميع كمية كبيرة من هذه الطاقة ومن ثم إرسالها إلى النفس العليا. وفقاً لطريقة الكاهونا في صنع المعجزات السحرية، الطاقة لا تُرسل مباشرة إلى الهدف بل يتم إرسالها أولاً إلى النفس العليا وتكون مُحملة بطلباتنا أو أمنياتنا (حسب الحالة) وهناك في ذلك المستوى التجاوزي يتم اتخاذ القرار بالتنفيذ. إذًا، المسألة التي يجب معالجتها لا تكمن عند كيفية إحداث ظاهرة سحرية معينة بل في كيفية النجاح في مخاطبة النفس العليا وإيصال طلباتنا إليها وبعدها تتجلى الظاهرة السحرية لوحدها وبشكل تلقائي.

وفقاً للسيد "لونج"، استخدم الكاهونا رمز "الماء" للإشارة إلى هذه الطاقة الحيوية. ربما السبب يعود إلى أن الماء لها طبيعة مشابهة لطاقة الـ"مانا"، فالماء تتدفق وكذلك الحال

مع المانا، الماء تملأ الأشياء وكذلك المانا تفعل ذلك، يمكن للماء أن تتسرب وكذلك الحال مع المانا.. وهكذا. كلمة "واي" تعني الماء في اللغة البولينية، وقد استخدمها الكاهونا ككلمة جذرية لمصطلحات كثيرة خلال حديثهم عن المانا. كانوا مثلاً يستخدمون وصف الماء الذي يتدفق من نافورة خلال وصفهم لشحنة قوية من طاقة المانا.

يعتقد الكاهونا بأنه عبر المفعول العقلي يستطيع الفرد خلق كمية زائدة من الطاقة ثم تجميعها ثم استخدامها حسب الحاجة. وجدوا أن الطريقة المجدية لخلق هذه الطاقة ومن ثم إنتاج قوة كبيرة هي عبر بـ"التنفس الثقيل". هذه الطريقة تذكرنا بتلك التي يتبعها ممارسو الـ"يوغا" في الهند والذين يجرون تمارين تنفس وفق صيغ متعددة لتجميع طاقة الـ"برانانا" لديهم. هذا بالإضافة إلى ممارسي الـ"تشي كونغ" في الصين وغيرها من ممارسات مشابهة حول العالم. جميع هذه الممارسات تتشابه بأمرين مشتركين، أولاً وجب بذل مجهود عقلي قوي لتصور كيف يُشحن الجسم بشحنة قوية من هذه الطاقة الحيوية، وثانياً، يتم إجراء تمارين تنفس أو حركات جسدية معينة تؤدي تلقائياً إلى حصول حالة تنفس ثقيل. عندما أراد الكاهونا تجميع شحنة قوية من المانا يتنفسون بعمق ويتصورون كيف تتدفق المانا كما تتدفق الماء من النافورة، فتعلو وتعلو حتى تفيض من الجسم. النفس الدنيا تعلم كيف تجمع الطاقة الحيوية تلقائياً، فهذه وظيفتها، حيث تفعل ذلك كل مرة يقوم الفرد بحركة معينة كالوقوف أو الجلوس. إذاً، هذه وظيفة تلقائية للنفس الدنيا، وبالتالي عندما تبدأ بالتنفس بشكل إرادي (أي بشكل واعٍ) وتقوم به وفق إيقاع معين، أي بشكل بطيء وعميق، هذا العمل يخطف اهتمام النفس الدنيا فتبدأ بالانسجام مع أفكار ورغبات النفس الوسطى. مجرد أن استحوذت على انتباه واهتمام النفس الدنيا تكون قد أنجزت مرحلة مهمة من العمل التجاوزي مهما كان نوعه. لكن هذا جزء من العملية فقط إذ يتطلب الأمر تركيز كامل على الموضوع المراد إنجازه مع تسليط الانتباه بشكل كلي على النفس الدنيا خلال مخاطبتها وكذلك الاستمرار في تجميع ومراكمة شحنة قوية من المانا. التنسيق الكامل بين هذه الإجراءات المتعددة يتطلب الكثير من التمرين والممارسة المستمرة.

تقنية التنفس التي استخدمها الكاهونا هي ذات طبيعة إيقاعية. أشاروا إلى هذه التقنية باسم "ها" Ha أو "طقس التنفس" ومعنى هذه الكلمة "أن تتنفس بشكل ثقيل" أو "التنفس بقوة". كما أنها تعني "نفس بطيء وعميق". يقومون بالتنفس داخلاً وخارجاً بشكل إيقاع رباعي، أي الشهيق ثم التوقف ثم الزفير ثم التوقف. ويتم ذلك عبر توقيتات معينة تختلف حسب الحالة أو الغاية من التمرين.

أبسط أنواع طقوس التنفس التي تهدف إلى التواصل مع النفس العليا هي تلك التي يجريها سكان هاواي عموماً خلال صلاتهم الجماعية. كان الأهالي يحضرون أنفسهم للصلاة بشكل حذر ومتأن. كان الكاهونا القابعين داخل المعبد يستغرقون ساعتين أو ثلاثة في التأمل في ما يريدون الصلاة من أجله. بينما الأهالي يقبعون في الخارج ويجمعون المانا عبر التنفس العميق (طقس ال"ها" الموصوف سابقاً)، وأخيراً يُعبر عن أمنياتهم بالكلمات المحكية وتكون موجّهة إلى مجموعة النفوس العليا لكل الحاضرين، طالبين أن تعمّ البركة كامل القبيلة أو المجموعة، وهذا الطلب يكون مُرفق مع حالة تصوّر ذهني.

عندما شاهد سكان هاواي كيف يصلّي البيض بشكل سطحي، أي دون تحضير مسبق ولا إجراء أي طقس للتنفس أو تعامل مع أي طاقة حيوية من أي نوع، هزوا رؤوسهم وقالوا: ".. هؤلاء الناس يقيمون صلاة غير قوية.. هؤلاء الناس لا يتنفسون..". فأطلقوا على البيض اسم "ها أولي" أي "الذين لا يتنفسون"، ومنذ حينها أصبح يُشار إلى السكان البيض في هاواي باسم "هاوليس" أو "هوليس". يبدو أنهم يستحقون هذه التسمية لأنهم يصلون دون إرسال طاقة المانا عبر طقس التنفس إلى النفس العليا.

النتائج التي يحصدها الكاهونا من هذا النوع من الصلاة لا تتوقف عند طلب البركة أو تحقيق الأمنية بل تذهب إلى أبعد الحدود، تتراوح بين إحداث ظواهر علاج عجيبية إلى خلق الأشياء من العدم أو حتى تغيير جوانب كثيرة من المستقبل الذي ينتظر الفرد. هذا النوع من الصلاة الخاصة هو من اختصاص الكاهونا أصلاً لأنها تتطلب المعرفة

الصحيحة والممارسة الصحيحة وهذين العاملين محفوظان بسريّة فائقة لدى الكاهونا. لكن في جميع الأحوال تعرفنا على فكرة أولية للمبدأ المُتبع في التواصل مع النفس العليا.

[٣]

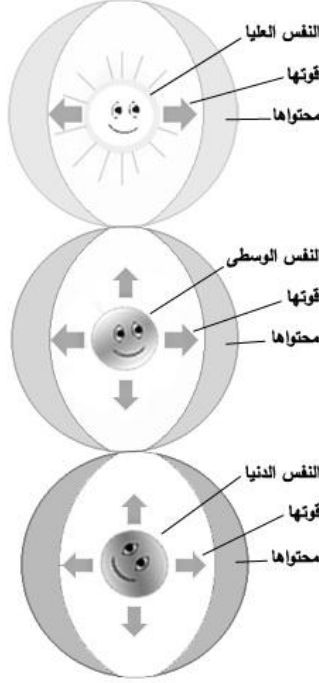
المحتويات الثلاثة

الـ"أكا" AKA المحتوى الذي تنشط ضمنه القوة المبدولة من قبل الوعي

كما سبق وذكرت، المنظومة السحرية للكاهونا (الحوزة) تركز على ثلاثة عناصر رئيسية لتحديد فعالية السحر وهي [١] عنصر الوعي الذي ينشط خلال أي عملية سحرية، [٢] القوة المبدولة من قبل عنصر الوعي، و[٣] المحتوى الخفي الذي تنشط ضمنه تلك القوة. عبر هذا العنصر الأخير تسري القوة الحيوية أثناء نشاطها. تعرفنا سابقاً على النفوس الثلاثة التي تتألف منها كينونة الإنسان، حيث كل نفس لديها وعيها الخاص أو نشاطها العقلي الخاص، وكل منها لديها درجتها الخاصة من القوة الحيوية. لكن إذا أضفنا إلى هذه التركيبة عنصر ثالث وهو المحتوى الأثيري الذي تختلف كثافته وطبيعته حسب مرتبة النفس أو درجة الوعي فسوف تكتمل الصورة بالنسبة لنا.

شبه الكاتب "لونج" وصف الكاهونا لعنصر المحتوى بتلك الفكرة التي يأخذ بها المذهب النيوسوفي والذي استعارها بدوره من الفلاسفة الهندية. تقول الفكرة بأنه يوجد ثلاثة أجسام طيفية مؤلفة من محتوى أثيري خفي، وهذه الأجسام الطيفية تخدم النفوس الثلاثة للإنسان كمركبات تتحرك أو تنشط بواسطتها. استخدم الكاهونا كلمة خاصة للإشارة إلى هذه الأجسام وهي "كينو أكا"، حيث "كينو" تعني جسم و"أكا" تعني طيف أو خيال. وعلموا أنه كل من نفوسنا الثلاثة لديها جسمها الطيفي الخاص بها. الجسم الطيفي للنفس الدنيا هو الأكثر كثافة بينما الجسم الطيفي للنفس العليا هو الأقل كثافة. هناك معنى آخر لكلمة "أكا" وهو الامتداد المضيء للجسم أو الهالة الضوئية المحيطة بالقمر أو الشمس. هذا المعنى الأخير يوضح لنا الفكرة جيداً بخصوص المحتوى الأثيري الذي

نتحدث عنه. هو الجسم الطيفي الذي يكسو كل من النفوس الثلاثة أو مستويات الوعي الثلاثة وتستخدمها هذه النفوس كمركبات لتتقلتها ونشاطاتها المختلفة.



النفوس الثلاثة وقواها ومحتوياتها وفقاً لشرح "لونغ"

وفقاً لما يشرح الكاتب "لونغ"، الأجسام الطيفية لكل من العقل الواعي والعقل الباطن (أو النفس الوسطى والنفس الدنيا) تختلط ببعضها داخل الجسد بحيث تتخللانه بشكل كامل. لكن الجسم الطيفي للنفس الدنيا هو الأكثر كثافة أي الأقرب للمستوى المادي وبالتالي هو الذي له السلطة العليا في الجسم وكامل وظائفه وأعضائه، فهي تتشكل القالب الأولي لكل شيء في الجسد حتى أصغر خلية. أما النفس العليا (الوعي الخارق) فهي تقبع خارج الجسد المادي لكنها تتميز بقوتها الهائلة وجسمها الطيفي ذو طبيعة نورانية. وفقاً لتعاليم الكاهونا، ما يسمونه "النور الحقيقي" الذي يتعلق بالنفس العليا هو الأساس، والتعامل معه يمثل المعرفة السرية التي يحوزونها ويحرسونها بعناية.

.....

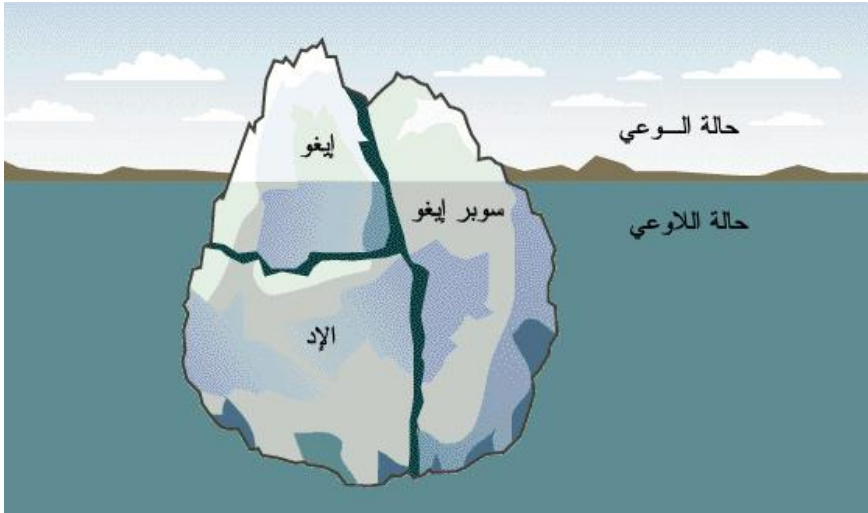
ملاحظات حول التقسيم الثلاثي للكاتب لونغ

رغم أن الكاتب "لونج" له الفضل في كشف الحوزة التي مارسها الكاهونا في هاواي وساهم في شهرتها حول العالم إلا أنه تعرض للكثير من الانتقاد خصوصاً فيما يتعلق بموضوع النفوس الثلاثة وهي طريقة خاطئة لشرح أقسام الكينونة البشرية وفقاً لمنهج الحوزة الحقيقية. والأمر الآخر هو أن لونغ خلط بشكل واضح بين الكاهونا الحكماء الذين هم الأصليين والكاهونا المشعوذين الذين ازدهروا في الجزيرة أيضاً لكنهم يفتقدون للحكمة والروحانية والتعاليم الأصيلة. وهذا أدى إلى تعرضه للكثير من الانتقادات من قبل الكثير من الكتاب والمفكرين من سكان هاواي الأصليين والذين اجتهدوا إلى التمييز بين الحكماء الروحيين والمشعوذين الدنيويين. لكن المهم أن كلا الطرفين أجمع على حقيقة واحدة: أن تلك القوة السحرية التي يولدها الكاهونا في ممارساتهم هي حقيقية ولها تأثير مرئي وملمس، وهذا الذي يفيدنا في هذا الكتاب، أي التعرف على الطريقة التي تتولد فيها هذه القوة العقلية/الحيوية وما علاقتها بتكوين المنظومة العقلية أو تركيبية الكيان البشري. أما الفرق بين الكاهونا الروحيين والمشعوذين فسوف نستنتجه لاحقاً.

أما بخصوص الطريقة التي اتبعتها لونغ في تقسيم الكيان البشري إلى ثلاثة أقسام رئيسية، فكانت خاطئة بكل تأكيد، وليس هذا فحسب، بل أحدث خلط كبير في تعريف تلك الأقسام الثلاثة. يبدو أن لونغ اتبع طريقة متوافقة مع المفهوم السائد في أيامه والذي يتبع نموذج ثلاثي في تقسيم العقل أو الكيان البشري عموماً. هذا المنهج كان مُتبع من قبل كافة المذاهب الفكرية التي سادت في بدايات القرن العشرين، مثل المذهب الثيوسوفي Theosophy وكذلك مذهب "الجيل الجديد" New Age وبالإضافة إلى مذهب فرويد الذي كان في بدايات حضوره في العالم الأكاديمي. كل من هذه الأفكار السائدة في أيام لونغ تحدثت عن ثلاثة أقسام العقل أو الكيان البشري رغم أنها تختلف في تعريفاتها لكل من هذه الأقسام الثلاثة. المذهب الثيوسوفي وكذلك الجيل الجديد تحدثا عن النفوس الثلاثة: النفس العليا، النفس الوسطى، والنفس الدنيا. أما طريقة فرويد في تقسيم العقل فيمكن التعرف عليها باختصار من خلال الموضوع التالي:

أقسام العقل وفق مفاهيم أكاديمية

شبه علماء النفس العقل بجبل من الجليد الذي يطوف على مياه المحيط، القسم الظاهر فوق سطح الماء هو "الوعي" Consciousness، وهو ضئيل جداً بالمقارنة مع ما هو مغمور تحت سطح الماء، ويعمل هذا القسم على التزوّد بالمعلومات المختلفة من البيئة المحيطة (فوق الماء). أما القسم الخفي المغمور تحت الماء، فهو هائل جداً بالمقارنة مع ما هو ظاهر فوق السطح، وهو الذي نسميه "اللاوعي" Unconscious. أول من استخدم تشبيه الجبل الجليدي كان عالم النفس "سيغموند فرويد" Sigmund Freud خلال وصفه لأقسام العقل في نظرية "التحليل النفسي" psychoanalysis التي صاغها في بدايات القرن العشرين. قسّم فرويد العقل إلى منطقتين، مشبهاً إياه بجبل جليدي يطوف فوق مياه البحر، وما ظهر فوق السطح هو "الوعي" وما خفي تحت السطح هو "اللاوعي". بالإضافة إلى هذا التقسيم الثنائي للكيان العقلي، أجرى "فرويد" تقسيماً آخر له حيث قسّمه إلى ثلاثة أقسام أساسية: "الإد" id (الهو أو الهذا)، "الإيغو" ego (الأنا)، و"السوبر إيغو" superego (الأنا العليا).



أقسام العقل كما شرحها فرويد وفق مثال الجبل الجليدي

وفقاً لنظرية "فرويد" للتحليل النفسي الذي صاغ قواعده، "الأنا" ego تمثل القسم من النفس الذي يعبر عن ذات الفرد. إنها القسم المسؤول عن الذاكرة والتخطيط والتقييم، وبمعنى آخر، هي التي تستجيب للأفعال الحاصلة في العالم المحيط بالفرد. أما "الـإد" id، فهو مصدر الدوافع الغريزية مثل الجنس والاعتداء وكذلك الحاجات الأولية الموجودة عند الولادة. هذا القسم غير عقلاني إطلاقاً، ويعمل وفقاً لمبدأ "الأم . اللذة"، ساعياً إلى إرضاء فوري لدوافعه ونوازه غير العقلانية متما سنحت الفرصة. نشاطاته تكون غير واعية تماماً لدى البالغين، لكنه يوفّر الطاقة الضرورية للحالة العقلية الواعية. أما "الأنا العليا" superego، فتمثل المكوّن الأخلاقي للشخصية، وهو الذي يوفّر المعايير الأخلاقية التي تعمل وفقها "الأنا". هذا القسم يتشكّل خلال السنوات الخمس الأولى من حياة الفرد، وذلك نتيجة الخضوع لتربية الوالدين المستتدة أصلاً على نظام المكافأة والعقاب. مع هذه الطريقة في التنشئة، يستهلم الأطفال "المعايير الأخلاقية" لوالديهم بالإضافة إلى تلك السائدة في البيئة الاجتماعية التي نشأ وسطها، وبالتالي تخدم "الأنا العليا" التي تتطور لديه في ضبط الدوافع العدوانية أو تلك الممقوتة اجتماعياً. وأن أي انتهاك للمعايير التي نشأت عليها "الأنا العليا" يؤدي إلى بروز شعور بالذنب أو القلق.

قال فرويد إنّ الأمراض النفسية هي نتيجة الصّراع بين الرّغبات المكبوتة في اللاوعي والقوى الكابتة، ومكانها هو بين العقلين الواعي واللاوعي. وبناء على هذا كان هدف العلاج النفسي الذي صاغه هو الكشف عن التوترات الموجودة في الدافع الغريزي للـ"إد"، وإدراكات الـ"إيغو" وسلوكه، والرقابة الأخلاقية التي يفرضها الـ"سوبر إيغو".

هذا التعريف العلمي السابق لأقسام العقل يختلف كلياً عن التعريف الذي استخدمه القدماء بخصوص الكيان العقلي بقسميه الواعي واللاوعي. لقد تجاهل هذا التعريف كلياً ذلك الكيان العقلي العظيم الذي يقبع في الجانب الباطني والمسؤول عن الكثير من الظواهر العقلية غير المألوفة والتي لم يعد مجدياً نكرانها لأنها خضعت للكثير من الأبحاث العلمية العصرية. فيما يلي أقسام العقل حسبما وصفتها في أجزاء سابقة:

الأقسام الرئيسية للعقل

كما وصفتها في هذه السلسلة من الكتب

الطريقة التي اتبعتها لتقسيم العقل في هذه السلسلة من الكتب هي كما يلي، وقد اتبعتها لكي أجعل الموضوع سهل الاستيعاب بالنسبة للقارئ. أما بعد الاطلاع على المزيد من المعلومات عبر توالي الأجزاء سوف نعتمد على طريقة مختلفة في تقسيم المنظومة العقلية للإنسان.



أقسام العقل حسبما وصفتها في أجزاء سابقة

بشكل عام، هناك ثلاثة مستويات مألوفة ويتم الحديث عنها دائماً: الوعي conscious، اللاوعي unconscious، والوعي الخارق super-conscious. [١] "العقل الواعي" يحكم التصرفات الإرادية التي يقوم بها الفرد خلال حالة الصحة العادية، مثل الأكل،

الكلام، المشي، الكتابة.. إلى آخره. وهذا القسم من العقل يشمل أيضاً "العقل الباطن" subconscious الذي هو مسؤول عن الاستجابات التلقائية أو الأوتوماتيكية المتعلقة بشؤون الحياة الدنيوية والتي تم برمجته عليها منذ الطفولة. كما أنه يمثل صلة الوصل بين العقل الواعي والعقل اللاواعي (مع أنه غالباً ما يتم الخلط بينهما). [٢] "العقل اللاواعي" يحكم الحركات والوظائف اللاإرادية في الجسم، مثل التنفس، ضربات القلب،.. إلى آخره. [٣] "الوعي الخارق"، والمُشار إليه عموماً باسم "النفس العليا"، أو "العقل الفضائي الباطني"، وهذا القسم من العقل هو متجاوز للمكان والزمان وكذلك هو مصدر تلك القوة الخفية التي نسميها سحر والمسؤولة عن كافة القدرات العقلية الخارقة.

هذا التقسيم السابق للمنظومة العقلية لم يستبعد ذلك القسم العقلي الخفي الذي هو مسؤول عن كافة الظواهر العقلية غير العادية (العقل الفضائي الباطني)، لكن مع ذلك فهذا التقسيم هو تقسيم نظري ولا يمثل التقسيم الواقعي والفعلي لكيان الإنسان.

قبل السير قدماً نحو التعرف على التكوين الفعلي للمنظومة العقلية البشرية، علينا أولاً التعرف على مكامن الخطأ في طريقة تقسيم لونغ والذي، كما رأينا، هو تقسيم ثلاثي. فيما يلي بعض الجدليات المتعلقة بجوانب كثيرة من هذا التقسيم وبعدها سنخرج بالتقييم النهائي.

جدلية بخصوص العقل الواعي والنفس الوسطى

في طريقة شرح لونغ للتقسيم الثلاثي

خلال شرح لونغ للتقسيم الثلاثي للكيان البشري ساوى بين العقل الواعي والنفس الوسطى مع أن الفرق بينهما كبير جداً. إن ما يقصده العلم الحديث بالعقل الواعي هو حالة الصحة التي نختبرها في حياتنا اليومية. وحالة الصحة هذه لا تمثل النفس الوسطى وفق المفهوم القديم بل الصحة هي تلك الحالة الجزئية من الوعي والمرتبطة بالجسد والمحكومة تماماً بالغرائز والعواطف والمغريات والدوافع المختلفة. بينما وفق المفاهيم القديمة، حالة الوعي الحقيقية (التي تمثلها النفس الوسطى) هي تلك التي يكتسبها المرید

بعد خوض مرحلة طويلة من التدريبات الصارمة. هذه الحالة تشبه تماماً تلك العملية المذكورة في الجزء السابق والتي يخوضها المريد لتجلي المخلص في كيانه لكنها تختلف من حيث الجودة والمرتبة. لو أن الأمر بسيطاً كما ذكره "لونغ" بخصوص النفس الوسطى لكان أي شخص استطاع توليد تلك القوى السحرية حسبما ما شاء ومتما رغب، لكن يبدو أن الأمر أكثر تعقيداً من ذلك. أي بمعنى آخر، لو أن تحضير الذات للتعامل مع هذه القوة الخارقة هي سهلة كما وصفها "لونغ" في كتابه، أي جعل النفس الوسطى تمثل حالة الصحة، لما اجتهد الكاهونا القدماء إلى وضع منهج كامل متكامل بحيث يستغرق الفرد في التدريب سنوات طويلة قبل أن يتخرج ساحراً متمكناً. وكان استطاع كل من قرأ كتب "لونغ" أن يستنهضوا قدراتهم الخارقة دون أي صعوبة رغم أننا لم نسمع عن هكذا أشخاص حتى الآن. لهذا السبب لا بد من وجود قطبة مخفية في هذه المسألة والتي غفل عنها السيد "لونغ" خلال شرحه للحوزة.

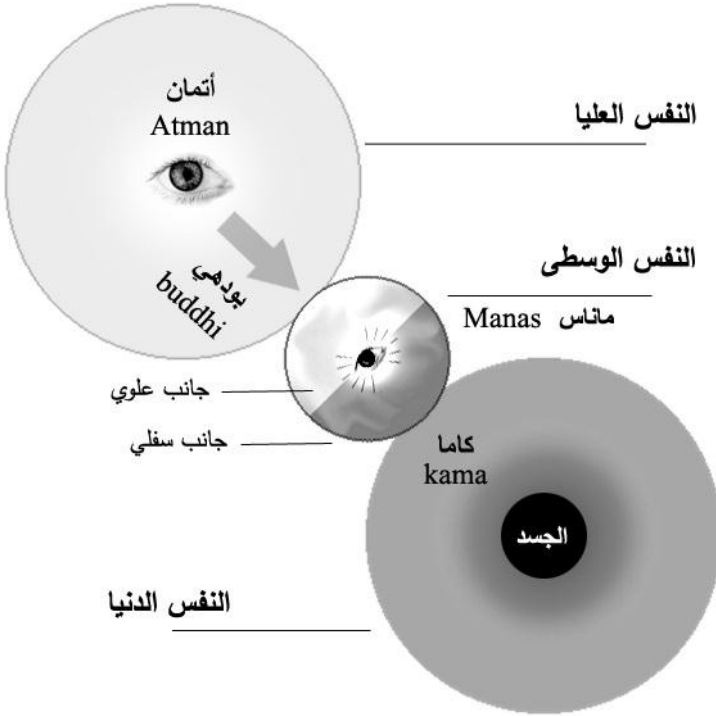
القطبة المخفية تتمثل في أن كياننا مؤلف من أربعة أقسام وليس ثلاثة، وهذا ما غفل عنه معظم الباحثين خلال تناولهم التعاليم السرية بمختلف مناهجها حول العالم، بما فيهم لونغ الذي تناول دراسة الحوزة في هاواي. وقد جادل أحد الكتاب المحليين في هاواي بأن "لونغ" غفل عن الكثير من العناصر الأساسية خلال شرح "الحوزة" لكن أهمها هو ذلك القسم الذي تجاهله "لونغ" تماماً خلال الحديث عن أقسام الكيان البشري وفقاً لمنهج الحوزة الذي اتبعه الكاهونا.

الأقسام الثلاثة التي ذكرها "لونغ" وبنى عليها منهجه الخاص (ذو الطابع الغربي) الذي زعم بأنه يمثل تعاليم "الحوزة" الفعلية، هي التالية: [١] "أوماكوا" Aumakua (النفس العليا)، [٢] "أوهاني" U-ha-ne (النفس الوسطى)، [٣] "أونيبييلي" U-ni-hi-pi-li (النفس الدنيا). إذا نظرت إلى بداية كل من الكلمات الممثلة لهذه الأقسام الثلاثة سوف تلاحظ أنها تبدأ جميعاً باللفظ الصوتي "أ.. أو..". ويمثلها الحرف U أو الحرفين Au. وفقاً للباحثين المحليين في هاواي، فإن هذا اللفظ الصوتي يمثل اسم قائم بذاته ويُستخدم للإشارة إلى قسم رابع في كيان الإنسان وهو القسم المهم الذي تتمحور حوله الحوزة أصلاً. وهو الذي يمثل النفس الوسطى وليس ذلك القسم الذي يُسمى "أوهاني".

أما معنى هذه الكلمة (أي "أو" Au) فهو "أنا" أو "ذات" أو "نفس" أو "لي" أو "تبعي" المهم أنها تمثل الشخص المعني في الكلام. وإذا سبقها لفظ "تا" Na بحيث أصبحت "تا أو" Na'au، فتعني "تفكير" أو "أمعاء"، أي كأنها تقول حالة وعي في الأمعاء. ومن المثير تذكر حقيقة أن موقع الأمعاء في الجسم قريب من موقع الصفيرة الشمسية وهي إحدى الشاكرات السبعة الرئيسية وفق مفهوم اليوغا. لكن ليس اليوغا فقط تهتم بهذه المنطقة في الجسم بصفتها منطقة مهمة لتوليد القوة التجاوزية، يوجد العديد من المناهج الشرقية الأخرى مثل "تا يشي شوان" Tai Chi Chuan و"أكي دو" Aikido و"جودو" Judo التي تهتم جميعاً في تطوير واستثمار الوعي الذاتي الكامن داخل هذا القسم من الجسم (البطن) وهذه العملية تعتبر جوهرية في احتراف ممارسة هذه الفنون القتالية. الهدف هو الاعتماد على الوعي الكامن في هذه المنطقة من الجسم مع تجاهل كامل للوعي الكامن في الرأس. عندما يتم تحقيق هذه الحالة سوف يتمكن بعدها الممارس أن يستعرض حركات جسدية أكثر رشاقة وقوة وكياسة.

في تعاليم الفلسفة الهندوسية نجد المصطلح السنسكريتي "ماناس" Manas الذي يمثل مركز التفكير أو كامل الإجراءات الفكرية عموماً، كما يمثل مركز الأنا، والشخصية الإنسانية، لكنه بنفس الوقت يمثل الجوهر الخالد الذي يبقى صامداً عبر توالي الحيات المختلفة التي يتجلى فيها الفرد في العالم المادي، هذه السمات والخصائص المنسوبة لهذا الكيان (ماناس) قد تبدو متناقضة لكنها ليست كذلك في الحقيقة. عندما يتجسد يكون "ماناس" مزدوج الجوانب، أي يصبح مقسوم إلى قسمين: القسم العلوي يجذب نحو الجانب العلوي من الكيان والذي يمثله "بودهي" buddhi أي "الحكمة الإلهية" وفق التعاليم الهندوسية، أما القسم السفلي من "ماناس" فينجذب نحو القسم الدنيوي من الكيان والذي يمثله "كاما" kama أي الجانب الحيواني المحكوم بالرغبات الدنيوية. تقول النصوص أن الجانب العلوي من ماناس تحكمه الشمس بينما الجانب السفلي يحكمه القمر. وهنا يكمن السر العظيم الذي يفصل بين المرید الذي يبحث عن الحقيقة والارتقاء وبين الإنسان الدنيوي المنغمس بالملذات والغرائز. بين الإنسان الإلهي والإنسان الحيواني. أما في هذا الزمن فلازال "ماناس" غير منطور في الإنسان بحيث لازال القسم الدنيوي منه هو الظاهر والنشط بينما القسم العلوي مستتراً مكتوباً مقموراً وينتظر فرصته

للتجلي.. هذا هو المخلص وفق الفلسفة الهندوسية. لكن إذا عدنا إلى جدلية النفوس الثلاثة فسوف نجد أن الفلسفة الهندية تقول بأن النفس الوسطى مقسومة إلى قسمين: قسم علوي يتناغم مع النفس العليا، وقسم سفلي يتناغم مع النفس الدنيا، وبالتالي فإن الكاتب "لونغ" خلط بين الاثنين في شروحاته وهنا يكمن الخطأ الكبير الذي اقترفه. الجانب العلوي من النفس الوسطى هو المسؤول عن تجلي المعجزات التي يصنعها الكاهونا بينما القسم الدنيوي لا يستطيع عمل شيء. وبالتالي لكي ينشط هذا القسم العلوي من النفس الوسطى يتطلب الأمر الكثير من الجهد والتدريبات الصارمة.



وفقاً للفلسفة الهندوسية، النفس الوسطى (ماناس) مقسومة إلى قسمين: قسم علوي يتناغم مع النفس العليا، وقسم سفلي يتناغم مع النفس الدنيا

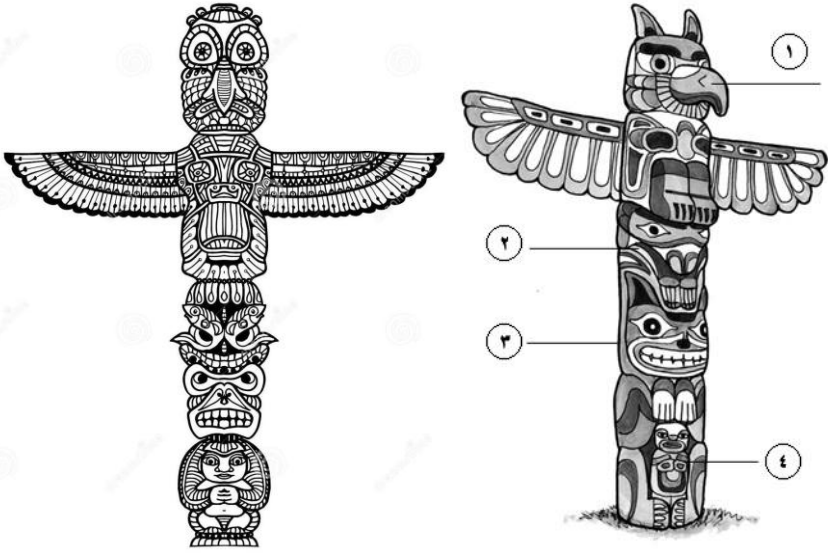
إذاً، هذا القسم الجديد في المنظومة العقلية هو الذي يمثل النفس الوسطى وليس القسم الصافي الذي نألفه والذي جعله الكاتب "لونغ" ممثلاً للنفس الوسطى. لكي نميّز هذا

القسم الجديد عن الوعي العادي سوف نسميه "الوعي السحري" وهذا الوعي يتطلب الكثير من الجهد والتدريب لإيقاظه من سباته الطويل. يمكن توضيح الفرق بين التقسيم الثلاثي للكاتب لونغ والتقسيم الرباعي للحوزة من خلال المقارنة المبينة في الشكل التالي:

<p>التقسيم الرباعي لدى كافة التعاليم السحرية حول العالم، حيث يبدو أنه هناك وعي رابع لكنه خفي ومقموع في الحالة العادية</p>	<p>التقسيم الثلاثي للكاتب لونغ، حيث جعل حالة الوعي العادية، أي الصحوة، هي التي تمثل النفس الوسطى</p>

لهذا السبب، عندما ننظر إلى شروحات الكاتب لونغ بخصوص الحوزة وتعاليمها نجد أن كلامه صحيح لكن مفهومه لهذا الكلام الصحيح هو خاطئ، حيث يبدو أنه لم يستوعب تلك الشروحات المتعلقة بالتقسيمات المختلفة للكينونة البشرية. عندما نتحدث التعاليم عن النفس الوسطى فتكون صحيحة في شروحاتها لكن الخطأ الذي اقترفه "لونغ" هو اعتبار النفس الوسطى بأنها هي ذاتها القسم الواعي من العقل أي حالة الصحوة التي نألفها في حياتنا اليومية، وهذا خاطئ تماماً، حيث يوجد وعي رابع مسؤول عن صناعة الظواهر السحرية لكنه في الحالة العادية يكون خفي ومقموع ونائم وبالتالي من أجل إيقاظه وتنشيطه وجب خوض تدريبات خاصة.

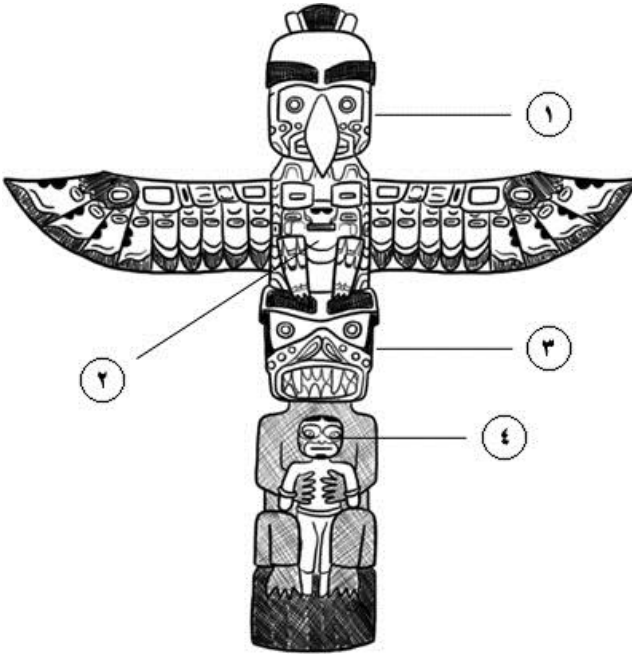
يمكننا ملاحظة هذا التقسيم الرباعي في كل ثقافة قديمة حول العالم، في التعاليم المكتوبة والمحكية وحتى في الفنون الدينية، إن كانت رسومات جدارية أو منحوتات وتمائيل. أشهر هذه النماذج الفنية هي تلك العواميد التي تُسمى الطوطم Totem والمنتشرة بين قبائل سيبيريا وأمريكا الشمالية وكذلك في جزر بولينيزيا وهاواي من ضمنها، نجد أنها مؤلفة من أربعة كيانات وليس ثلاثة.



كما نلاحظ في الشكل السابق، يتألف الطوطم من أربعة كيانات منفصلة، لكن هناك كيان يصعب ملاحظته مباشرة (الصورة على اليسار) حيث أنت بحاجة إلى التدقيق جيداً قبل إدراكه وتمييزه، وهو الذي يمثل النفس الوسطى. الصورة على اليمين توضح الأمر جيداً، حيث تم ترقيم الكيانات الأربعة. الكيان الذي في الأعلى يمثل النفس العليا (١)، ويبدو أن له جناحان وهذا يجعله مميزاً عن باقي الكيانات حيث يرمز إلى قدسيته وتجاوزيته ومرتبته السامية. أما الكيان الذي يصعب إدراكه من النظرة الأولى فهو الذي يمثل النفس الوسطى (٢)، وتحت مباشرة نجد النفس الدنيا (٣) ويبدو واضحاً أن هذه النفس الدنيا تحضن كيان رابع يمثل الجسد (٤) لكنه يمثل أيضاً حالة الصحوّة أو الوعي العادي الذي نألفه في حياتنا اليومية.



كما نلاحظ في الصورة، بعض عواميد الطوتم تحتاج للتدقيق قبل إدراك ذلك القسم الخفي ولهذا السبب تبدو أنها تتألف من ثلاثة كيانات فقط، لكن إذا دقت النظر جيداً سوف تجد أن ذلك القسم المخفي يقبع في صدر الكائن الأعلى. هذا هو القسم الذي يمثل النفس الوسطى...أو الوعي السحري كما سميته سابقاً. لكن حالة الإخفاء هذه مقصودة من قبل مصممي الطوتم بحيث ترمز إلى أن هذا القسم في كيانتنا ليس ظاهراً في حالة الوعي العادية وبالتالي هو بحاجة إلى تدريبات خاصة لإظهاره أو إيقاظه من سباته. الشكل التالي يوضح موقع الكيان الخفي في الصورة السابقة:



كما هو مبين في الشكل، الكيان الذي في الأعلى يمثل النفس العليا (١)، والكيان الخفي الذي يصعب ملاحظته يقع في صدر الكيان الأعلى (٢) ولهذه الوضعية رمزية مهمة تشير إلى انتماء النفس الوسطى إلى هذا القسم العلوي الجليل. أما النفس الدنيا (٣) فهي واضحة، أما الوعي العادي الذي نألفه فقد ربطوه بالجسد المادي (٤) وطريقة إظهاره في الطوطم يوحي إلى أنه يمثل القسم الأقل شأنًا في كيان الإنسان.

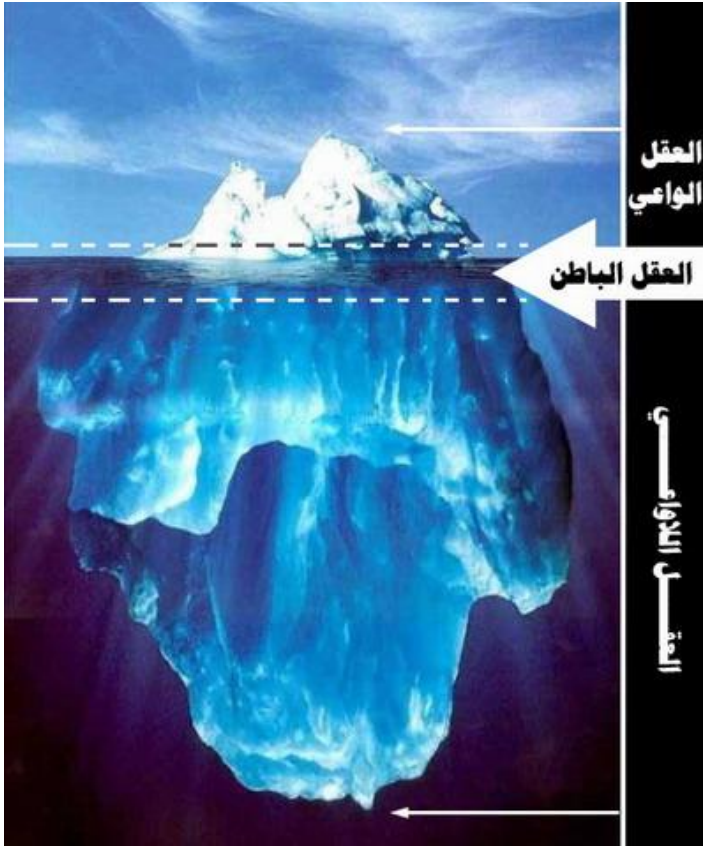
- الوعي الخارق النفس العليا
- الوعي السحري النفس الوسطى
- اللاوعي النفس الدنيا
- الوعي/الصحة الجسد

وفقاً لنموذج التقسيم الرباعي الذي استخدمته سابقاً، نجد أن التقسيم الذي يوحي إليه الطوطم للكيان البشري يختلف كلياً، أي جعلوا الوعي العادي أو الصحة في القسم السفلي المادي/الجسدي من الكيان، بينما الوعي الخفي (السحري) جعلوه يمثل النفس الوسطى.

جدلية بخصوص اللاوعي والنفس الدنيا

في طريقة شرح لونغ للتقسيم الثلاثي

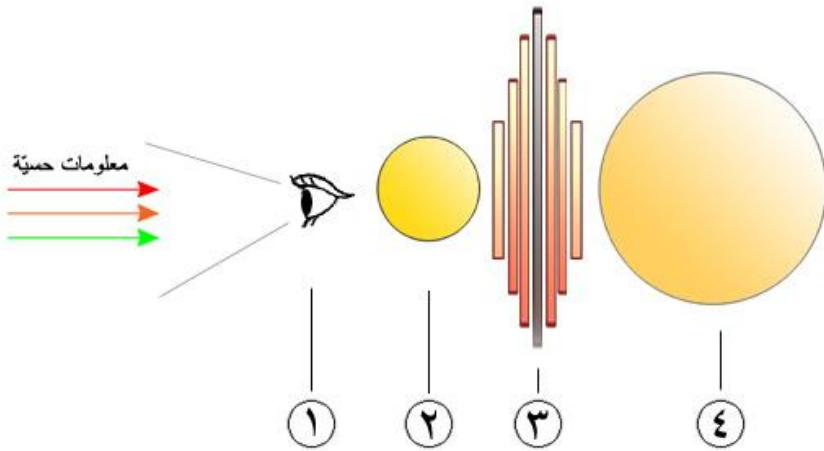
أما اللاوعي الذي نتحدث عنها المفاهيم العصرية فهو ذلك الكيان الخفي الذي هو مسؤول عن كافة المجريات الذهنية الخفية في كياننا الفكري وكذلك المجريات البيولوجية غير الإرادية في كياننا الجسدي. أما بالنسبة للقدماء فهذا القسم الخفي من عقلنا يمثل امتداد طويل من الأجزاء والأقسام والمراتب المختلفة ولكل من هذه المراتب أو الكيانات العقلية المنفصلة خصائصه وسماته ووظيفته وشخصيته الخاصة به.



تتألف المنظومة العقلية وفق المفاهيم العصرية من قسمين: واعي ولاواعي ويفصل بينهما حيز رفيع يُسمى العقل الباطن

كما نلاحظ في الشكل السابق، "العقل الباطن" هو ذلك القسم الموجود تحت عتبة الوعي مباشرة، أو ذلك التفكير الخفي الذي يقع تحت مستوى التفكير الواعي. يبدو "العقل الباطن" في الشكل السابق بأنه عبارة عن مقطع رقيق يفصل بين القسم المغمور من الجبل والقسم الظاهر منه، أي يمثل الطبقة الرقيقة بين المياه الدافئة المعرضة للشمس والمياه العميقة الباردة التي لا يطلها نور الشمس أبداً. هذه هي النفس الدنيا التي تحدث عنها "لونغ" والتي سماها "أونيبييلي"، لكنه لم يقصد هذا القسم الذي بينته في الصورة بل قصد اللاوعي وهنا تكمن المسألة المربكة.

يمكن توضيح مفهومنا الجديد لأقسام العقل من خلال الشكل التالي:



المنظومة العقلية للإنسان وفق المفاهيم العصرية

وهي مؤلفة من: [١] الحواس الجسدية (منافذ الوعي)، [٢] العقل الواعي، [٣] العقل الباطن أو الحاجز الحرج، [٤] العقل اللاوعي.

العقل الواعي يستمدّ معظم معلوماته من البيئة المحيطة، ويتواصل معها عن طريق الحواس المألوفة (البصر، السمع، اللمس، الشم، الذوق... إلى آخره). الإدراك الواعي يعكس لنا البيئة الخارجية، ثم يقوم جهازنا الفكري بتحليل المعلومات التي جمعها ومن ثم

يخرج بقرارات مناسبة بناءً على ما أدركناه. وكل فرد منا يقوم بتحليل الأشياء ويتعامل معها وفقاً للمنطق أو النظرة الخاصة التي نشأ عليها وقيّم الأمور من خلال تجربته الشخصية في الحياة. كل هذه الإجراءات يقوم بها العقل الواعي. باختصار نقول: العقل الواعي يعمل على عقلنة (أو منطقة) الإدراكات الحسية التي يستقبلها، أي يعمل على تصفيتها وفقاً لما يراه على أنه عقلائي ومنطقي.

العقل الباطن

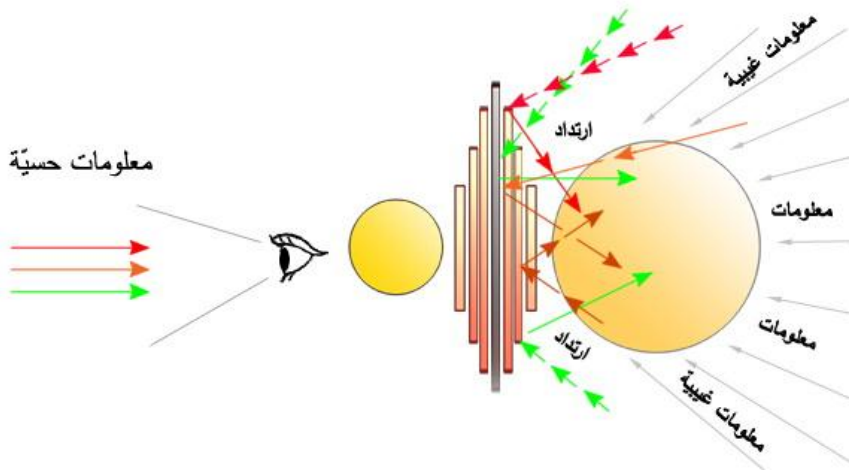
للعقل قسم خفي أسماه علماء النفس بالعقل الباطن. يُقصد بالعقل الباطن ذلك القسم الموجود تحت عتبة الوعي مباشرة. أو ذلك التفكير الخفي الذي يقع تحت مستوى التفكير الواعي. هو مخزون تجاربنا اليومية التي تتكرر يومياً، وهو المسؤول أيضاً عن الأفعال اللاإرادية (الأوتوماتيكية). يعمل العقل الباطن وظيفته الرقيب، أي مراقبة جميع تصرفاتنا وسلوكنا والتدخل أثناء الخروج عن حدود هذه التصرفات. (العقل الباطن لا يفرق بين الصح والخطأ، بل هو يعمل على أساس المعلومات التي خزنت فيه منذ الطفولة أثناء الخضوع لعملية التربية التي تختلف من شخص لآخر، فهو يعتمد على البرنامج الذي زوّد به منذ الطفولة. التصرفات الصحيحة بالنسبة له هي تلك التي نشأ عليها الفرد مقتنعاً بأنها صحيحة). فيتحول مع الوقت إلى رقيب يمنع الأفكار غير المألوفة من الدخول إلى مخزونه ألمعلوماتي الذي يستقبل ويخترن فقط الأفكار المتوافقة مع البرنامج المنطقي الذي نشأ عليه. فبالتالي لا يمكن أن نستوعب فكرة معينة أو نعالجها ذهنياً إلا إذا توافقت مع ما هو مبرمج مسبقاً في عقلنا الباطن. فهناك حاجز غير ملموس في ذهننا يسمونه "حاجز العقل" أو "العقلية الناقدة" أو "الحاجز الحرج" Critical Faculty ولا يمكن للأفكار الجديدة أن تخترقه بسهولة، وفي الحقيقة هو ذاته الكيان العقلي الذي نسميه العقل الباطن.

عندما يولد الطفل، يكون هذا "الحاجز الحرج" غير موجود تقريباً، فيقوم الطفل خلال نموه مع الأيام بامتصاص جميع الانطباعات والمعلومات المحيطة به كقطعة الإسفنج، كلّ شيء يكون مقبولاً لديه، فيسجله العقل الباطن، وهذا هو السبب الذي يُمكن الطفل من تعلّم كل ما استحوذ على اهتمامه بسرعة وسهولة كبيرة. لكن خلال خوض هؤلاء

الأطفال في مرحلة التعلّم، واستيعاب المعلومات المختلفة من محيطهم، يكون "الحاجز" الذي تكلمنا عنه في حالة نمو تلقائي. وفي سنّ السابعة تقريباً يكون هذا الحاجز قد اكتمل نموّه، فبينما يُكَمِّل الطفل بعدها مسيرته في التعلّم والتعرّض لكميَّات كبيرة من المعلومات والمفاهيم والعادات وغيرها، يبدأ حينها بعملية التّصفية، أي يتقبّل منها فقط المفاهيم والمعلومات التي سبق وتقبّلها قبل اكتمال "الحاجز الحرج"، أما المعلومات الأخرى فيرفضها تماماً. كل هذه الإجراءات تحل بشكل لاإرادي بحيث لم ننتبه له أبداً.

تختلف طريقة عمل العقل الواعي عن العقل الباطن، فالعقل الواعي يعتمد على المنطق والتفكير الموضوعي الذي نشأ عليه الفرد ضمن بيئته الاجتماعية، والإدراك المحصور ضمن حدود الحواس الخمس. أمّا العقل الباطن، فتفكيره غير موضوعي ولا يعتمد فقط على المعلومات القادمة من العقل الواعي، بل يعتمد على معلومات خفية لا يمكن للعقل الواعي إدراكها، ويتجاوب لها حسب الحالة. سبب ذلك يعود إلى أن العقل الباطن يشبه المرأة ذات وجهين، الوجه الذي من ناحية العقل الواعي يتصرّف حسبما يمليه العقل الواعي والبرنامج (المنطق المألوف) الذي نشأ عليه. بينما الوجه الذي من ناحية العقل اللاواعي يتصرّف حسبما يمليه العقل اللاواعي وما يوفره من معلومات خفية (إدراكات خفية) لكنه يبقى مكتوباً تحت عتبة الوعي، وأحياناً تتسرّب بعض التصرفات اللاإرادية المتجاوبة مع ما يأتي من القسم اللاواعي كالتصرفات اللاواعية المتجاوبة مع معلومات غيبية، مثل خروج الشخص من مكان ما وفي الوقت المناسب قبل أن يتعرّض لانفجار يؤدي بحياة كل من كان في ذلك الموقع... من أوحى له بالخروج قبل أن يحصل هذا الحدث المأساوي؟! يوجد الكثير من الروايات التي تتحدث عن أشخاص امتنعوا لسبب ما عن صعود الطائرة أو السفينة وقرروا تأجيل سفرهم ويسمعون لاحقاً بأن كارثة ما أصابت الطائرة أو السفينة. هذا الحدس الذي راود هؤلاء الأشخاص المحظوظين هو عبارة عن معلومات متجاوزة للزمن والتي تسربت من اللاوعي عبر العقل الباطن.

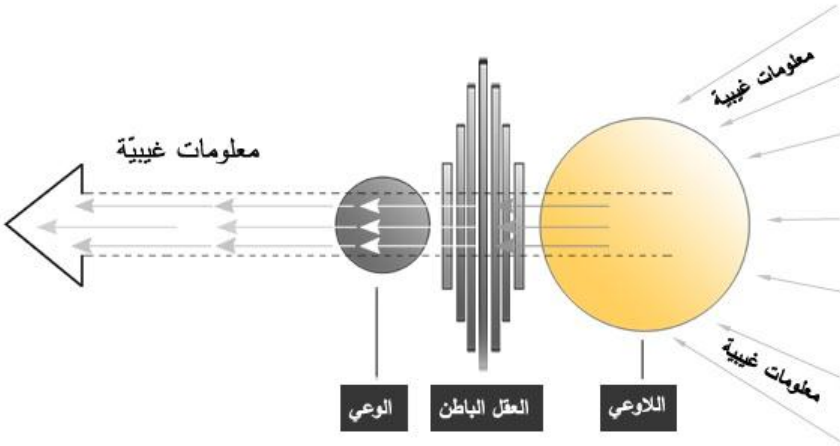
السبب الذي يمنع حصول أي تواصل بين العقلين الواعي واللاواعي هو نمو الحاجز الحرج وسط وجهي العقل الباطن، وهذا يؤدي إلى نمو رقيب يصفّي المعلومات المارة في كلا الاتجاهين. كما هو معبر عنه في الصورة التالية:



في الوقت الذي يظن فيه الفرد بأنه يعتمد كلياً على مصدر واحد من المعلومات، وهي المعلومات القادمة عبر منافذ الوعي (الحواس التقليدية)، إلا أنه في الحقيقة هناك مصدر أكثر عظمة للمعلومات، وهي تلك القادمة عبر اللاوعي، وسبب جهله بها هو تعرضها للتصفية المستمرة من قبل الحاجز الحرج (العقل الباطن) الذي نشأ على عدم التعامل معها أو التجاوب لها فيتجاهلها كلياً.

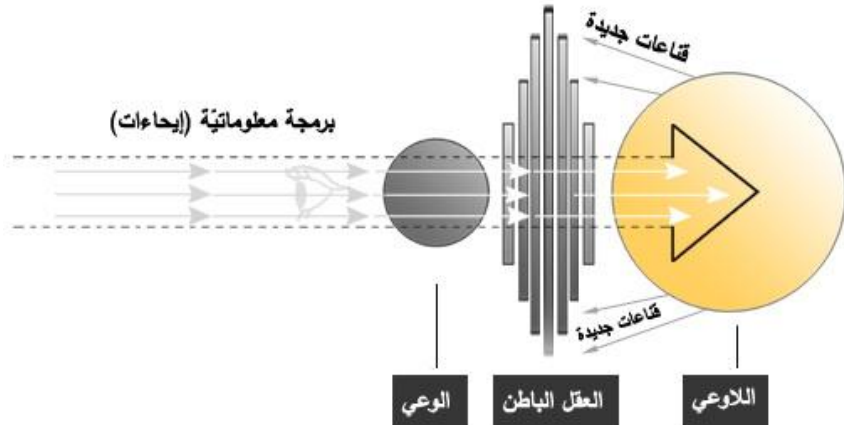
"المعلومات الغيبية" الواردة في الصورة السابقة (الداخلة من اللاوعي) هي الإدراكات الخارجية عن الحواس التقليدية، وقد تكون ذات طبيعة هولوغرافية أو تجاوزية (أي خارج سياق الزمان والمكان) وأحياناً يتمكن بعضها من المرور عبر الحاجز الحرج ويتجلى على شكل إلهامات أو هواجس أو إدراكات مسبقة.. إلى آخره. هذه المعلومات هي التي أنقذت الأشخاص المذكورين في الفقرة السابقة والذين امتنعوا عن السفر في الطائرة أو السفينة التي قُدر لها الهلاك في كارثة مرتقبة.

الوسيلة الوحيدة التي يمكن عبرها السماح للمعلومات الغيبية بالمرور إلى المسرح الذهني بحيث يدركها الفرد هي تعطيل ذلك القسم من العقل الباطن الذي من ناحية العقل الواعي، ونسمي هذه العملية بـ"حالة الوعي البديلة" وأشهر تجلياتها هو التويم المغناطيسي. يمكن التعبير عن الفكرة من خلال الصورة التالية:



حالة وعي بديلة. غيبوية أو نوم مغناطيسي، حيث يتم تعطيل العقل الواعي والعقل الباطن معاً بحيث يصبح الطريق سلكاً من اللاوعي

بنفس الطريقة أيضاً، يمكن إجراء تعديلات في القنوات الراسخة التي يعمل وفقها العقل الباطن (الرقيب). وقد أثبت التنويم المغناطيسي جدارته في هذا المجال أيضاً، يمكن التعبير عن الفكرة من خلال الصورة التالية:



حالة وعي بديلة. غيبوية أو نوم مغناطيسي، حيث يتم تعطيل العقل الواعي والعقل الباطن معاً بحيث يصبح الطريق سلكاً إلى اللاوعي

الحاجز الحرج الذي أشرنا إليه بالعقل الباطن هو الذي يشير إليه لونغ بالنفس الدنيا وهذا خطأ فادح، لأن النفس الدنيا تمثل اللاوعي وهو كيان مختلف تماماً.

لا يمكن تصوّر مدى أهمية الدور الذي تلعبه القناعات المزروعة في قولبة كينونتنا إلا بعد الاطلاع على الأبحاث المخبرية التي أجريت في مجال التنويم المغناطيسي. من خلال زرع قناعات في عقل النائم مغناطيسياً (أي عندما يكون الحاجز الحرج لديه معطلاً) يمكن جعله يرى شيئاً في المكان ويتصرف على أساس أن هذا الشيء موجود رغم أنه ليس كذلك. فيمكن أن يخاف ويرتعب عندما يوحي له بوجود أفعى في الغرفة فيتصرف على أساس ذلك. إذا قيل له إن أحد الحاضرين في الغرفة غير موجود، فسوف يتصرف على أساس أن الشخص غير موجود فعلاً! رغم أنه يكون واقف أمامه. الأمر العجيب هو إمكانية استعراضه لقدرات إدراكية هائلة مجرد أن زُرعت لديه قناعة بذلك، مثل قدرة الرؤية ما وراء الجدار مثلاً! إلى هذا الحد نحن مقيدون باقتاعاتنا. على هذا العنصر بالذات ركزت الحوزة في هاواي أو أي تعاليم سحرية أخرى حول العالم، حيث مجرد تغيير القناعات سوف تتجلى حالة جديدة كلياً في كياننا. ومن مضامين هذه الحالة الجديدة تتجلى قوة تجاوزية هائلة نسميها القوة السحرية.

العقل اللاوعي

يعتبر هذا القسم الخفي من أكبر أقسام العقل. إذا عدنا إلى تشبيه جبل الجليد الطائف على مياه المحيط، نجد أن العقل الواعي موجود على السطح والعقل الباطن هو تلك الطبقة الرقيقة بين المياه السطحية الدافئة والمياه العميقة الباردة، أما اللاوعي، فيمثل القسم الأكبر من الجبل والمغمور تحت المياه، وبالتالي، يحتوي على مخزون هائل من الوظائف والنشاطات والمعلومات. هذا القسم الخفي من العقل، والذي لمسنا وجوده في مناسبات كثيرة من خلال تجارب كثيرة أشارت إليه بوضوح، هو ما يحاول البعض تجاهله وإنكار وجوده، وإلحاقه بمفهوم العقل الباطن.

العقل اللاوعي هو تدرج واسع وطويل يمتد من حدود العقل الباطن وصولاً من الجهة الأخرى إلى أطراف الوعي الخارق والذي يسمى عموماً "النفس العليا" (الكا) أو الشمس

الباطنية (الذات). وبالتالي خلال حديثنا عن العقل اللاواعي وجب العلم بأنه ليس كيان واحد بل امتداد طويل مؤلف من عدة أقسام مختلفة. وهذه الأقسام المختلفة هي التي جعل منها القدماء أبطالاً لأساطيرهم. (سوف أسهب في هذا الموضوع لاحقاً)

النفس العليا

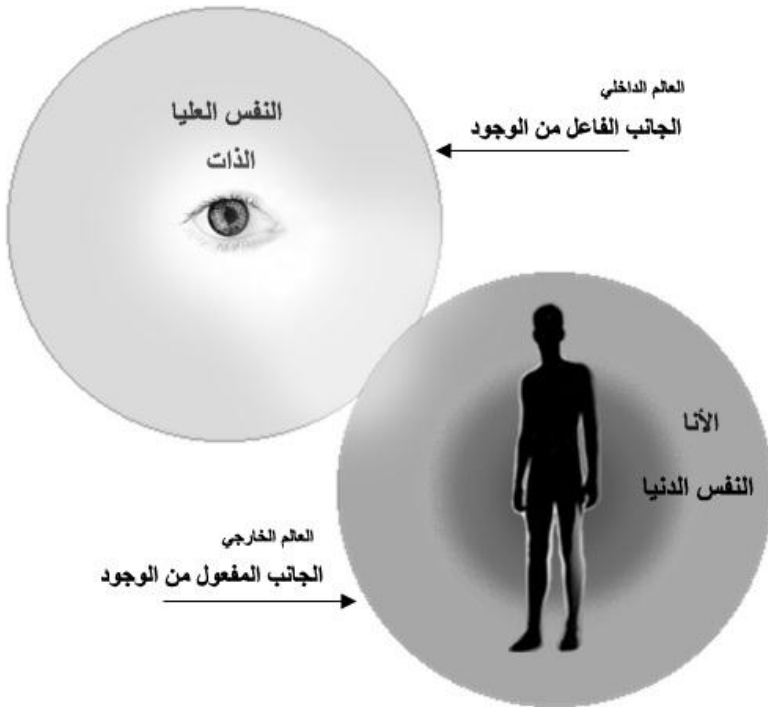
يوجد جانب من أنفسنا رغم أنه خفي وغير مُدرك أو ملموس إلا أنه حقيقي وواقعي وله تأثيرات ملموسة. هذا البعد الخفي من أنفسنا يمثل القسم الجوهرية والأساسي لكل فرد منا وقد تم الإشارة إليه بأسماء كثيرة مثل النفس العليا، النفس المقدسة، الذات الباطنية، النفس الكلية، النفس الخفية، الأنتروبوس، الشمس الباطنية،.. وغيرها من أسماء ترفع من مقامه إلا أنها لا تمثل كامل الصورة الحقيقية لهذا البعد الجليل في الإنسان. مع اكتشاف نفسك العليا والأكثر قدسية تأتي معرفة باطنية ربما هي الوحيدة المؤهلة لوصف هذا الجانب الخفي والغامض في جوهرنا. إن السعي لاستكشاف نفسك العليا يمثل جوهر الحياة الروحية ويمثل المفتاح نحو الوعي الأسمى.

منذ الزمن الأول وقف الكائن البشري مشدوهاً أمام عظمة الخلق وجلالته وروعة ابداعه. الشمس، القمر، المواسم، الريح والنار والزهرة وولادة طفل... إلى آخره. لكن رغم هذه العجائب إلا أن العالم الخفي هو الذي خطف اهتمامنا أكثر من أي شيء آخر. نحن نأتي إلى هذه الحياة دون معرفة لماذا نحن هنا، من أين جئنا، أو إلى أين نذهب بعد الموت. نعيش حياتنا اليومية وكأننا سنعيش إلى الأبد، لكن في أعماقنا نعلم أننا لم نأتي إلى هنا لنبقى.

يوجد الكثير من الناس الذين لا يفطنون إلى وجود هذا البعد الروحي في جوهرهم. يبدو أن سحر العالم الدنيوي خلق بداخلنا ميل أو نزعة إلى إدراك ما يمكن إدراكه عبر الحواس الخمسة فقط، مع تجاهل كل ما يخرج عن هذا النطاق الإدراكي الضيق. لقد تشكل معتقد عام، أو منطق مألوف، سيطر على تفكيرنا ورؤيتنا للأمور بحيث نعتبر كل

ما يمكن إدراكه بالحواس الخمس هو الحقيقي، كل ما هو مرئي ولمسوس هو واقعي، بينما كل ما هو خفي، غير مرئي أو ملموس، هو غير حقيقي. رغم ذلك كله، يكشف لنا التقدم العلمي دائماً وباستمرار حقائق جديدة عن هذا العالم الخفي، خصوصاً في مجال الفيزياء الكمومية وكذلك الهولوجرافية، جميع تلك الحقائق تشير إلى أن ذلك العالم الخفي هو الوحيد الذي يعتبر حقيقي بينما ما ندركه ونعتبره حقيقي هو وهم.

إحدى الحقائق الروحية الراسخ والتي هي قديمة بقدم الزمن تقول أننا لسنا كائنات بشرية تختبر تجربة روحية، بل نحن كائنات روحية تختبر تجربة بشرية. ما نحن عليه فعلياً ليس المظهر المادي من أنفسنا، بل المظهر غير المادي هو الذي يمثل جوهر طبيعتنا ككائنات بشرية. مجرد أن تأملت في حياتك سوف تكتشف كيف "الذات" الحقيقية لديك لا تتغير رغم أن مظهرك وشخصيتك وكل مظهر من مظاهره الجسدية تتغير. مع القليل من التفكر حول المسألة سوف تستنتج بأن جسدك ليس سوى مهجع مؤقت للذات الحقيقية التي هي أبدية.



معظم الناس يعتقدون بأن الروحانية شيء وجب البحث عنه خارج أنفسهم وأن الله هو كائن بعيد وجب البحث عنه في معبد أو في خلوة داخل مغارة أو عبر الانضمام إلى منظمة دينية معينة. وجب العلم بأن النفس العليا، ذلك الجانب الخفي منا، تمثل حضور الله في جوهرنا. في أعماقنا الباطنية تقبع تلك الشرارة الإلهية التي انبعثنا منها أصلاً. الشمس الباطنية التي تمثل ذاتا الحقيقية.

هذا البعد الخفي من أنفسنا موصول بواقع أسمى.. الخالق [عزَّ وجلَّ]. عندما تتواصل مع هذه الشمس الباطنية بطريقة أو بأخرى سوف تكتشف وجود حكمة أكثر عظمة من ما هو موجود في العالم المادي الذي يسيطر حالياً على تفكيرنا المنطقي ونظرتنا التحليلية. عندما تعيد الاتصال مع النفس العليا، مع الذات الحقيقية، فأنت بذلك تتصل مع مصدرك الأساسي. الوعي الأسمى، أو الوعي الخارق كما يسمونه، هو الوعي الذي تستخدمه النفس العليا، وهو وعي روحاني يتجاوز محدوديات المستوى المادي، وهذا لأنه غير محصور ضمن حدود إدراكات العالم المادي. ذلك العالم التجاوزي غير المحدود سوف يتوفر لك ويصبح مدركاً بالنسبة لك فقط عندما تبدأ العيش في مستوى النفس العليا وبعد تفعيل الوعي الخارق الذي يعمل بذلك المستوى.

هل لازلت تستبعد حقيقة هذه المزاعم؟ وجب أن تعلم أن النفس العليا لديك لا تمثل قسم من كيائك بل تمتلك أنت! هي في الحقيقة تمثل ذاتك الحقيقية. كل شيء يتعلق بك على المستوى الظاهري يتغير باستمرار، لكن نفسك العليا لا تتغير أبداً. فهي دائماً كانت ولازالت هناك، تنتظر إليك وتراقبك. أنت في الحقيقة كائن روحي. كل ما عليك فعله هو إسكات الثرثرة الدائرة في عقلك باستمرار، وفي لحظة الصمت الكامل أنظر في أعماق نفسك وسوف تكتشف من تكون في الحقيقة. سألو يوماً أحد القديسين الأجلاء هل أنت الله؟ فكان جوابه: " .. نعم أنا هو.. وكذلك أنتم.. والفرق الوحيد بيني وبينكم هو أنني عرفته بينما أنتم تجهلونه.."

هذا الاندماج الكامل مع "النفس العليا" انقطع مجرد أن انغمس الإنسان في حالة الدنوية والخشونة والوحشية والانحراف الفاسد. وفقاً للتعاليم السريّة، من أجل التغلب على هذه

الحالة الدنيوية ومحدوديات المادة لإعتاق نفسه تدريجياً من دوامة الفناء، وجب على الإنسان خوض عملية شاقة من تهذيب النفس عبر وسيطه الجسدي ليعود من جديد إلى حالة التطور والتجدد الروحي، فيصبح الجسد منزل أو حرم الله والذي خلق أصلاً بفضل قواه الخلاقة. يمكن بعدها لذلك الجزء من روحه النائمة، والتي تتخذ لنفسها هيئة مادية، أن تعود للاتحاد مع الكيان الكلّي، أو النفس العليا. هذا هو الهدف الرئيسي والإنجاز النهائي للمدارس السريّة والذي يختم مسيرة تدريب المنتسبين إليها. الغاية النهائية من "الممارسة التجاوزية" هي أن يصبح الإنسان مدركاً للمصدر الإلهي لكيانوته، ويعود للاتحاد معه بشكل واعي ودون حاجة للانتظار حتى يخوض مرحلة التلاشي المادي (الموت) حتى يدرك مصدره الحقيقي.

هذه هي المشكلة مع موضوع النفس العليا، أو ذلك الكيان التجاوزي الذي يصعب وصفه بكلمات. عندما نقرر وصف أقسام العقل بطريقة علمية ومنطقية مألوفة سوف ننجح بذلك خلال وصف الأقسام الأولى، لكن مجرد أن وصلنا إلى هذا القسم الباطني الخفي سوف يبدأ الموضوع باتخاذ شكل آخر غير علمي أو غير منطقي بالنسبة للبعض.

لهذا السبب عندما نتحدث عن الحوزة أو أي تعاليم باطنية حول العالم، لا يمكننا مقاربتها أبداً مع الطريقة العصرية في تقسيم العقل أو الكينونة، بل وجب مقاربتها مع طريقة القدماء في تقسيم الكيان البشري والتي تختلف تماماً عن الطرق العصرية. وجب العلم بأن القدماء لم يتحدثوا عن أقسام عقلية بل عن نفوس مختلفة أو كيانات مستقلة تجتمع في كيان واحد. بالإضافة إلى التقسيم الرباعي (أربعة نفوس)، توصل القدماء إلى تقسيم متعدد للكينونة البشرية (قوى). الموضوع التالي يمثل عينة عن طريقة تقسيم القدماء والتي لم يتمكن الباحثون الأكاديميون فهم أي من تلك الأقسام المختلفة لأنها مشروحة غالباً بطريقة رمزية:

تعدد النفوس لدى المصريين القدماء

بالنسبة للمصريين القدامى، تتألف الكينونة الفردية من أقسام ومستويات عديدة، واستخدموا أسماء مختلفة للإشارة إليها، وقد اختلفت المصطلحات والمعاني التي تمثلها هذه الأقسام مع اختلاف المرحلة التاريخية ونوعية الطبقة الكهنوتية التي حكمت المعابد عبر العصور. فبالتالي لا أعتقد بوجود أي جدوى من تناولها بشكل جدّي خصوصاً إذا اعتمدنا على النصوص التي انحدرت إلينا والتي معظمها جاء من مرحلة الانحطاط الثقافي والعلمي للحضارة المصرية حيث جُرّدت التعاليم والممارسات الروحية من سياقها العلمي والفلسفي الأصيل. لكن هذا لا يمنع من ذكر بعض النقاط المهمة بخصوص هذا الموضوع لتوضيح أمور كثيرة مهمة ولها علاقة جوهرية بما نتناوله بهذا الكتاب.

وفقاً للتعاليم المصرية القديمة، بالإضافة الجسم المادي للإنسان (الجسد) هناك مجموعة كبيرة من الأجسام أو الكيانات الأخرى والموكّلة بمهمات ووظائف مختلفة وكل منها لها مرتبة وقدرة مختلفة. لقد ورد في النصوص أسماء مثل: [يا] BA، [خو] KHU، [شَحَم] SHEKHEM، [أب] AB، [سَاهو] SAHU، [خايبيت] KHAIBIT، [خاب] Khab، [خات] KHAT، [كا] KA، [سيخن] SEKHEN، [رن] REN.. إلى آخره، وذكرت هذه الأسماء في الأجزاء السابقة بشكل عابر في سياق مواضيع معيّنة، وذلك ليس لشيء سوى المقارنة بينها وبين التعاليم الهندية لإثبات مدى تشابه المفاهيم بين المدرستين الروحيتين (المصرية/الهندية).

لطالما حاول الباحثون الأكاديميون في علم الآثار المصرية تفسير معاني وألغاز هذه الأجسام المختلفة بالاعتماد على المخطوطات المتوفرة بين أيديهم لكنهم فشلوا في مساعيهم. قال "ج.ج. بورتمان" J. J. Poortman في كتابه الذي بعنوان "مركبات الوعي . مفهوم تعدد الأجسام" Vehicles of Consciousness - the Concept of Hylic Pluralism: "المعنى الدقيق لـ"كا"، "با"، و"سخم"، وغيرها من أجسام لم يُعد واضحاً بالنسبة لنا. لقد حاول ألمع الفقهاء مرّة بعد مرّة إسقاط الفكرة المصرية

حول "النفس" على مفاهيمنا التقليدية العصرية لكنهم فشلوا في مساعدتنا على فهم شيء على الإطلاق.."

لهذا السبب نلاحظ وجود اختلافات في تعريف ووصف هذه الأجسام الخفية المصرية بين المراجع الأكاديمية المختصة، حيث يختلف مثلاً مفهوم الـ"كا/با" بين مرجع وآخر. وهذا الفشل في تعريفها يعود لأسباب كثيرة أهمها هو أن النظرة المصرية القديمة للكينونة البشرية تختلف كثيراً عن النظرة العصرية. هذا بالإضافة إلى أن المراجع التاريخية التي يعتمد عليها الباحثون هي مشوهة أصلاً ومنحدرة من عصر الإنحطاط للحضارة المصرية.

يتساءل الباحث "ليونيل كاسون" Lionel Casson في كتابه "مصر القديمة" Ancient Egypt قائلاً: "كيف يمكن أن نفهم الأمر؟ يكون الميت في أماكن مختلفة بنفس الوقت. يكون في الفردوس (في زورق "رع" السماوي)، وبنفس الوقت يحترق الحقول الإلوسية، وبنفس الوقت يتمتع بأكل القرابين المخزنة في قبره.."

لازال الباحثون يعتقدون بشكل جازم أن المصريين القدامى آمنوا بتعدد أجسام الإنسان بعد الموت، أي كل جسم ينتقل إلى مكان مختلف في العالم الآخر، وذلك عند تبعثرها بعد المحاكمة الأوزيرية للأموات Osirian judgment. تقول النصوص الهيروغليفية أنه بينما يقبع "خات" مستلقياً في القبر مُحضراً للإحياء من قبل "كا"، يكون "با" مسافراً في العالم السفلي مع "رع". بينما "أب" يكون بصحبة الآلهة، و"خابيت" قد يكون حينها بصحبة "با" على زورق "رع"، أو في القبر يتمتع بأكل القرابين. وفي نفس الوقت، "أخ" و"سخم" و"ساهو" ينتقلون للعيش بين النجوم، وينظرون للأسفل نحو الأرض. هذا المشهد الغريب والمراوغ للأقسام المختلفة للكينونة التي تتبعثر بعد موت الجسد أوقع المفكرين في حيرة كبيرة من أمرهم.

ومن بين المشاهد الكثيرة الأخرى نجد ذلك الذي يتحدث عن مغامرات الـ"كا". تصوّر النصوص الهيروغليفية كيف أن كل الحيوانات والنباتات والماء وحتى الحجارة تحوز

على الـ"كا" الخاصة بها. أما الـ"كا" البشرية فتستطيع التنقل في كل مكان بينما يقبع الفرد نائماً، وحتى أنها تستطيع الاستحواذ على نبتة أو حيوان إذا أرادت بدلاً من الإنسان. تستطيع الـ"كا" أن تجسد نفسها بهيئة شبح أمام الآخرين، إن كان صاحبها ميتاً أو حياً. كما كانت تلاحق أولئك الذين أخطئوا معها.. وغيرها من أوصاف مختلفة نابغة من معتقدات خاطئة.

الحقيقة هي أن هذه الأوصاف والمشاهد تمثل قصص رمزية تتحدث عن الخصائص الفعلية للنفس البشرية، لكنها تشوّهت وأسيء فهمها عبر العصور، إلى أن وصلت إلينا بهذه الصيغة المشوّهة. الأمر المستغرب هو أن الباحثين الأكاديميين الفطاحل لا يأخذون هذه الحالة بالحسبان حيث لازالوا يجهدون عقولهم لمحاولة فهمها وتفسيرها! كيف يمكن أن تفوتهم هذه الحقيقة؟ كيف يمكنهم تصديق أن المصريين القدامى كانوا بهذه الدرجة من السخافة؟ نحن نتكلم عن بناء الأهرامات!

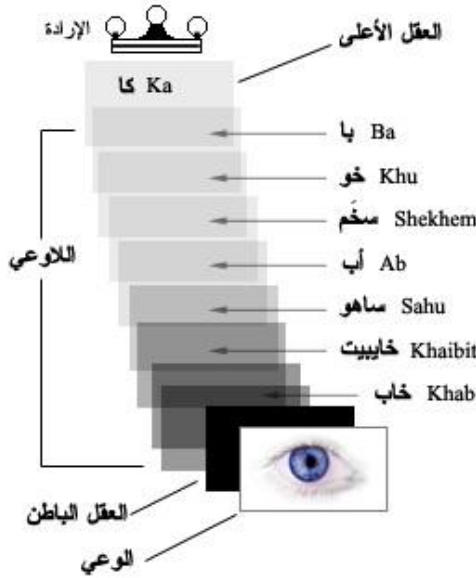
حتى الباحث الشهير "إي.ف. سترايون" E. V. Straiton وقع في فخّ هذا النوع من التظليل رغم محاولته استعراض أكبر قدر من العقلانية خلال وصف المعتقدات المصرية القديمة في الجزء الثاني من مجموعته "سفينة الشمال السماوية" The Celestial Ship of the North (منشورة في العقد الأول من القرن الماضي)، حيث هو أيضاً كان مقتنعاً بأن النصوص كانت تتحدث فعلياً عن حالة النفس بعد الموت. كتب يقول:

".. يُفترض بأن الإنسان مؤلف من عدّة كيانات، وكل منها تعمل في حياة منفصلة داخل القبر مع الموميا. كان يُعتقد بأن الإنسان مؤلف من "ساهو"، "كا"، "با"، "خو"، "خايبيت"، "سيخم"، و"رين". قيل بأن الـ"كا" Ka تتجلى عندما يُخلق جسم صاحبها، وتبقى قابعة فيه حتى الممات. صُوّرت على أنها الامتداد الأثيري، الصورة الإلهية أو نسخة عن الكيان السرمدى، صورة عن "الأنا" الروحية، "الذات العليا" المُمجّدة، مصدر العبقرية، يصورونها بأنها رغم عظمتها تلتزم بالذات الفانية طوال حياتها الأرضية. إنها تمثل النسخة المثالية، قمة الكمال، إن كان للطفل، الرجل أو المرأة. كانت الـ"كا" تنفصل

عن الجسد وتندمج معه وفق إرادتها، وعندما تعود لتندمج مع الجسد بعد الانفصال تقول: ". لقد سمحت لنفسي الأبدية أن ترى جسدي..". كانت تُخصّص للـ"كا" حُجرة خاصة في القبر. أما الـ"با" Ba، جوهر النفس، فكانت تمثّل المحتوى الأثيري الأكثر نقاء. تستطيع الـ"با" دخول الفردوس وفق إرادتها. يمكنها زيارة الجسد في القبر لإعادة إحياءه، وكما الكيانات الأخرى، إذا لم تتغذى بشكل سليم كانت تتلاشى، لذلك كان يُقدم لها الطعام من قبل البشر أو الآلهة. تستطيع الـ"با" أن تتجلى في أي مكان كاشفة عن نفسها. أما الـ"خو" Khu فكانت شرارة النار المقدّسة، الشرارة الساطعة، وسكنت في الفردوس كما سكنت في جسد الإنسان. كانت النفس الروحية نصف الشفافة التي ترتقي إلى السماء. أما "خابيت" (أو الظل)، فكانت تُعتبر جزءاً من الاقتصاد الإنساني. كان لها وجوداً مستقلاً، ويمكنها الانفصال عن الجسد وتزور أماكن مختلفة وفق إرادتها. كان يُعتقد بأنها تبقى دائماً بالقرب من، أو مع، النفس. أما "سيخم" Sekhem (أو القوة الحيوية)، فغالباً ما كانت تُذكر مع الـ"خو" والنفس. وهي أيضاً كان لها وجودها في الفردوس. أما "رن" فكان الاسم، وكان له وجوده في الفردوس أيضاً. كل هذه الكيانات قيل بأنها مندمجة مع بعضها بشكل وثيق وأبدى، رغم أنه في الأزمنة الماضية اعتُقد بأنها أقسام منفصلة ومستقلة في طبيعة الإنسان الفانية... يُشار إلى جميع أجزاء الإنسان الروحية بكلمة "أوزيريس" Osiris. كان "أوزيريس" الإنسان (أي مجموع كامل أقسام كينونته) يُحرز الغبطة الروحية بعد إجراء شعائر الموت. عند جمع تلك الأقسام الروحية مع بعضها سوف تشبه تماماً.. كان الميت في مصر يُسمى "أوزيريس" واستمرّ الأمر كذلك حتى عصر الرومان..".

كيف يمكن الإشارة إلى مجموع أقسام نفس الإنسان بكلمة "أوزيريس" Osiris؟! ما هو المعنى وراء هذه الأوصاف المظلمة التي تتناول الإنسان الميت؟ طالما بقي الباحثون الأكاديميون ينظرون إلى هذه النصوص من الزاوية العلمية التقليدية فسوف لن يصلوا إلى مكان. الفلسفة الروحية المصرية الأصيلة لا تعتمد على أوهام ولا خرافات، بل على العلم التطبيقي، خصوصاً العلوم العقلية. من أجل التعرّف على المعنى الحقيقي لهذه الألغاز الوصفية التي حيرت ألمع العقول الأكاديمية، وجب أولاً الإمام بالتعاليم الروحية المصرية الأصيلة. خصوصاً تلك التي تتمحور حول شجرة الحياة.

خلال حديثهم عن أقسام النفس البشرية عبر صيغة "تعدد الأجسام" كان المصريون في الحقيقة يصفون كيان واحد لكنه مؤلف من أقسام وحالات عقلية مختلفة. بالإضافة إلى أنهم لم يتحدثوا عن الموت كما يعتقد الكثيرون (وقد وضّحت هذه النقطة في أجزاء سابقة) بل عن الانتقال إلى العالم التجاوزي. وقد قمت بإسقاط هذه الأقسام المختلفة للنفس على مخطط شجرة الحياة خلال مقارنتها مع التعاليم الشرقية (الجزء الرابع).



ما يعتبرها المصريون كيانات مختلفة للنفس البشرية هي في الحقيقة أقسام "العقل" وفق مفاهيمنا العصرية.

المسألة تكمن في أن المصريين لم يعرفوا "الوعي" (أو حتى "العقل" بمفهومنا الحالي)، بل عرفوا "النفس"، أي بمعنى "الكينونة" عموماً. وقسموها إلى أقسام مختلفة تحولت فيما بعد إلى أجسام قائمة بذاتها (كما فعلت التعاليم الإيزوتيرية الشرقية والثيوسوفية أيضاً، لكنني صحّحت هذا الخطأ خلال الحديث عن الوعي الديناميكي في الجزء الخامس). وما نسميها "طاقة الوعي" كانت مُقسمة لديهم إلى أنواع مختلفة تتبع من أقسام مختلفة من جوانب الكينونة البشرية. هذه الجوانب المختلفة من الكينونة هي بالذات التي يجمعها

علم النفس العصري تحت عنوان واحد: "اللاوعي" unconscious. هذا المفهوم (اللاوعي) كان معروفاً ومشروحاً بالتفصيل المملّ لدى حكماء مصر منذ آلاف السنين لكن وفق مصطلحات وتصورات مختلفة عن تلك التي نتبعها اليوم خلال الحديث عن هذا المجال. هذا المفهوم المتعلق بتعدد النفوس في الإنسان وسبل إحداث حالة وصل وتواصل فيما بينها هو الذي كان سائداً في تعاليم الحضارات القديمة مثل الأشوريين والبابليين والكلدانيين والمصريين. ونستطيع رؤية هذا المفهوم بوضوح في الصور الهيروغليفية المصرية. مثلاً، يرمز طائر اللقلق في مصر القديمة إلى كائن روحي أو ماورائي. نرى أحياناً في الكتابة التصويرية في المعابد والمدافن المصرية القديمة مجموعة من طيور اللقلق محبوسة في شبكة واحدة وهذا يشير إلى مجموعة من النفوس المختلفة داخل جسد واحد فتصبح تمثل شيئاً واحداً.



لوحة مصرية تبين تعدد الأرواح أو النفوس في الكيان البشري وذلك عبر تصوير مجموعة من طيور اللقلق عالقة داخل شبكة

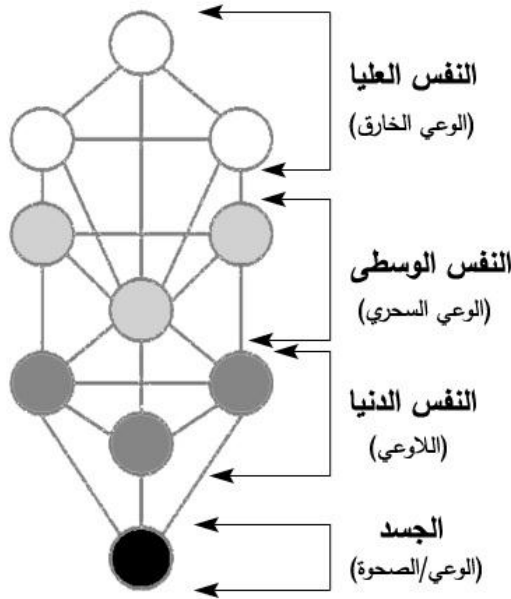
بالعودة إلى حوزة الكاهونا في هاواي، لوحظ أنهم أيضاً كانوا يتحدثون عن مجموعة من الآلهة والأرواح وغيرها من كيانات خفية تمثل في الحقيقة جوانب متعددة للكينونة البشرية، لكن الخوض فيها معقد ويتطلب مساحة واسعة من الشرح والتفسير. بالإضافة إلى أمر مهم جداً وهو أن الكاهونا لا يكشفون عن سرّ حوزتهم الباطنية لأحد، وبالتالي

لا يمكن الاستناد على التعاليم الظاهرية في توضيح المعنى الفعلي لهذه الكيانات الخفية الممثلة لجوانب النفس. وبالتالي ما كان على الباحثين الغربيين مثل "بريغهام" و"لونغ" سوى استخلاص ثلاثة كيانات أساسية تلعب دور جوهري في إحداث السحر. وقد تم وصفها وفق مفاهيم عصرية وقابلة للاستيعاب من قبل الإنسان الغربي. لكن هذه الطريقة أدت إلى إحداث خلط كبير في المفاهيم.

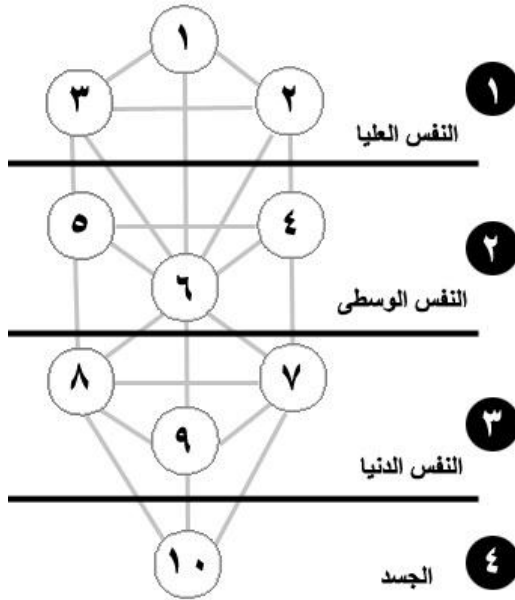
المقياس الفعلي لمدى مصداقية الحوزة وجدوى تعاليمها هو مقارنتها بتعاليم شجرة الحياة، لأن هذه التعاليم الأخيرة تعتبر أساس كافة التعاليم الباطنية حول العالم. وبالتالي كلما ابتعدت مفاهيم أي من تلك التعاليم المختلفة عن مفاهيم تعاليم شجرة الحياة كلما حكمنا عليها بأنها تعاليم بعيدة عن الحقيقة. الموضوع التالي يثبت أن الحوزة التي استند عليها الكاهونا في صناعة السحر هي مشتقة من تعاليم شجرة الحياة أصلاً.

عودة إلى تعاليم شجرة الحياة

الطريقة الأكثر جدوى لاستيعاب الحوزة أو أي تعليم باطني آخر هي تلك التي تتمحور حول تعاليم شجرة الحياة. إن هذا المخطط الجليل وذو الجدوى العملية والفلسفية الذي كان سائداً في كافة أنحاء العالم وتم استخدامه من قبل معظم الحضارات والثقافات القديمة، يمثل الحل الشافي للغز الذي يحيط بتعاليم الحوزة في هاواي وكذلك في كافة التعاليم الباطنية القديمة. يمكن تقسيم هذا المخطط إلى أربعة أقسام رئيسية وهي الأقسام الرئيسية التي يتألف منها الكيان البشري. بالإضافة إلى ذلك، يمكن تقسيمه إلى أقسام أخرى متعددة وتتمثل بمقامات الشجرة، وهذه هي الآلهة المتعددة التي تحدثت عنها أساطير هاواي وكذلك كافة الأساطير لدى الحضارات القديمة.



كما تعاليم الحوزة، نجد أن مخطط الشجرة الحياة مقسوم إلى أربعة أقسام مختلفة، أي أربع مستويات من الوعي



كما نلاحظ في الشكل المقابل، بالإضافة إلى أربعة أقسام مختلفة، فإن الشجرة تنقسم إلى عدة أقسام ممثلة بعدد المقامات، والآلهة المتعددة في هاواي تمثل هذه المقامات.

مخطط شجرة الحياة يربط بين العالم المادي الملموس والعالم الباطني الخفي، ويوفر الآلية التي تمكن الفرد من الوصل بين الظاهري والباطني، بين المادي والخفي. هذا لأن الطريق الذي يتبعه إلى تحقيق ذلك (فلسفياً أو عملياً) هو مرسوم في مخطط الشجرة وواضح لكل من دقق النظر واستوعب آلية عمل النظام الذي يفرضه هذا المخطط.

إذا عدنا إلى شروحات الحوزة لدى الكاهونا في هاواي بخصوص النفوس الثلاثة وقواها ومحتوياتها سوف نكتشف بأننا أمام تسعة عناصر مختلفة، وإذا أضفنا الجسم المادي الذي يمثل النفس الصاحية أو الوعي العادي فسوف يصبح لدينا عشرة أقسام وهذا بالضبط هو عدد المقامات في شجرة الحياة. وإذا قمنا بتوزيع هذه النفوس والقوى والمحتويات المختلفة على مقامات الشجرة سوف نجد تطابق كبير بين معاني تلك العناصر العشرة التي تناولتها الحوزة وبين معاني الكيانات التي تحتل مقامات الشجرة.

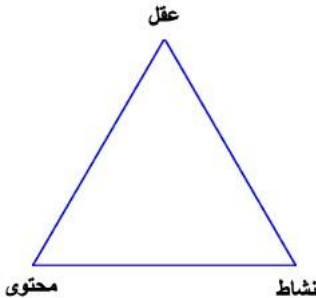
دعونا أولاً نتفحص العناصر العشرة المذكورة في الحوزة قبل إسقاطها على مخطط شجرة الحياة، وهي موصوفة كما يلي:

١. النفس العليا أو الوعي الخارق. هذا الكيان متصل بشكل وثيق بكل من النفس الوسطى والدنيا ويلعب دور الراعي أو المرشد أو الوالد Aumakua لكنه باطني وغير مرئي أو ملموس رغم سلطته المطلقة وقوته الباطنية التي بعد تجليها يكون لها تأثير هائل. رمز الكاهونا لهذه النفس العليا بالشمس وقوتها يرمز إليها بالنور الساطع.

٢. القوة العليا أو الطاقة الباطنية، وهي القوة التي تصدر من النفس العليا ويشيرون إليها باسم "مانا لوا" mana-loa ومعناها القوة الأعظم أو القوة الأقوى. لكن رغم قوة تأثيرها عندما تتجسد إلا أنها غير ملموسة بمعنى أنه لا يمكن قياسها أو معرفة خصائصها بالتحديد، ولهذا السبب يرمزون إليها بنور الشمس، حيث رغم أنها خفية إلا أن تأثيرها قوي وبالتالي هي سحرية بكل ما تعنيه الكلمة من معنى.

٣. المحتوى الأعلى أو الجسم الأثيري الأسمى، ويشيرون إليه باسم "كينو أكا" kino aka. هذا هو الجسم الخفي الذي تقبع فيه النفس العليا أو الشمس كما يوصفها الكاهونا.

إذاً، أصبح لدينا نفس عليا تمثل أعلى درجات المنظومة العقلية في الفرد، ولها قوة معينة وتقع وسط محتوى معين يعتبر الجسم أو المادة الأثيرية الخاصة للنفس العليا. (الشكل التالي):

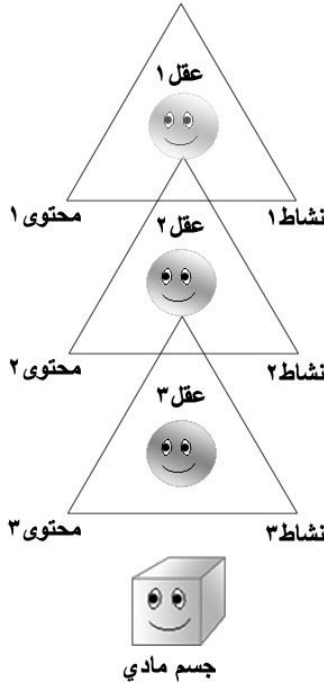


هذا يذكرنا بمبدأ الثالث الذي تحدثت عنه في أجزاء سابقة، والذي يتألف من مبدأ عقلي ومبدأ نشاط أو حركة ومبدأ محتوى.

كما حالة النفس العليا، نجد أنه لدى كل من النفس الوسطى والنفس الدنيا قوة خاصة ومحتوى خاص، وسوف أقوم بتعدادها سريعاً فيما يلي:

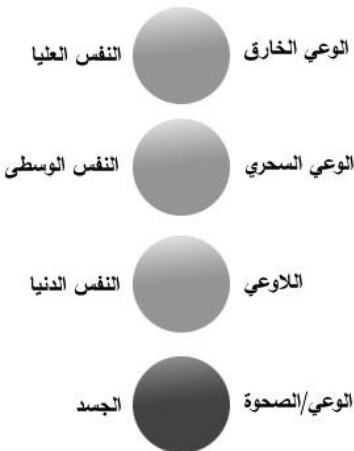
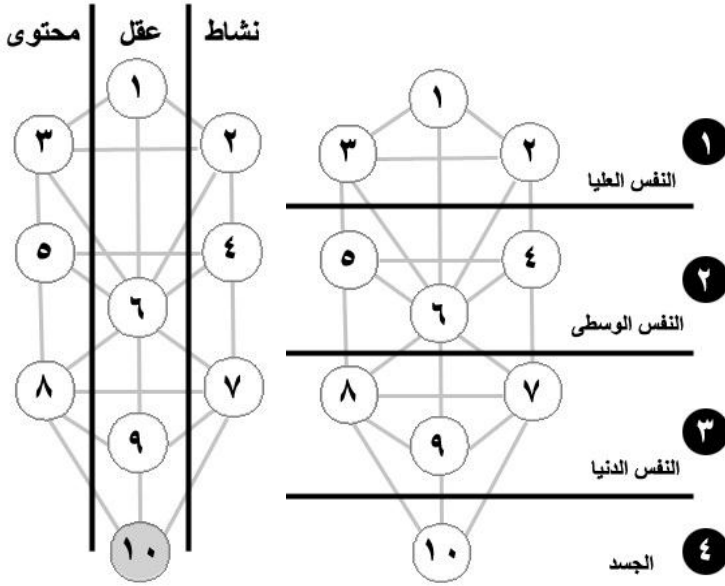
٤. النفس الوسطى... ٥. القوة الوسطى mana ... ٦. المحتوى الأوسط aka
٧. النفس الدنيا... ٨. القوة الدنيا mana ... ٩. المحتوى الأدنى aka
١٠. الجسد المادي

إذا أسقطنا العناصر العشرة السابقة على مخطط يعبر عن مواقع ترتيبها المتسلسل فسوف تبدو كما يلي:













كما هو مبين في الشكل السابق، أصبح لدينا ثلاثة مستويات من الكائنات العاقلة، وكل كائن عاقل لديه قوته الخاصة ومحتواه الخاص. وأخيراً يقبع الجسد المادي في أسفل هذا التدرج الثلاثي.

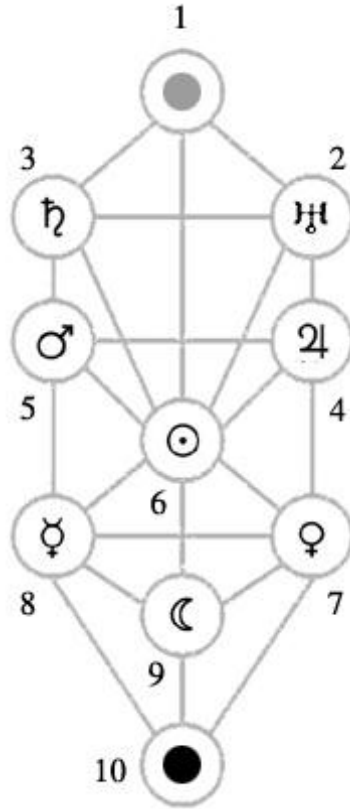
إذا عدنا إلى مخطط شجرة الحياة، نجد أنها، كما ذكرت سابقاً، مقسومة أفقياً إلى أربعة مستويات رئيسية، (الشكل التالي، الصورة على اليمين). لكن كل من المستويات الثلاثة مؤلفة من ثلاثة عناصر (عنصر عقلي، عنصر حركي نشط، عنصر حاوي مقيد) وبالتالي إذا أجرينا تقسيم عمودي لمخطط الشجرة سوف نميز هذه العناصر الثلاثة بوضوح (الشكل التالي، الصورة على اليسار):



وفقاً لمخطط شجرة الحياة نجد أن مستويات الوعي هي أربعة وليس ثلاثة، حيث العمود الأوسط لمخطط الشجرة مؤلف من أربعة مقامات (١٠ و٩ و٧ و١) وهذا يثبت صحة الحوزة التي نتحدث عن أربعة مستويات من الوعي وليس ثلاثة. فالوعي العادي أو الصحوة موجودة في القسم السفلي المادي/الجسدي ولا يمثل النفس الوسطى كما زعم الكاتب "لونغ".

بعد أن أصبح لكل عنصر موقعه الخاص على المخطط وبالتالي أصبح له دوره الخاص ووظيفته الخاصة التي تميزه عن غيره أصبح بإمكاننا منحه شخصية خاصة به، وهذا ما فعله الحكماء القدامى عندما صاغوا الأساطير المختلفة وأبطالها المتعددة والتي هي عبارة عن حكايا رمزية تتحدث عن المجريات والنشاطات المختلفة التي تقوم بها تلك العناصر المختلفة في مخطط الشجرة التي تمثل مكونات أساسية للكائن البشري ولكل كائن حي.

تقييد	عقل	نشاط
 3	 1	 2
 5	 6	 4
 8	 9	 7
	 10	



من هنا جاءت أسماء الآلهة والملائكة والكائنات الخفية المختلفة التي زحرت بها الأساطير القصص الخرافية التي سادت في كافة ثقافات العالم القديم. حتى الشخصيات المقدسة التي بجلها الشعوب والتي وردت اسمائها في النصوص المقدسة تمثل في الحقيقة عناصر تنتمي للمنظومة الفلسفية التي تتمحور حول مخطط شجرة الحياة.

هذه المكونات المختلفة للكائن البشري والتي يرمزون إليها بأسماء مختلفة (آلهة أو ملائكة أو مجرّد أبطال أساطير) هي في الحقيقة قوى مختلفة تحتل مقامات الشجرة. لكن المهم أن نعلم بأنه كما تحدث الكاهونا عن أربعة نفوس (مع الجسد) وثلاثة قوى وثلاثة محتويات (مما يجعلها عشرة عناصر) نجد أن منظومة شجرة الحياة تشمل أربعة مستويات عقلية وثلاثة مستويات من النشاط وثلاثة مستويات من المحتوى، وكل منها يحتل أحد مقامات الشجرة التي عددها عشرة. المقامات التي تمثل المبدأ العقلي هي كل من [١] و[٦] و[٩] و[١٠] (وتشكل العمود الأوسط في الشجرة)، أما المقامات التي تمثل مبدأ النشاط فهي كل من [٢] و[٤] و[٧] (وتشكل العمود الأيمن في الشجرة)، أما المقامات التي تمثل مبدأ المحتوى فهي كل من [٣] و[٥] و[٨].

يمكننا وصف الفكرة السابقة بصيغة أخرى بحيث نوصف دور القوى المختلفة في الشجرة. سوف أشرح الموضوع مستخدماً أسماء الآلهة الرومانية لأنها مألوفة وبالتالي يسهل استيعاب معانيها. العمود الأوسط من الشجرة والذي يمثل المبدأ العقلي يشمل كل من: [١] فانيز Phanese (الشمس الباطنية وتمثل النفس العليا) و[٦] أبولو Apollo (الشمس أو الابن المقدس ويمثل النفس الوسطى) و[٩] ديانا Diana (هي القمر، وتمثل النفس الدنيا) و[١٠] بلوتو Pluto (الوعي العادي). بينما العمود الأيمن في الشجرة والذي يمثل مبدأ النشاط يشمل كل من: [٢] أورانوس Uranus و[٤] جوبيتر Jupiter (المشتري) و[٧] فينوس Venus (الزهرة). أما العمود الأيسر من الشجرة والذي يمثل مبدأ المحتوى (تقييد) فيشمل كل من: [٣] ساتورن Saturn (زحل) و[٥] مارس Mars (المريخ) و[٨] مركوري Mercury (عطارد). (أنظر في المقارنات بين الآلهة الرومانية واليونانية والملائكة العبرية في الشكل التالي).

ربما لاحظ بعضكم (خصوصاً الذين لديهم المام بعلم الفلك) بأن الآلهة التي تمثل مبدأ المحتوى وهو مبدأ مقيّد للنشاط، تمثل نفس أسماء الكواكب التي لها دور في تفسير حركة الأمور والتي نعتبرها سوء حظ. بينما الآلهة التي تمثل مبدأ النشاط تمثل نفس أسماء الكواكب التي لها دور في التغيير والتوسع والحظ الوفير. هذا جانب واحد فقط من الجوانب العديدة التي تتسم بها منظومة شجرة الحياة.

	آلهة الرومان	آلهة الإغريق	
	Phanese فانيز	Phanese فانيز	١
	Uranus أورانوس	Uranus أورانوس	٢
	Saturn ساتورن	Kronus كرونوس	٣
	Jupiter جوبيتر	Zeus زيوس	٤
	Mars مارس	Aries آريس	٥
	Apollo أبولو	Apollo أبولو	٦
	Venus فينوس	Aphrodite أفروديت	٧
	Mercury ماركوري	Hermes هرمز	٨
	Diana ديانا	Artemis أرتميس	٩
Pluto بلوتو	Hades هيدس	١٠	

ملائكة القبالة	آلهة الإغريق		
Metatron "ميتاترون"	Phanese فانيز	١	<p>الجدول المقابل يشمل مقارنة بين الآلهة الإغريقية والملائكة العبرية حيث كل من المجموعتين من الكائنات تلعب نفس الأدوار ولها ذات الوظائف وتمثل ذات القوى الباطنية في الإنسان.</p>
Ratziel "رتزائي"	Uranus أورانوس	٢	
Tzaphqiel "تزافقائل"	Kronus كرونوس	٣	
Tzadqiel "تزادقائيا"	Zeus زيوس	٤	
Kamael "كمائيل"	Aries آريس	٥	
Raphael "رافائيل"	Apollo أبولو	٦	
Haniel "هانئيل"	Aphrodite أفروديت	٧	
Michael "مبخائيل"	Hermes هرمز	٨	
Gabriel "جبرائيل"	Artemis أرتميس	٩	
Sandalphon "صندلفون"	Hades هيدس	١٠	

ملاحظة: ربما لاحظت حصول تغيير في مواقع وأسماء بعض الآلهة في الجداول السابقة بالمقارنة مع الجداول التي وردت في الجزء السابع. وجب العلم بأن هذه الجداول الحالية هي الأصلية حيث تم استنتاجها والتصديق عليها من مراجع أصلية، بينما تلك الواردة في الجزء السابع هي مأخوذة من مراجع غير مؤهلة وهي ذاتها المراجع المنتشرة على الإنترنت اليوم.

إذا أردنا توصيف مواقع الآلهة في شجرة الحياة وفق تقسيمات الحوزة لدى الكاهونا في هاواي، نجد أن الآلهة أو الملائكة التي يتألف منها العمود الأوسط (أي: [١] و [٦] و [٩] و [١٠]) لها علاقة جوهرية بموضوع النفوس الأربعة. بينما الآلهة التي يتألف منها العمود الأيمن (أي: [٢] و [٤] و [٧]) لها علاقة جوهرية بموضوع القوى الثلاثة (مانا Mana). أما الآلهة التي يتألف منها العمود الأيسر (أي: [٣] و [٥] و [٨]) فلها علاقة جوهرية بموضوع المحتويات الثلاثة (أكا Aka).

وبالتالي، وفقاً لهذا المفهوم الجديد، نستنتج بأن كل من الإله أورانوس والمشتري والزهرة لهم علاقة وثيقة بموضوع القوة (مانا Mana) والتي لها سمة النشاط. بينما الإله زحل والمريخ وعطارد لهم علاقة وثيقة بموضوع المحتوى (أكا Aka) والذي له سمة التقييد. هذا يجعلنا نستنتج بأن هذه القوى المختلفة في كيائنا والتي تمثلها الآلهة في شجرة الحياة، إذا قمنا بمعالجتها بطريقة معينة، أي ضبطها وفق معايير محددة، سوف تتجلى تلك القوة السحرية التي استخدمها الكاهونا في ممارساتهم المختلفة. هي ذاتها القوة السحرية التي تتجسد لدى الشامانيين وكافة السحرة حول العالم.

أي بمعنى آخر، ما نسميه قوة سحرية (مانا Mana) هي متوفرة طبيعياً وتتوالد باستمرار في كيائنا، لكن سوء توجيه تلك القوى المسؤولة عنها في كيائنا (أورانوس والمشتري والزهرة) هو السبب الرئيسي وراء بعثرتها وعدم تركيزها في مكان واحد لكي تتكاثف وتصنع نتيجة ملموسة. أما عنصر المحتوى (أكا Aka) والذي له سمة التقييد فتمثله تلك القوى في كيائنا (زحل والمريخ وعطارد) التي يبدو أنها تساهم في تقييد وإعاقة نشاط

القوة السحرية ومنعها من الانبعاث والتجلى، وذلك لأن هذه القوى عشوائية التنظيم وبحاجة إلى ضبط وتوافق.

وبالتالي إذا قمنا بإحداث تغييرات في معايير هذه القوى المختلفة، ووفق صيغة معينة، لا بد من أن تتوفر الظروف المناسبة التي تسمح لتلك القوة السحرية أن تتجلى وفق الإرادة والرغبة. لكن عملية إحداث تغييرات في معايير تلك القوى المختلفة في كياننا ليست سهلة حيث تتطلب خوض فترة طويلة من التمارين والتدريبات. أنا لا أتحدث عن تدريبات مضمّنة كتلك التي تفرّضها اليوغا أو ما شابهها من رياضات عقلية شاقة، بل عن صياغة طريقة حياة محددة وطريقة تفكير محددة وزرع معتقدات محددة (وهذه الفكرة الأخيرة ستنتوضح لاحقاً مع توالي المواضيع).

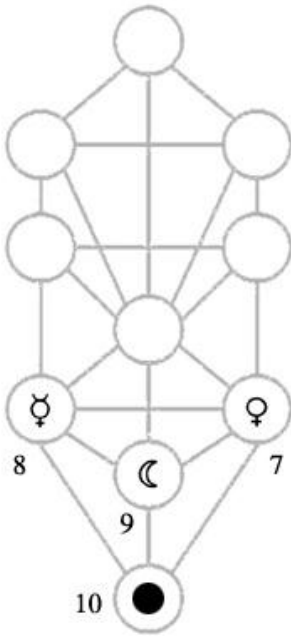
لا أستطيع شرح هذا الموضوع بالتفصيل هنا بسبب ضيق المساحة (لأننا في هذا الكتاب نتناول موضوع آخر) لكن سوف أذكر بشكل مختصر المكونات التي تهتم موضوعنا وهي المقامات [٧ و ٨ و ٩] في الشجرة والتي تتألف منها النفس الدنيا، وتمثل المستوى الأدنى من المبادئ الرئيسية الثلاثة (العقل والنشاط والمحتوى). هذه المكونات تتعلق بشكل مباشر بموضوع الإيمان، وطبعاً أنا لا أقصد ذلك الإيمان المتعلق بالأمر الدينية، رغم أنها قريبة الصلة، بل أقصد ذلك الإيمان الذي ينشده الكاهونا وباقي السحرة والشامانيين حول العالم. أي، عليك أن تؤمن بما تعمله وتسعى إليه وتسلم بواقعيته وصحته مهما كان بعيداً عن الواقع ومهما بدى غير حقيقي! هذا هو التحدي الذي على المرید مواجهته، وبالتالي من أجل النجاح في خلق هذا الشيء الذي هو بعيد عن الواقع، مثل خلق قوة سحرية مجدية وفعالة، يجب إجراء تعديلات في نشاط تلك المقامات الثلاثة أولاً. الموضوع التالي سوف يوضح الأمر بشكل جيد.

نظرة مختلفة إلى موضوع الإيمان

تعرفنا عبر الأجزاء السابقة على مدى أهمية الإيمان في إحداث تغييرات جذرية في حياتنا إن كانت تتعلق بأمور صحية أو خلق ظواهر وحالات مختلفة غير مألوفة. الإيمان الذي أقصده هو المعتقد العام الذي يحكم طريقة تفكيرك أو نظرتك الخاصة للواقع، أو قناعاتك الخاصة تجاه أمر معيّن، ومن أجل تكوين فكرة شاملة بهذا الخصوص أنصحك بأن تراجع موضوع نحن نجسد ما نؤمن به ص ١٢٤، وكذلك موضوع الإيمان والقناعة الشخصية وتأثيرها على أجسادنا ص ٣١٠ في الجزء الثاني من هذه المجموعة. رأينا من خلال هذه المواضيع كيف يمكن تغيير الواقع بكامله مجرد أن غيرنا معتقداتنا أو طريقة نظرتنا للأمور عموماً. لكن رغم إمكانية حصول هكذا تغييرات جذرية نتيجة قوة الإيمان إلا أنها نادرة أو مؤقتة أو ضيقة الأفق والسبب يعود إلى أن الأمر ليس بهذه السهولة التي نظنها حيث يوجد آلية خاصة لازلنا نجهلها. لازلنا نجهل الآلية التي يمكن من خلالها تغيير قناعاتنا المزروعة بقوة في العقل الباطن لدينا فنسلم بالنهاية أن الأمر مستحيل. طبعاً أستطاع التنويم المغناطيسي تحقيق الكثير من الإنجازات بهذا الخصوص. التنويم المغناطيسي يعتمد أصلاً على تغيير القناعات في العقل الباطن، لكن إنجازاته تكون مؤقتة وغير راسخة، حيث مجرد أن استيقظ النائم مغناطيسياً يعود إلى حالته العادية السابقة وتعود معه قناعاته السابقة وتختفي الظواهر والحالات غير العادية التي جسدها النائم مغناطيسياً قبل صحوته من نومه. بالتالي لا يمكن الاعتماد كلياً على التنويم المغناطيسي في هذا المضمار رغم أنه يمثل وسيلة مجدية في بعض الحالات.

خلال سعيهم إلى إيجاد وسيلة تمكنهم من خلق حالة تغيير دائمة في جوهر الفرد رأى الحكماء القدامى بأنه وجب تجسيد حالة تغيير دائمة في معتقداته ونظرته للحياة عموماً (وليس مؤقتة كما في التنويم المغناطيسي). لهذا السبب بحثوا عن الأساس الذي يستند عليه موضوع الإيمان (أو القناعة أو المعتقد) وكيفية تأصله ونشوئه في ما نسميه اليوم العقل الباطن. فتوصلوا في النهاية إلى نتائج مجدية وذات قيمة علمية كبيرة.

وفقاً للمنهج السحري، الإيمان يعني أن تسلّم بمصادقية وواقعية الأمر الذي تتصوره ومن ثم ترغب في تجسيده أو تحقيقه. لكن هذا الأمر ليس بسيطاً كما نظن، لأننا لا نتكلم عن عملية خداع الذات بل إقناع الذات بأن ما نفعله هو حقيقي وواقعي وله نتائج ملموسة. وفقاً لتعاليم شجرة الحياة، الإيمان هو موضوع مركّب يتألف من مجموعة مكونات. هذه المكونات تمثل المقامات الثلاثة التي تتألف منها النفس الدنيا في أسفل الشجرة، كما هو مبين في الشكل التالي:



القسم الأدنى من شجرة الحياة (النفس الدنيا) يتألف من ثلاثة مقامات: [٨] و [٩] و [٧]، وهي تمثل طاقات أساسية وتلعب دور جوهري في طريقة رؤيتنا للعالم الذي نعيش فيه. وفقاً للفلسفة الرومانية، أسماء الآلهة التي تحكم مقامات هذا القسم الدنيوي هي: [الزهرة] Venus و [عطارد] Mercury و [القمر] Diana. وقد تم الكشف عن الكثير من أدوار هذه القوى الثلاثة عبر الأساطير الشعبية والتي هي في الحقيقة حكايا رمزية تخفي الكثير من المعرفة والحكمة الباطنية.

إذا رغبت في ترسيخ قناعة معينة فهذا يتطلب القيام بإجراءات تتعلق بالنفس الدنيا، أي المقامات الثلاثة التي تشملها. المقام التاسع يمثل نظرتك للواقع الذي نشأت وسطه وتسلم بأنه حقيقي (التصور). هذا الواقع تستطيع تفسيره وتبريره منطقياً بفضل المقام الثامن (القناعة). المنطق المألوف الذي سلم به المقام الثامن مدعوم بالقوة العاطفية للمقام السابع (الرغبة الوجدانية). إذاً، أنت تعيش وسط عالم تؤمن بواقعيته وتبرر وجوده منطقياً وتتفاعل مع هذا الواقع عاطفياً (وجدانياً). نحن في الحالة العادية نجسد ما نرغبه بشكل دائم لكن دون شعور منا، وهذا ما يشيرون إليه اليوم بقوة الجذب أو (قانون

الاجذب)، أي أنت تستطيع جذب كل ما تفكر به باستمرار. لكن بسبب جهلنا بآليات هذا الموضوع، نجد أنفسنا جاذبين إلينا أمور كثيرة سلبية إلى جانب الإيجابية، والسبب هو أننا نفكر بتلك الأشياء السلبية إلى درجة الهوس (بسبب خوفنا منها أو كراهيتنا لها أو غيرها من أفكار وعواطف سلبية مشحونة بقوة) فنراها مع الأيام تتجلى في حياتنا وبشكل متكرر. لكن مهما كان الأمر، نحن نقوم بجذب الكثير من الأشياء السلبية والإيجابية إلى حياتنا اليومية دون شعور منا، وهذا يعود إلى قوة عجيبة بداخلنا تستطيع تجسيد أي شيء نفكر به، لكن هذا التجسيد لا يحصل بشكل منتظم (لأن معايير مقامات النفس الدنيوية عشوائية) ولا يخضع لإرادتنا (لأننا نجهل آليته) ولا بشكل فوري بل يتطلب فترة زمنية قبل أن يتجسد (وهذا يعود سببه إلى أن عالمنا الدنيوي محكوم بعامل الزمان والمكان وبالتالي يتطلب الأمر تسلسل منطقي للأحداث قبل أن يتجسد الشيء المرغوب أو المكروه). لكن رغم هذا كله نلاحظ بأن هذه القدرة على الجذب قد لا تعمل في بعض الأحيان أو حتى معظم الأحيان، والسبب يعود إلى جهلنا للأسس التي تستند عليها آلية عمل هذه القدرة. فتتجلى عشوائياً وبشكل متواتر وغير منتظم، وغالباً ما تكون نتائجها سلبية ومناقية لرغباتنا.

ما فعله الحكماء القدامى هو العمل على إيجاد آلية مجدية وفعالة تساعد الفرد ليس على جذب ما يرغبه، بل على تفعيل القوة التي تساعد على جذب ما يرغبه! وهذا ما نسميه اليوم بكلمة السحر. يوجد فرق كبير بين النجاح في جذب ما ترغبه ثم تكتفي به، وبين النجاح في تفعيل قوة الجذب أصلاً بحيث تستطيع جذب أو خلق أو استحضار ما ترغبه وبشكل لحظي، أي دون تسلسل زمني للأحداث والذي قد يتطلب فترة طويلة قبل تجلي ما ترغبه.

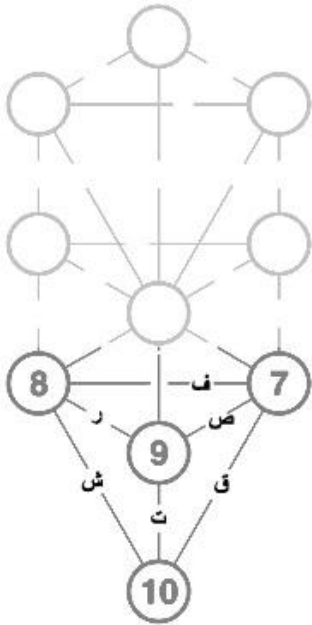
دعوني أوضّح المسألة بشكل جيّد من خلال المثال التالي. إذا رغبت في تجسيد تفاحة، أول ما عليك فعله هو تصور هذه التفاحة بشكل واضح وجلي وكأنها أمامك فعلاً، وجب تصوّر لونها وطعمها ونوعها.. إلى آخره، هذا الإجراء مسؤول عنه [المقام ٩] في شجرة الحياة لأنه مركز الخيال والتصور. والآن عليك أن تقتنع بشكل منطقي وفعلي بأن هذه التفاحة ماثلة أمامك واقعياً، هذا الإجراء مسؤول عنه [المقام ٨] في شجرة الحياة لأنه

مركز المنطق والعقلانية وبالتالي وجب أن تقتنع فعلاً بأن ما تقوم به هو منطقي وعقلاني. عليك الآن أن تفعل العاطفة والرغبة وذلك عبر اشتهاه التفاحة ورغبتها وجدانياً وليس مجرد النظر إليها بصفقتها شيء موجود. هذا الإجراء مسؤول عنه [المقام ٧] في شجرة الحياة لأنه مركز الرغبة والشهوة وغيرها من مشاعر عاطفية وجدانية. الأمر ذاته ينطبق على الأمور الأخرى. عندما تريد شيئاً فلا يقتصر الأمر على تصوّره والتسليم بوجوده منطقياً بل عاطفياً أيضاً، أي أن تفرح به مثلاً أو تتوق إليه أو ترغبه وتستهيئه.. إلى آخره. أي بمعنى آخر، عندما تؤمن بأمر معين فأنت تسلم به فعلياً وتبرره منطقياً وتتفاعل معه عاطفياً وجدانياً. وفي الحقيقة، هذا الواقع قد لا يمثل الحقيقة، لكنه بالنسبة لك يمثل حقيقة ثابتة، ليس لأنه حقيقة بل لأن المقامات الثلاثة للنفس الدنيوية لديك مضبوطة بطريقة تجعله حقيقة وأنت سعيد بذلك وأصبحت تألفه وتعيش حياتك اليومية على أساسه. تصوّر إلى أي درجة يكون الأمر معقداً عندما يتعلق بموضوع الإيمان الذي ينشده السحرة. هذه مجرد فكرة أولية ولم ندخل بعد في التفاصيل وما يرافقها من تعقيدات. أهم تلك التعقيدات تتعلق بعامل الزمن. صحيح أنك قمت بكافة الإجراءات الذهنية والعاطفية التي تمكنك من تجسيد تفاحة لكنك لن تحصل عليها بشكل فوري لأن عامل التسلسل الزمني سوف يقف حاجزاً بينك وبين التفاحة، وبالتالي سوف تتجسد التفاحة في حياتك لكن عبر سلسلة طويلة من الأحداث التي تطول مدتها أو تقصر حسب ما يراه القدر مناسباً. قد يجلبها إليك أحد من أصدقائك في اليوم التالي، أو قد تُقدم إليك كضيافة خلال زيارتك لأحد الأشخاص بعد أسبوع، أو غيرها من ظروف.

لكن هناك من كان ذكياً بدرجة مذهلة بحيث وجد حلاً مناسباً لتجاوز هذه المسألة. من هنا بدأت فكرة تجسيد كينونات فكرية (جن أو أي كائن خفي) أو طاقة سحرية تقوم بتنفيذ الأوامر مباشرة. الكينونات الفكرية ليس لها أي أساس من الواقع، أي هي ليست مخلوقات طبيعية، بل مجرد تصورات ذهنية لكنها صارت واقعية بفعل ضبط معايير المراكز الثلاثة في النفس الدنيا كما شرحت سابقاً. لكن قمنا بتغيير الهدف حيث بدلاً من تصور تفاحة ومن ثم الانتظار لفترة من الوقت حتى تتجلى في حياتنا، قمنا بتصور وخلق كائن خفي يستطيع جلب التفاحة بشكل فوري ولحظي. الأمر ذاته ينطبق على القوة السحرية التي هي أيضاً مخلوقة بنفس الطريقة (ضبط معايير المراكز الثلاثة للنفس

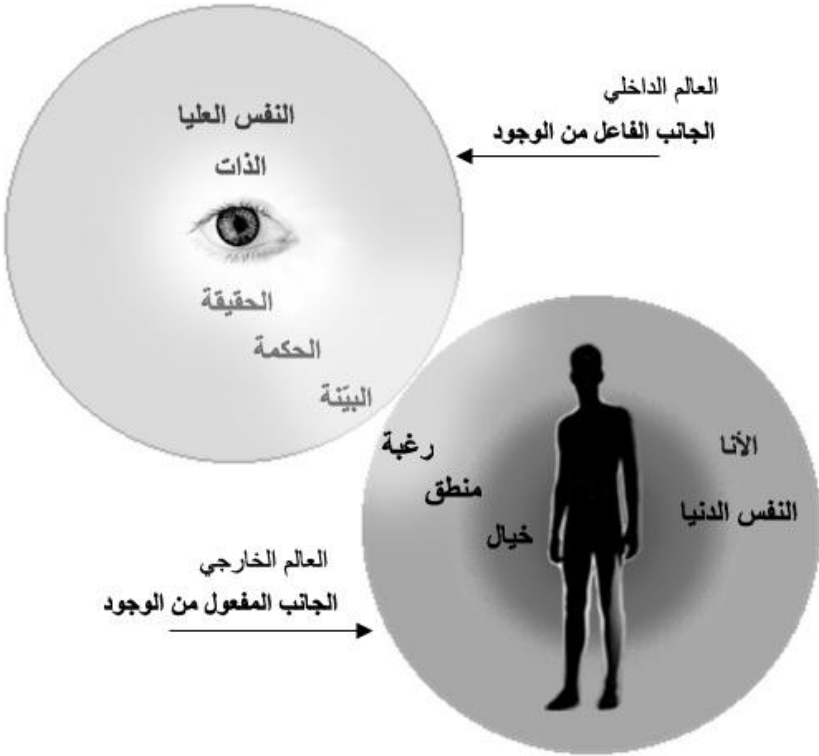
الدنيا) وذلك لتحقيق أهداف محددة مثل كهربية القطع الخشبية أو رفع الأشياء في الهواء أو غيرها من أمور تعرفنا على بعضها في هذا الكتاب.

رغم معرفتك بالآلية التي يعمل وفقها الإيمان إلا أنك لا تستطيع تطبيقها بسهولة. لهذا السبب أوجد القدماء نظام تدريبي متسلسل (خطوة خطوة) يؤدي بك في النهاية إلى ضبط معايير المقامات الثلاثة بحيث تتوافق مع القناعة المراد ترسيخها، وذلك عبر تفعيل ما نعرفها بالمسارات الواصلة بين المقامات. يتم ذلك عبر استحضار وتهيج أفكار وعواطف معينة تمثل قوى تلك المسارات فتقوم هذه الأفكار والعواطف بتنشيط المقامات الثلاثة وفق صيغة تجعلها مضبوطة مع القناعات التي نريد ترسيخها. أما كيفية استحضار وتهيج تلك الأفكار والعواطف التي تمثل قوى تلك المسارات فيتم ذلك عبر معالجة والتأمل في مواضيع فلسفية معينة تؤدي في النهاية إلى استحضارها وترسيخها. إنها طريقة غريبة عجيبة فعلاً، وهذه طريقة عبقرية لا يمكن لعقول العصر الحديث صياغتها أبداً. إنها بكل تأكيد من صنع عقول تجاوزية مذهلة عاشت يوماً على وجه الأرض في إحدى فترات الزمن الذهبي القديم.



المسارات الواصلة بين المقامات الثلاثة
الدينيوية مع مقام العاشر. والأحرف التي
تمثلها هي: [ت] و[ش] و[ر] و[ق] و[ص]
و[ف].

المقامات تمثل طاقة روحية ثابتة، بينما
المسارات تمثل طاقة روحية ديناميكية.
فبالتالي، من الضروري التعرف على
طبيعة هذه المسارات وآلية عملها، وذلك
عبر دراسة الدور الذي تلعبه في مخطط
شجرة الحياة.



العالم الدنيوي (الذي ندركه ونألفه ونختبره في حياتنا اليومية) هو ما تصنعه نفسنا الدنيوية من خلال تفاعل ثلاثة مكونات رئيسية: العاطفة (رغبة)، المنطق (فكر)، الخيال (وهم). أي عالمنا الدنيوي الذي نعيشه الآن هو عالم وهمي أصلاً، وبالتالي يبدو كما نراه بناء على تصور محدد مدعوم بمنطق محدد ويحفزه رغبة محددة تنشط في النفس الدنيوية. هذا يجعلنا نستنتج بأنه مجرد أن أجريت تغييرات في هذه العوامل الثلاثة سوف يتجلى أمامك عالم آخر مختلف تماماً ويحكمه قوانين مختلفة.

طالما أننا نتناول النفس الدنيا ومكوناتها الثلاثة، دعونا نتعرف على بعض المواضيع المهمة التي تتعلق بها مباشرة، وأقصد بذلك موضوع الإيمان، لأنه موضوع جوهري وأساسي ليس في الممارسة التجاوزية فحسب بل في حياتنا اليومية أيضاً، خصوصاً فيما يتعلق بحالتنا الصحية.

دور العقد النفسية في الأمراض والعلل

وفقاً لمنهج الحوزة في هاواي

ذكرت سابقاً أن الكاهونا لم يعتمدوا كلياً على القوة السحرية للعلاج الفوري (مثل ترميم الفوري للعظام أو العلاج الفوري للجروح أو غيرها من معجزات علاجية)، بل في معظم الأحيان اتبعوا طريقة خاصة تعتمد أساساً على الحالة النفسية للمريض حيث يبدو أن معظم الأمراض والعلل تنتج من ما نسميه عقد نفسية، ويقصدون بذلك وجود قناعات سلبية مزروعة في النفس الدنيا (العقل الباطن)، وهذا يجعل أساس المرض النفسي قبل أي سبب آخر، وبالتالي يتطلب طريقة أخرى لعلاجه وليس بالسحر. هذا الموضوع سوف يتوضح جيداً عبر الفقرات التالية.

قبل قيام الكاهونا بالفحص الجسدي بحثاً عن سبب بيولوجي للعلّة أو المرض، كان ينظر في موضوع آخر يعتبره أكثر أهمية ويتمثل بحالات نفسية معيّنة مثل الشعور بالذنب تجاه أحدهم أو قناعة سلبية مزروعة بعمق في نفس المريض أو الشعور بالخطيئة تجاه الآلهة أو غيرها من حالات مشابهة نسميها اليوم عقد نفسية أو قناعات سلبية، لكن يشير إليها الكاهونا عموماً بأنها ".. أشياء تأكل من الداخل..". هذه القناعات السلبية مزروعة بعمق في النفس الدنيا ومجرد أن رسخت في ذاكرة النفس الدنيا فسوف يصبح صعباً إيجادها ومن ثم إزالتها. يعتقد الكاهونا بأنه على المريض التحرر تماماً من هذه المعوقات النفسية التي تمنع الشفاء وتقاوم العلاج بشكل عنيد. مجرد أن يتم إزالة هذه المعوقات النفسية سوف تتوفر الشروط المناسبة للشفاء بحيث قد لا يحتاج المريض إلى علاج أصلاً.

لقد سعى علم النفس العصبي إلى استكشاف العقل الباطن وصادق على وجود العقدة النفسية وهذا يوفر علينا مجهود كبير في محاولة التصديق علمياً على منهج الحوزة وصحة توجهه في هذا المضمار. لقد كان الكاهونا على حق عندما سلموا بوجود هكذا أشياء ودورها في المسائل النفسية. لكن يوجد أمر واحد لم يتوصل إليه علم النفس

الحديث بينما الكاهونا عرفوه منذ زمن بعيد، وهو حقيقة أن الجهود الساعية إلى إزالة العقدة النفسية سوف تكون أكثر نجاحاً إذا شملت في إجراءاتها عدة أشياء مثل مناشدة منطقية للعقل الواعي للمريض، مع إيحاءات كلامية تخاطب النفس الدنيا (العقل الباطن)، مع استخدام محقر مادي (مسرحية ذهنية) يرافق الإيحاءات الكلامية. المحقر المادي يعني مسرحية علاجية وهمية ينخدع بها المريض. لأن النفس الدنيا معتادة على الاستجابة لأشياء حقيقية ملموسة يصادق عليها العقل الواعي. أي مثلاً، الماء المقدسة المستخدمة في المراسم الدينية والتي تُرش على المؤمنين بحيث "تغسل الخطايا" هي عبارة عن مسرحية ذهنية، أي هي فعل رمزي يمثل معنى ديني معين، لكن له تأثير قوي على نفسية المؤمن. هذه المسرحيات الذهنية لها تأثير قوي على النفس الدنيا بحيث تستجيب لها وتتفاعل مع إيحاءاتها. لهذا السبب نجد أن الكاهونا استخدموا طريقة الغسل بالماء المقدسة مترافقة مع إيحاءات كلامية خلال طقوس العلاج. هذه تعتبر واحدة من عدد كبير من الطقوس الرمزية التي اتبعتها الكاهونا للتأثير على النفس الدنيا.

أحد أبرز الأمثلة العصرية بخصوص هذا الموضوع هو ما نعرفه بمفعول "بلاسيبو" Placebo Effect وهو عبارة عن عملية إعطاء المريض "كبسولة فارغة" أو "كوب من الماء الملون" ويوهمون له عبر الإيحاء الكلامي بأن ما يقدمونه له هو دواء فعال أثبتت جدارته في القضاء على المرض الذي يعاني منه، بعد أن يجعلوه يؤمن بفاعلية هذا الدواء الوهمي يتناوله المريض على فترات محدّدة (مسرحية ذهنية)، وبعد فترة من الزمن يبدأ بالتحسن تلقائياً.

وهناك مفعول معاكس يسمونه مفعول "نوسيبو" Nocebo Effect وهو عبارة عن إعطاء المريض الدواء الحقيقي الذي يستطيع أن يشفيه فعلاً لكنهم يقنعونه بأن هذا الدواء هو عبارة عن مادة غير فعالة وهي مجرد ماء ملون أو كبسولة فارغة، والنتيجة المذهلة هي أن هذا المريض لن يتجاوب مع الدواء، أي أنه لا يشفيه. ويتجلى مفعول "نوسيبو" في حالات أخرى كتلك التي تحصل في مختبرات التحليل الطبي، حيث يقوم العاملون به بإعطاء نتيجة تحليل شخص مريض معين إلى شخص آخر يتمتع بصحة

جيدة (يحصل ذلك بالخطأ في أحيان كثيرة) لكن هذا الشخص يصاب فعلاً بأعراض المرض مع أن نتيجة التحليل لا تعود له أساساً.

ألا يعكس هذا مدى تأثير العقل على الجسد من خلال قوة الإيمان الذي تجسّد بفعل الإيحاء؟ أي أنك إذا آمنت بأنك تستحق الصحة الجيدة وتوقّعت حصول ذلك عبر مسرحية علاجية مخادعة فإنه سيحصل فعلاً ويتجسّد كواقع حقيقي وليس وهم.

إذا ألقينا نظرة سريعة على تاريخ الطب وتفحصنا الأساليب العلاجية التي اتبعها أسلافنا القداماء سوف نكتشف أن هذه الأدوية وطرق العلاج البدائية لم تكن سوى مفعول بلاسيبو لا أكثر ولا أقل. فكان الفرد يشفى تماماً بعد خضوعه لمرحلة علاجية تتمثل بتناول أدوية محضرة بطريقة عشوائية، أو عملية جرح في إحدى مناطق جسده (فيسيل بعض من الدم) كافية لجعله يشعر بعدها بتحسن واضح. والحقيقة هي أن هؤلاء الناس قد تماثلوا للشفاء ليس بفضل الدواء بل بفضل خضوعهم لفترة علاجية (مسرحية ذهنية) وهذا كافٍ لشعورهم بالتحسن. خاصة وإن كانوا يؤمنون بفاعلية هذا العلاج أو الطبيب الذي يشرف على هذا العلاج. ربما نلاحظ أن الأطباء الشعبيين الأكثر نجاحاً في علاج المرضى غالباً ما يتصفون بقوة الشخصية والحضور وطلاقة اللسان مما يجعل إيحاءاتهم الكلامية ذات تأثير كبير على النفس الدنيا (العقل الباطن). هذه الصفات في شخصيتهم هي بحد ذاتها الدواء الذي يقوم بالفعل الحقيقي وليس المواد التي يصفونها للمرضى.

هذا ما كان يفعله الكاهونا بالضبط خلال التعامل مع المرضى، لكن أساليبهم كانت مدروسة وتستند على إلمام واسع بهذا الموضوع الذي نسميه إيمان. لقد أضاعت أدبيات الحوزة كثيراً على هذا الموضوع الجدلي الذي نسميه إيمان. لقد سعت كافة الأديان في نظيراتها وجدلياتها العديدة للتوصل إلى نتيجة مجدية بخصوص الطبيعة الفعلية لما نسميه الإيمان. لطالما أكد القائلون على الأديان بأنه وجب حضور الإيمان قبل أن تستجاب الصلوات والأدعية. حتى ولو درجة قليلة من الإيمان تكفي. لكن في نهاية الأمر، الإيمان هو حالة تسليم كامل واعتقاد جازم بحقيقة معينة. لكن هذا التعريف لا

يكفي، حيث تعلمنا الآن من الكاهونا بأن الإيمان على مستوى العقل الواعي لا يكفي إذ هذا ليس إيمان كامل. لا يمكن للإيمان أن يكون له مفعول قوي وتأثير ملموس إلا إذا كان راسخاً في النفس الدنيا (العقل الباطن). على النفس الدنيا أن تؤمن أولاً، وهنا تكمن المسألة. أي بمعنى آخر، إذا كانت النفس الدنيا تحوي عقدة سلبية أو قناعة عنيدة بخصوص أمر معيّن وهي معاكسة للقناعة التي رسخت مؤقتاً في العقل الواعي، فسوف ترفض النفس الدنيا تنفيذ الأوامر. مثلاً، إذا كان العقل الواعي قد اقتنع بإمكانية حصول ظاهرة التخاطر وراح يأمر العقل الباطن (النفس الدنيا) كيف يرسل ويستقبل الأفكار التخاطرية، يمكن أن تتجح العملية لكن بشرط أن تكون النفس الدنيا لم تخضع في إحدى الفترات المبكرة من حياة الفرد للتأقن السلبى بخصوص موضوع التخاطر بحيث رسخ فيها قناعة بأن التخاطر ظاهرة خرافية وليس لها أساس من الواقع.

إنه صعب جداً على الفرد معرفة إن كان لديه قناعة سلبية مزروعة في ثنايا النفس الدنيا لديه. ولأننا نجهل تماماً وجود هكذا قناعات سلبية في نفسنا الدنيا، غالباً ما نصرح بكل ثقة أنه ليس لدينا أي منها، رغم أنها قد تكون عديدة لكننا لا نشعر بذلك. لا يمكننا التأكد من الأمر إلا عبر التجربة العملية. إذا أمضيت فترة من الوقت تخوض خلالها تمارين لتنشيط قوة عقلية معينة أو تحقيق هدف صحي معين ولم تحصل على نتيجة مجدية فما عليك سوى البحث عن قناعات سلبية أو عقد نفسية مزروعة بعمق في النفس الدنيا لديك، لأنها السبب الرئيسي الذي يعيق تقدمك في ما تسعى إليه.

قناعات تحكم العقل الواعي والباطن معاً

الحقيقة المذهلة التي فشل علماء النفس والمحللين النفسيين ملاحظتها بوضوح هي أن العقل الباطن (النفس الدنيا) ليس الجهة الوحيدة القابلة للإصابة بوباء العقد النفسية أو القناعات السلبية. جميع علماء النفس، مثل "فرويد" Freud و"جونغ" Jung و"أدلر" Adler صبوا اهتمامهم على العقل الباطن ولم يعيروا أي اهتمام إلى العقل الواعي الذي هو أيضاً قابل للإصابة بهذا الوباء الخطير والمتمثل بالمعتقدات الجازمة التي تحكم

طريقة تفكير الفرد، والتي هي مشابهة تماماً للفناعات السلبية المزروعة في العقل الباطن.

الحقيقة المذهلة هي أن معظم الناس محكوم الوعي لديهم بمعتقدات أو آراء راسخة وعنيدة بنفس درجة تلك المزروعة في العقل الباطن (النفس الدنيا). نجد مثلاً أشخاص محكومون بمعتقدات سياسية بحيث يتعصبون للحزب السياسي الذي يناصرونه. مهما حاولت اقناعهم بعكس ما يعتقدون، حتى بالحجة والبرهان والمنطق والإثبات، إلا أنهم يصرون على صوابية السياسة التي ينتهجها حزبهم السياسي بينما الآخرون هم على خطأ وضلال. هذا النوع من الأشخاص لا يستجيبون لأي جدال منافي لعقيدتهم السياسية. إن أي محاولة للإشارة إلى عيوب ما يعتقدون به سوف تواجه بالغضب والمقاومة الشرسة، وأحياناً بالصراخ والنزعة القتالية.

يمكن أن نجد مثال آخر في الملايين الذين ينتمون لعقيدة دينية معينة والذين يتعصبون لعقيدتهم بعقول مغلقة تماماً بحيث يستحيل تغيير رأيهم بهذا الخصوص. إن ظهور حقائق جديدة أو اكتشافات علمية جديدة أو ظروف حياتية جديدة لا تغير شيئاً في توجههم الفكري. لقد طوّروا عقدة نفسية مؤلفة من مجموعة معتقدات راسخة يتقاسمها كل من العقل الواعي والباطن معاً.

إذا أردت أن تعرف إن كان لدى الشخص عقدة نفسية يتقاسمها كل من عقله الواعي والباطن معاً كل ما عليك فعله هو إجراء اختبار بسيط. قم بانتقاد توجهه السياسي أو معتقده الديني وراقب استجابته لهذا الانتقاد إذا كانت مشحونة بالعواطف.

إذا قلت للشيعوي مثلاً بأن التوجه السياسي للحزب الذي ينتمي إليه أصبح موضحة قديمة ووجب تغييره، راقب استجابته لملاحظتك، إذا كان رد فعله مشحوناً بالعواطف (غضب) بدلاً من التجاوب الهادئ والعقلاني المدعوم بالأسباب المنطقية، فاعلم أن عقيدته السياسية مدعومة بعقدة نفسية. الأمر ذاته ينطبق على الرجل الذي وجهت انتقاد لدينه،

فإذا كان رد فعله مدعوم بالعاطفة فتستنتج بأن معتقداته موبوءة بعقدة نفسية ولا تستند على المنطق والحجة.

الجهة المسؤولة عن ردود الفعل العاطفية (غير العقلانية) هي النفس الدنيا، بينما العقل الواعي يستجيب في الحالة الطبيعية بالمنطق والعقلانية إلا إذا كان محكوماً بنفس العقدة النفسية التي تطغي على الجانبين، وبذلك تزول العقلانية أمام تهيج العاطفة.

لكن من ناحية أخرى نرى أن العقدة النفسية السياسية نادراً ما تؤثر على الحالة الصحية للفرد، بينما العقدة النفسية الدينية غالباً ما لها أثر سلبي على صحته وحتى على حظه في الحياة. وهذا ما أدركه الكاهونا منذ البداية، حيث عرفوا حقيقة أنه إذا اقترب الإنسان ما يعتقد بأنها معصية أو خطيئة (وفقاً لمعتقده الديني) وتكون النفس الدنيا لديه قد وافقت على أن ما اقترفه هو خطيئة تستحق العقاب، فسوف تتشكل عقدة نفسية تملي على النفس الدنيا بأنه وجب مواجهة العقاب مقابل هذه الخطيئة. وهنا تبدأ المشكلة، حيث تبدأ النفس الدنيا بمعاقبة الشخص من خلال الأمراض والعلل والحوادث المؤذية وحتى سوء الحظ.

ذكر الكاتب "لونغ" في كتابه إحدى الحالات المثيرة التي اقتبسها من أرشيف أحد الأطباء النفسيين، وتبين بوضوح مدى تأثير العقدة النفسية التي يسببها الدين على الفرد. هذه الحالة تتحدث عن شاب تولت عمته تربيته لكنها أخضعت له لتربية دينية صارمة. كتب "لونغ" يقول:

".. بعد انتهاء الشاب من الدراسة الثانوية شعر بتوق في داخله لأن يصبح كاهن لكنه تخلى عن الفكرة وبدلاً من ذلك عمل في معمل للمفروشات. لكن خلال عمله في ذلك المعمل كان أثر أبخرة الدهان والورنيش قوياً عليه فأصابه المرض. تم بعدها نقله إلى قسم النجارة لكنه أصيب بالربو بسبب غبار الخشب. ترك معمل المفروشات ووجد وظيفة في مكان آخر. ثم مكان آخر. وفي كل مرة يصاب بالمرض بسبب ظرف معين في العمل. بعد فترة من المعاناة قرر زيارة طبيب نفسي، وقد نجح هذا الطبيب في التعرف

على العلة التي تسبب له هذه المعاناة الصحية وكانت عبارة عن عقدة نفسية راسخة في عقله الباطن. هذه العقدة النفسية بدأت في التشكل مجرد أن بدأ يفكر في التخلي عن تكريس حياته في الخدمة الدينية في الكنيسة. هنا بدا واضحاً أن النفس الدنيا تقاسمت العقدة النفسية مع العقل الواعي وتمثلت هذه العقدة بإحساس قوي بالذنب نتيجة رفضه تكريس حياته لخدمة الله. لأن الأمر كان أليماً جداً بالنسبة له، قرر الشاب إخفاء هذه الذاكرة المؤلمة، لكنها في الحقيقة بقيت قائمة في عقله الباطن وشكلت ما يمكن اعتباره شعور بالذنب الشديد. بما أنه تعلم منذ بداية حياته بأن كافة الخطايا والذنوب يتم المعاقبة عليها من قبل الله فما كان على نفسه الدنيا (عقله الباطن) سوى توقع هذه النتيجة ومن ثم خلقها فعلياً كلما سنحت الفرصة. لكن مع أن العقل الواعي رفض التفكير بمسألة الخطيئة والذنب الناتجة من عدم الالتحاق بالكنيسة وقرر نسيانها، ما كان على العقل الباطن سوى ترجمة هذا التصرف وفقاً لما نشأ عليه الشاب منذ طفولته فاعتبره خطيئة وجب المعاقبة عليها. من هنا جاءت الأمراض والعلل التي كانت تصيب الشاب كلما انتقل إلى عمل جديد.."

".. بعد الاستجواب والمراقبة، نجح الطبيب النفسي أخيراً في تحديد السبب بدقة. لكن بدلاً من معالجة المسألة عبر التفسير المنطقي للموضوع وتغيير قناعات الشاب التي هي السبب، واجه مشكلة أكبر. عندما حدد له الطبيب بأن سبب العلة هو رفضه الالتحاق بالكنيسة وبالتالي عليه تغيير رأيه بهذا الخصوص حيث الله لن يعاقبه على ذلك، أصرّ الشاب على أنه يستحق العقاب بقوة لأنه كان غير مبالي بدعوة الله له لخدمته. رغم المحاولات العديدة التي قام بها الطبيب إلا أن الشاب أصرّ على قناعته ولم يسمع للكلام المنطقي الذي جاهد الطبيب شرحه. في النهاية أصبح الشاب عصياً وراح غضبه يزداد. فما كان على الطبيب في النهاية سوى نصح الشاب للالتحاق بالكنيسة لكي يستعيد صحته، وهذا ما حصل فعلاً، وبعد التحاقه بفترة قصيرة جداً اختفت كافة أعراضه المرضية.."

في هذا الحالة لم يتمكن الطبيب من إزالة العقدة النفسية من جوهر الشاب. يستحيل إزالتها بالطريقة العادية لأنها متشكلة على مستوي العقل: الواعي والباطن. لا يمكن

للمنطق أن يؤثر على هكذا حالات. الحل الوحيد هو أن تستمر المسرحية الذهنية التي يميل العقل الباطن إلى تمثيلها إلى النهاية. وهذا ما حدث في الحالة السابقة.

لكن هذه الحالة السابقة تذكرنا بأمر مهم جداً. كم مسرحية ذهنية تدرينا على تمثيلها منذ طفولتنا ونستمر في تمثيلها طوال حياتنا. إذا دقت النظر جيداً في سلوكنا وطريقة تفكيرنا تجد أنها جميعاً عبارة عن مسرحيات ذهنية تقوم بتمثيلها بشكل أوتوماتيكي ودون أي وعي أو شعور منك. لا أريد أن أزيد من تعقيد الموضوع لأنه معقد أصلاً، لكن لكي نعرف مدى عمق هذه المسألة ومدى تأثيرها علينا سوف نلقي نظرة إلى جانب واحد فقط بين الجوانب العديدة من حياتنا وهو الجانب الصحي.

جميعنا نشأنا منذ الطفولة على أفكار وقناعات ومعتقدات تحدد لنا ما هو صائب وما هو خاطئ.. ما هو ممكن وما هو مستحيل.. ما هو عقلائي وما هو غير عقلائي.. إلى آخره. أهم الأفكار التي نشأنا عليها ولها تأثير كبير على حياتنا هي تلك الأفكار المتعلقة بحالتنا الصحية.

المسرحيات الذهنية وحالتنا الصحية

ألا يفتن أحدكم يوماً إلى أن استجابتنا تجاه الأمراض والأدوية اليوم هي مجرد مسرحيات ذهنية تفرضها علينا عقولنا الباطنة لأنها تبرمجت عليها منذ الطفولة وبالتالي نحن مجبورون على تنفيذها؟!!

إن الحقائق والمعلومات المختلفة التي نتناولها بخصوص صحتنا تتغير باستمرار مع مرور الزمن. إن المواد الدوائية التي يقنعونا بأنها مفيدة اليوم قد تتغير غداً، حيث يعودون ويصرّحون بأنها خطيرة وضارة بالصحة. إن هذه المعلومات تتبدل على الدوام. هذه هي الحقيقة. هذا هو الواقع الذي مرّت به أجيال وأجيال من البشر. فكانوا في الماضي البعيد يضعون ثقهم المطلقة بيد الكهنة والشامانيين وحتى المشعوذين، ورغم

ذلك كانوا يصحّون. أما الآن، في هذا العصر، فإننا نمنح ثقتنا لشركات الأدوية العالمية التي هي المصدر الوحيد لصحتنا وبقائنا على قيد الحياة.

تلك المؤسسات العملاقة التي يملكها رجال عصابات المالية ليس لها أي علاقة بالطب والعلاج، ولا بالإنسانية أصلاً، لكن مع ذلك معظمنا يشفى من أدويتهم. ذلك لأن طبيقتهم الإيحائية في تسويق أدويتهم تشبه إلى حد بعيد أساليب الكهنة والمشعوذين الذين ازدهروا في الماضي لكن اليوم هي على نطاق أوسع وأضخم وأكثر وقعاً وتأثيراً على الشعوب. الطب العصري مدعوم من قبل المؤسسات الأكاديمية والإعلامية التي تمثل مصدرنا الوحيد للمعلومات. القائمون على شركات صناعة الأدوية يجندون جيوشاً من العلماء والأطباء والخبراء الصحيين الذين يطلون علينا من خلال وسائل الإعلام المختلفة، ويقولون لنا ما هو أفضل لصحتنا وما هو عكس ذلك، ويطلعونا على دراسات أقاموها (بتمويل من شركات الأدوية) تظهر لنا مدى هشاشة مناعتنا الصحية تجاه الأمراض، فينصحونا بتناول أدوية جديدة توصلوا إليها لإنقاذنا من تلك الحالات المرضية المرعبة! هل تعلم كم هو تأثيرهم قوي على نفوسنا وعقولنا؟

رغم حصول تغيرات جذرية وحتى متناقضة في مفاهيمها بخصوص الطب والعلاج عبر التاريخ، استمرت الشعوب في البقاء على هذه الأرض وتمتعت بصحة جيدة ساعدتها في متابعة مسيرتها التاريخية الطويلة. رغم تبدل أساليب العلاج وطقوسه المختلفة وطرق تناول الأدوية بطريقة جذرية أحياناً، بقي الإنسان قائماً ومستمراً. لكن شيئاً واحداً فقط تغيّر، وهو فقدان الإنسان لإيمانه بنفسه، في مرحلة معينة من مراحل التاريخ، منذ أن سيطر على معتقداته أشخاص آخرون، مشعوذون وكهنة وغيرهم، وراحوا يملون عليه قناعات ومعتقدات مختلفة، فيطبعها دون وعي أو تفكير. وراح الإنسان يقتنع مع مرور الوقت بأنه مخلوق ضعيف يحتاج إلى نصيحة دائمة، خاصة في ما يتعلّق بصحته. فتنشأ أجيال كاملة على أفكار ومعتقدات متوارثة من جيل إلى جيل، قناعات كثيرة غالباً ما تكون خاطئة، تتحكّم بحالتنا الصحية حتى أصبحت هي المعيار الحقيقي لها.

أما اليوم، في هذا العصر الحديث المتطور، فقد نجحت شركات صناعة الأدوية في معظم أنحاء العالم بنشر فكرة أن المرض هو جزء محتوم من الحياة. من خلال الشخصيات العلمية البارزة التي تمثله، قام النظام الطبيّ، وبشكل حاسم وفَعَال، بالحدّ من مدى خيارات العلاج والرعاية الصحيّة التي يدركها العامّة من الناس، وتم توجيههم نحو خيار واحد: "العقاقير الكيماوية الجاهزة". والأبيولوجية التي تركزها مؤسسات صناعة الأدوية هي أن "الطبيّعة الأمّ لم تكن تعلم ماذا تفعل عندما صنعت الجسم البشري"، بينما العلم الحديث وحده الذي يعلم.

الحقيقة الجوهرية التي أخفتها هذه الشركات عن الشعوب من خلال نفوذها الهائل والمخيف سياسياً وعلمياً واقتصادياً هي أن "الجهاز المناعي للكائن البشري هو المسؤول الأساسي والوحيد عن شفاء وعلاج الأمراض". وأن "استخدام الأدوية واللقاحات تمثّل انتهاك جائر للجهاز المناعي الطبيعي". إنّ جسم الإنسان ميّال دائماً إلى الشفاء الذاتي (يشفي ذاته بذاته) حيث أن وظيفته الفطرية هي تكريس نظام صحيح مزدهر. لكننا أجبرنا على كبح وتثبيط هذه العملية الفطرية الطبيعية من خلال تناول طعام غير صحي، ملوثن بيئتنا الداخلية (أجسادنا) بمواد غذائية صناعية، ومعمّدين على مواد كيماوية سامّة (الأدوية) لمعالجة حالاتنا المرضيّة. نحن نعيش حياة غير صحية وغير صحيحة أصلاً. لكن الأهم من ذلك كله هو أننا محكومون بقناعات خاطئة عن أنفسنا. نحن لم نسمع من أي جهة رسمية تقول لنا إنّنا أقوى من ما نحن عليه بكثير، وأننا أقوى من هذه الحالات الصحية التي نتعرّض لها، وهي ليست سوى تجسيد لقناعات مختلفة نشأنا عليها كما نشأت عليها أجيال سبقتنا.

نحن محكومون اليوم بقناعة راسخة تقول بأننا كائنات ضعيفة لا نستطيع العيش دون إرشاد. نحن اليوم أصبحنا نجهل مدى عظمتنا ومدى قدراتنا الباطنية. ليس هذا فحسب، بل يؤمن الكثيرون بأنه إذا تجلّت إحدى تلك القدرات أو القوى فهي من عمل الشيطان!! أما الشياطين الحقيقيين الذين يتحكمون بحياتنا وطريقة تفكيرنا فنتوجه إليهم بفائق التقدير والاحترام!! يا لها من محنة يعيشها الإنسان.

الإيمان هو نمط محدد للوعي

ونمط الوعي يحدد الحالة الصحية

كل ما يحدث في حياتنا وما يحدث في أجسادنا هو نتيجة حصول تغيير ما في الوعي لدينا. إن وعينا هو ما نحن عليه وما نختبره في الحياة. أنت تقرر ما تتقبله من أفكار معينة وترفض أفكاراً أخرى. أنت تقرر بما تفكر وما تشعر به، ولهذه الأفكار والمشاعر تأثير كبير على جسدك المادي. إن نوعية هذه الأفكار والمشاعر هي التي تحدد مدى الإجهاد أو الارتياح الذي يعاني منها أو يتمتع بها جسدك. أما الإجهاد، فسوف يؤدي إلى ظهور أعراض تتجسد حسب نوع هذا الإجهاد ودرجته، أي حسب حالة الوعي. ومن أجل استيعاب هذه الفكرة التي تشير إلى أن ما يصيب حالتنا الصحية سببه داخلي وليس خارجي، سنأخذ أمثلة من الواقع المحيط بنا: الجراثيم موجودة في كل مكان، لكن ما هو تفسير وجود أشخاص يتأثرون بها ويمرضون، بينما هناك أشخاص لا يتأثرون إطلاقاً؟ الجواب هو اختلاف حالة الوعي. في المستشفيات والعيادات الطبية المختلفة، لماذا نجد مرضى يتجاوبون مع الأدوية والعلاجات ويشفون تماماً، بينما هناك أشخاص لا يتجاوبون مع الأدوية؟ الجواب هو اختلاف في حالة الوعي. إن نظرتهم لتلك الأدوية مختلفة، وتتفاوت درجات الإيمان بقدرتها على العلاج من شخص لآخر.

الوعي هو نظرتنا الخاصة تجاه أنفسنا.. الإيمان بما نحن عليه.. هو طاقة بحد ذاتها. طاقة عجيبة يمكنها تجسيد أي حالة عقلية في الجسم ابتداءً من الخلايا وانتهاءً بكامل الجسد. هذه الطاقة لا تكمن فقط في الدماغ. إنها منتشرة في جميع أنحاء جسمنا. هذه الطاقة متصلة بكل خلية من خلايانا. وعن طريق هذا الوعي (الطاقة)، يمكننا التواصل مع كل عضو وكل قطعة نسيجية موجودة في أجسامنا.

ليس هناك دوام للمادة التي يتألف منها جسدنا. الأمر الوحيد الثابت بخصوصه هو التغيير الدائم. كل خلية، كل قطعة نسيجية في جسمنا تتجدد على الدوام بين حين وآخر. نتلاشى الأنسجة القديمة لتأتي محلها أنسجة جديدة نقيّة وصافية من أي شائبة. أي كأنك تهدم منزل قديم لتبني مكانه منزل جديد مطابق في المواصفات الهندسية. لكن

السؤال الكبير الذي يعجز الأطباء عن إيجاد جواب شافي له هو: طالما تم تشييد منزل جديد مكان القديم، لماذا تبقى الشقوق قائمة على الجدار؟! أي بمعنى آخر، لماذا يبقى المرض معلقاً في الجسم رغم تبدّله بالكامل ويصبح لدينا جسم جديد بين الحين والآخر؟! والأخرى؟!

الهيكل العظمي في جسدك يتغيّر بالكامل خلال ٤ شهور؟ وأن المصران لديك تتغيّر كل ٥ أيام؟ وأن الجلد يتغيّر بالكامل خلال يومين؟ ويصبح لديك رتتين جديدتين خلال ٦ أسابيع؟ وخلايا الدم تتبدّل بالكامل خلال أسابيع معدودة؟ كل عضو من أعضاء جسدك يتبدّل بالكامل خلال فترة معيّنة... وطالما أن جسدنا يتغيّر باستمرار بحيث يصبح لدينا جسداً جديداً بين فترة وأخرى (كل ١١ شهر تقريباً)، لماذا تبقى الأمراض معلقة بأعضائنا الجسدية؟! حاول التأمل بهذه الفكرة.

الشيء الوحيد الذي لا يتغيّر في كياننا هو هويتنا ووعينا بأنفسنا. أي أن حالتنا العقلية والنفسية ومعتقداتنا الخاصة عن أنفسنا تبقى كما هي. السبب الذي يجعل السرطان معلقاً بالرتتين رغم تبدلهما بالكامل خلال كل ٦ أسابيع هو الطريقة التي ننظر من خلالها إلى جسدنا الفيزيائي. مجرد أن حصل تغيير في الوعي لدينا يحصل تغيير في حالتنا الجسدية.

وجب علينا معرفة أنه ليس للجسم أي سلطة على المرض أو الصحة. لأن الجسم في النهاية هو عبارة عن تكتل من الإلكترونات (أو جزيئات كهربائية) التي تخضع بالكامل لسيطرة العقل. وأن هذه الإلكترونات الخاضعة لإملاءات المنظومة العقلية هي في حالة تغيير دائم ومستمرّ، وأن الأشكال التي تتخذها تعتمد كلياً على الصور التي نستوحياها في عقولنا. أي أن أجسامنا باختصار هي عبارة عن مفهوم عقلي. هي تمثّل انعكاسات للأفكار التي تستحوذ عقولنا. وبالتالي عندما نمرض، فهذا يعود سببه إلى أن أفكار المرض والوهن قد استحوذت على عقولنا. وإذا أردنا أن نشفى من مرض معيّن، من الضروري أن نبدأ أولاً بتغيير أفكارنا بخصوص حالتنا الصحية قبل اتخاذ أي إجراء علاجي.

يوجد كيان خفي يسميه العلم العقل الباطن (النفس الدنيا)، رغم أنه كيان عقلي عظيم إلا أنه كيان أعمى لا يفكر بل ينفذ الأوامر. والأوامر التي تكون بحوزته خلال ولادتك (وهي الأوامر الافتراضية) تصوّر الإنسان الكامل كما يُفترض أن يكون، لكن هذه الأوامر تشوّهت مع تقدمك في مسيرتك الدنيوية نتيجة القناعات الخاطئة التي تلقّيتها في حياتك على شكل إحياءات صادرة من محيطك، خصوصاً من جهات نعتبرها نافذة ومحترمة وبالتالي هي ذات مصداقية كبرى بالنسبة لنا وبالتالي لهذه الجهات النافذة تأثير قوي على قناعاتنا.



منذ أن سلمنا أنفسنا ومصائرنا لتلك الجهات النافذة بدأت المشكلة تتفاقم، حيث راحت الأجيال تنشأ على قناعة أن المرض يمثل حالة حتمية في حياتنا وأنها كائنات ضعيفة لا يمكنها البقاء دون توجيه وإرشاد. وغيرها من إحياءات سلبية لا تعد ولا تحصى. وكل ما على عقلنا الباطن هو الاستجابة لهذه الإحياءات بحذافيرها، فينخرط في مسرحيات ذهنية

نشأنا عليها أو فرضت علينا عبر العصور التاريخية. وبالتالي ما على العقل الباطن سوى تجسيد هذه المسرحيات الذهنية كحالات مرضية أو غيرها من حالات سلبية أخرى.

إن كامل أجسادنا هي مجرد تجسيدات خارجية لأفكارنا. أي أن قناعاتنا وتصوراتنا الخاصة عن أنفسنا هي التي تساهم في صياغة حالتنا الجسدية والصحية. يكفي معرفة أن انخفاض المعنوية مرتبطة بشكل وثيق بفقدان المناعة. الأرق والهجوم التي تسيطر على الفرد تساهم في إحداث خلل في أداء أحد الأعضاء، أي قد يكون خلل في الإفرازات أو حتى أداء الخلايا.

هل لازلت تشكّ بحقيقة أن السبب الرئيسي للمرض هو التفكير السلبي؟ انظر إذاً إلى شهادات بعض أبرز الأطباء الغربيين التي تؤكّد هذه الحقيقة، وقد وردت في أبرز المراجع الطبية منذ بدايات القرن الماضي: " .. أي حالة غضب أو حزن شديد لا بدّ من أن يتبعها حمى ما في بعض المناطق في أفريقيا .." ، الدكتور سامويل بيكر Sir Samuel Baker ، المرجع: *the British and Foreign Medico Chirurgical Review* .. الإصابة بمرض السكري نتيجة صدمة عقلية يؤكّد حقيقة أنه حالة مرضية ناتجة من أصول عقلية .." ، الدكتور ب.و. ريتشاردسون B. W. Richardson ، المرجع: *Discourses* .. في حالات كثيرة، لاحظت أسباب عديدة جعلتني مقتنع بأن مرض السرطان يتأصل من حالة القلق المزمن .." ، الدكتور جورج بيدجز George Pages ، المرجع: *Lectures* .. لقد فوجئت كيف أن المرضى المصابين بسرطان الكبد يرجعون سبب حالتهم الصحية السيئة إلى الحزن الشديد أو القلق المزمن. عدد هذه الحالات كبير لدرجة يصعب اعتبارها مجرد صدفة .." ، الدكتور مورنثيسون Murchison .. "الأغلبية العظمى من حالات السرطان، خاصة سرطان الثدي والرحم، ترجع أسبابها إلى القلق الذهني .." ، الدكتور سنو Dr. Snow ، المرجع: *The Lancet* . وقد تحدث بعض الأطباء، مثل الدكتور "ولكس" Dr. Wilks ، عن حالات الإصابة باليرقان والتي أرجع أسبابها إلى حالات عقلية معينة. وبعض الإصابات باليرقان يعود سببها إلى قلق مزمن ، تحدث الدكتور "شورتون" Dr. Churton في المجلة الطبية البريطانية *British Medical Journal* عن إحدى هذه الحالات. العديد من حالات فقر الدم الخبيث حصلت نتيجة صدمة عقلية قوية، الدكتور ماكنزي Dr. Makenzie . لطالما عُرف عن نوع من حالات الذبحة الصدرية بأنه ينتج من احتياج

عاطفي، ونوع من الطفح الجلدي الذي يتبع دائماً حالات الإجهاد الذهني الشديد، الدكتور هنتر Hunter. صرّح الطبيب الشهير "ألمر غيتس" Elmer Gates يقول: "... أشارت تجاربي إلى أن العواطف الحاقدة والمحبطة، وكذلك انفعالات شديدة مثل سرعة الغضب، تولّد في المنظومة الجسدية مركّبات كيميائية بعضها يكون شديد السميّة. بينما العواطف السعيدة والراضية تولّد مركّبات كيميائية ذات قيمة غذائية بحيث تنشّط الخلايا وتولّد المزيد من الطاقة...".

الحقيقة العظيمة التي وجب التسليم بها هي أن كل منا هو عبارة عن نظام خاص من الوعي مستقلّ عن غيره.. مبرمج حسب الظرف الاجتماعي والتربوي والثقافي وغيرها من أنماط فكرية مختلفة ترعرع ونشأ وسطها.. كل منا يسير في الحياة وفق درجة معيّنة من القناعة بقدرة معيّنة.. يتم تحديد هذه القدرة حسب نوع البرمجة التي تلقاها وتأثر بها "وعينا" وأمن بها... كلُّ منّا هو نظام خاص من الطاقة... طاقة متدفقة في كياننا.. ويتم توجيهها بواسطة وعينا (حسب القناعات والمعتقدات المخزّنة في العقل الباطن) لكن بواسطة هذا النظام الخاص الموجود في جوهنا يمكننا فعل أيّ شيء، ونعالج أيّ شيء، طالما أنها طاقة.. طاقة قابلة للتوجيه، كل ما عليك هو التعرّف عليها وإتقان طريقة استخدامها ومن ثم توجيهها وسوف تصنع المعجزات.

وفقاً للتعاليم السرية

الإنسان هو ساحر بالفطرة

كانت المفاتيح المؤدية للتشبهات والتناظرات بين مكونات وآليات الإنسان الأكبر (الكون) ومكونات وآليات الإنسان الأصغر (الإنسان) تمثّل الأسرار الأكثر تقديراً وإجلالاً لدى المنتمين للمدارس السرية. وهذا طبعاً له سبب مهم جداً. لقد وجدوا في حدود دائرة الإنسان الضيقة تجسيداً لكافة الغوامض والأسرار التي تحوزها الدائرة الأكبر اللامحدودة وهي الكون. وكامتداد طبيعي لهذا التوجّه في البحث، تم تشكيل نظام فكري لاهوتي يقول بأنّ الله يُعتبر الإنسان الأكبر، وعلى نحو معاكس، يُعتبر الإنسان إلهً صغيراً.

وبالاستناد على هذا التشابه، اعتُبر الكون بأنه إنسان كبير، وعلى نحو معاكس، اعتُبر الإنسان كوناً صغيراً.

بناء على هذه التركيبة الهولوجرافية للوجود والتي تجعل الإنسان صورة مطابقة للخالق [عزّ وجلّ]، فقد أدرك الفلاسفة القدامى بأن القوى الكونية قابلة لأن تُسَخَّر وفق رغبات الإنسان بسبب هذه الوصلة المقدّسة بين عقله الشخصي والعقل الكليّ.

إن نظرة الإنسان تجاه نفسه ككيان ضعيف ومنفصل عن الكون تمثّل سدّ منيع يعزله ويحرمه من التحكم بتياراته وقواه المختلفة. ليس هناك حدود من ناحية العلاقات التي توصل الإنسان بالكون بشكل جوهري ووثيق، حيث مجرد أن جعل الإنسان نفسه موحداً مع أي فكرة أو أي شيء، سوف تزول الحواجز الزمنية والمكانية بينهما. لكن مدى قدرته في السيطرة على ما يستهدفه بتفكيره تعتمد على درجة قوته العقلية، وكذلك على ظروف البيئة الإنسانية التي نشأ فيها (برمجة الوعي). يستطيع الإنسان أن يكون (يتقمّص) أو يسخّر أي شيء يدركه أو يستهدفه بتفكيره.. حيث أن كل شيء يدركه هو بطريقة معيّنة جزءاً منه أصلاً. كل شيء في الكون موصول ببعضه البعض ليشكّل في النهاية كيان واحد موحّد. وبالتالي، وبناءً على هذا المبدأ، يستطيع الإنسان أن يخضع كامل الواقع الذي يدركه ويألفه لإرادته الفردية إذا عرف كيف يحقق ذلك.

في الحالة الطبيعية، وبناء على الطبيعة الاستثنائية للكائن البشري، وكذلك موقعه المميّز في الكون، يمكن اعتبار كل عمل متعمّد يقوم به بأنه عمل سحري. أي كل إنسان يصنع السحر بشكل طبيعي في كل مرّة يتصرّف أو يفكّر فيها، ذلك دون أن يدري طبعاً، لأنه يجهل حقيقة أن كل فكرة تخطر في ذهنه تمثّل إما فعل معيّن أو كينونة معيّنة، وتؤثّر في النهاية على شيء معيّن، مع أن هذا التأثير لا يتجسّد في ذات اللحظة أو ذات الفترة، لكنه يتجسّد في النهاية.

وبناء على ما سبق، تُعتبر الممارسة التجاوزية (التي نسميها اليوم "السحر") بأنها علم أو فنّ إحداهن تغيير يتوافق مع الإرادة لأن حصول أي تغيير مرغوب قد يتأثّر نتيجة تطبيق

النوع المناسب لقوة معينة على الهدف المناسب، وذلك بالدرجة المناسبة، وبطريقة مناسبة، وعبر الوسيط المناسب. وإذا نجح الشخص بمراعاة هذه الشروط، فنياً (ابتكر وسيلة جديدة) أو علمياً (انتهج وسيلة سابقة)، سيُعتبر ساحراً محترفاً.

كل إنسان يدرك ضمناً، أكثر أو أقل، بأن كينونته تتألف من عدة مستويات للوجود، حتى لو كان من العلمانيين/الماديين الذين يعتقدون بأن ذلك الجانب الخفي للإنسان هو مجرد مظهر من مظاهر جسده المادي. والطبيعة أيضاً تتألف من عدة مستويات للوجود، لكن مع ذلك، الإنسان يجهل الطبيعة الحقيقية لكينونته وقدراته. حتى قناعاته بخصوص هذه المحدودية في النظر إلى نفسه تعتمد على تجاربه في الحياة، وكل خطوة إلى الأمام في استكشاف نفسه تساهم في توسع إمبراطوريته الوجودية. وبالتالي، ليس هناك أي سبب لوضع حدود نظرية لهويته الحقيقية أو ما يستطيع إنجازه.

السحر انقلب على الساحر

طالما أننا نتمتع بكل هذه العظمة والمناعة الصلبة والاكتفاء الذاتي في أجسادنا، لماذا إذاً نحن نمرض ونهزم أمام العلل والأوبئة؟ الجواب بسيط وواضح: قناعاتنا بخصوص أنفسنا تمثل عامل أساسي في تقرير حالتنا الصحية. قناعاتنا بخصوص صحتنا تلعب دور أساسي في مناعتنا ضد الأمراض والعلل. بما أننا سحرة بالفطرة، فهذا يجعلنا قادرين على تجسيد أي فكرة أو قناعة مهما كانت سلبية أو إيجابية. لكن المشكلة هي أن قناعاتنا لم تنشأ من بنات أفكارنا بل هي مزروعة من قبل جهات أخرى لها مصلحة خاصة في ذلك. بمعنى آخر أقول: نحن فقدنا الإيمان بذاتنا!!!

الإيمان بالذات... هذا المفهوم الإنساني الجوهري، هذا الوعي بالذات قد تعرّض إلى التحريف المقصود عبر العصور بحيث جعله يبدو كما هو الآن، مفهوم يقول إن: **الإنسان هو كائن ضعيف، لا يستطيع التصرف دون إرشاد، لا يستطيع معالجة نفسه من العلل دون إرشاد، لا يستطيع التفكير دون إرشاد**... فأمن الإنسان بهذا الواقع المزور الذي فرض عليه.. وتم إرشاده وتوجيهه، ومن ثم توجيهه.. إلى أن وصل إلى

هذا المستوى من الانحطاط الروحي والفكري والمعنوي... انحطاط كبير بكل ما تعنيه الكلمة من معنى.. مأزق فكري عظيم يصعب الخروج منه بسهولة. لأن هذا الوضع الإنساني البائس قد صمّم بإتقان كبير من قبل جهات معيّنة سيطرت يوماً على أرواح الشعوب.

لقد حصل تغيير ما في جوهر الإنسان في مرحلة معيّنة من مراحل التاريخ الطويلة، لا نعرف متى وأين ولماذا، لكن هذا التغيير قد تم فعلاً، وكذلك طريقة تفكيره ونظرته إلى الحياة بشكل عام. لقد فرض على الإنسان منذ زمن بعيد، ولأسباب لازلنا نجهلها، بأن يقتنع بفكرة أنه مخلوق ضعيف. وقد توارثت هذه الفكرة أجيال كثيرة متتالية مما جعلها تصبح حقيقة واقعية غير مشكوك بها. لكن مهما قال رجال العلم ورجال الأيديولوجيات، ومهما خرجوا بنظريات وأفكار ومعادلات وقوانين وتفسيرات مختلفة، لا يمكن إنكار حقيقة ثابتة تفرض نفسها، وهي **أنا أقوى من ما نحن عليه بكثير**، وبأننا نملك قدرات وقوى لازلنا نجهلها، وقد ولدت معنا لكننا لم نتمكن من استثمارها، وبدلاً من ذلك، نمرّ بهذه الحياة بكل بساطة ونتمنى الأفضل لأنفسنا ونحن نجهل أن الأفضل الذي نتمناه هو في داخلنا.. جاهز دائماً للتجلي والتجسيد.

منذ ولادتنا، نبدأ الخوض في معترك هذه الدنيا، ونبدأ بتعلّم أشياء كثيرة، فنتعلم كيف نمشي وكيف نتكلّم وكيف نكتب ونقرأ.. إلى آخره، لكن لا أحد يعلمنا كيف نستخدم عقولنا! لا أحد يعلمنا كيف نستخدم وعينا بذاتنا الحقيقية، الإيمان الحقيقي بأنفسنا. ظواهر كثيرة تشير إلى أننا أكثر من ما نحن عليه بكثير. لكننا نتجاهلها، ونسير وفق المعتقدات التي فرضتها علينا الأنظمة الاجتماعية السائدة. كيف لا نتجاهلها ولازلنا نجهل ما هو الإيمان.. الوعي بالذات.. وعلاقته الصميمية بواقعنا وحياتنا الشخصية؟

.....

الإيمان بكائن أعلى

شرط أساسي لتفعيل القوة الحيوية الخارقة في كياننا

في مزار "لوردز" Lourdes بفرنسا، اهتم الأطباء في فحص الكثير من المؤمنين الزوار الذي قدموا إلى المكان بأمل الشفاء والعلاج. وقد تراكمت سجلات طبية توثق حالات عجيبة كثيرة عبر قرن من الزمن. هذه السجلات تتحدث عن تفاصيل الكثير من الحالات التي لا يمكن تفسيرها علمياً، لكنها حصلت دون أدنى شك. تم توثيق العلة أو المرض والمدة التي استغرقها قبل أن يشفى تماماً ومن ثم توثيق الحالة بعد الشفاء وكيف كانت الحالة النفسية للمريض الذي شفى تماماً.. وغيرها من تفاصيل.

إذا أردنا تصنيف حالات الشفاء فنرى أنها من نوعين: النوع الأول يتمثل بالشفاء الكامل والسريع بحيث لا يمكن تسجيل أي مدة زمنية لأن الشفاء فوري إذ استغرق ثوان أو لحظات. وحالة الفاء هذه شملت كافة العلال مثل ترميم عظام مكسورة أو جلد مشوه أو حالات شلل أو وهن أو غيرها من علل لا يمكن أن تشفى بهذه السرعة وفق المنطق العلمي المألوف. أما النوع الثاني من الشفاء فهو يختلف من حيث المدة الزمنية، أي قد يستغرق عدة أيام قبل أن ترمم العظام أو الجلد أو غيرها من أعضاء معطوبة.

كافة أنواع العلال والأمراض تم شفاؤها بهذه الطريقة. الكتل السرطانية اختفت، العظام المشوهة استقامت، حاسة السمع أو البصر عادت إلى حالتها الطبيعية... والقائمة طويلة جداً، وكلها موثقة طبياً.

لكن في الحقيقة ليس فقط مزار "لوردز" شهد هذه الظاهرة العجيبة في شفاء العلال والأمراض، بل يوجد الكثير من هذه المواقع المقدسة حول العالم وتعود لأديان أخرى مختلفة. لكن السر لا يكمن في هذه المواقع بل في مكان آخر تماماً. الأمر الذي وجب معرفته هو أنه ليس كل من يزور تلك المواقع المقدسة يشفى بل نسبة قليلة فقط. والسر يكمن في هذه النسبة القليلة وفيما تتمتع به من طريقة تفكير. إنه الإيمان المطلق بكائن

أسمى. درجة الإيمان بهذا الكائن الأعلى هي التي تحدد سرعة الشفاء. لكن المهم هو عنصر الإيمان وهذا الذي يهمننا. إن السبب الذي يجعل البعض يشفون تماماً بينما البعض الآخر لا يشفى هو صيغة هذا الإيمان وصيغة التوجه للكائن الأسمى (أي الله في الحالة المسيحية) وطريقة التضرع إليه وغيرها من عناصر أساسية تجعل الإيمان يفعل فعله في تحقيق المعجزات.

أما موضوع الكائن الأسمى فهو مهم جداً في المعادلة رغم اختلاف الطريقة التي يُنظر إليه بين أتباع الأديان المختلفة. لكن المهم أنه يمثل الكائن السامي الجليل الذي يعلننا مرتبةً ويمثل جوهر وجودنا. الكاهونا في هاواي نظروا إليه بطريقة مختلفة بحيث يمثل أعلى مستويات الكينونة البشرية، أي النفس العليا، وسموه "أوماكوا". المهم إذاً أن يتوجه الفرد في صلاته أو تضرعه إلى كائن أعلى جليل المرتبة وعظيم القدرة، وهذا يكفي لتفعيل تلك القوة العظيمة التي يعتبر العلاج والشفاء أحد تجلياتها العجيبة اللامتناهية.

ذكر الكاتب "لونغ" في كتابه أحد الأمثلة المهمة على هذا الموضوع تحديداً وربما يساهم في توضيح الفكرة جيداً لدى القارئ الكريم. لأن الفرد الذي تتمحور حوله القصة لا ينتمي لأي دين وهو في الحقيقة علماني التوجه. وبالتالي فالكائن الأعلى الذي تضرع إليه هو من بنات أفكاره ولا يتمتع بأي من الصفات التي نألفها عنه في الأديان المختلفة الأخرى، لكنه آمن بوجوده وهذا كل ما في الأمر. كتب لونغ يقول:

".. في بداية العشرينات بينما كنت في هونولولو كان هناك فندق كبير قيد البناء وتم إرسال رجل خبير من أمريكا لتركيب المصاعد elevators. تعرفت عليه في إحدى المناسبات واكتشفت بأنه يتمتع بقدرة إدراكية عجيبة بحيث يستطيع استشعار الأشياء دون الاعتماد على حواسه التقليدية. فيستطيع مثلاً معرفة إن كنت في المنزل أو خارجه، كما يستطيع التنبؤ بحوادث طائرة قبل حصولها. وقد استعرض هذه القدرة أكثر من مرة أمامي وبأكثر من صيغة.. كان مثلاً عند زيارته إلى منزلي يقف على الباب ويصمت للحظات وإذا استشعر وجودي في المنزل يقرع الباب، لكن إذا لم يستشعر وجودي يذهب فوراً دون أن يكلف نفسه بقرع الباب.. قررت في إحدى المرات أن أخدعه من خلال عدم

استجابتي له عندما يقرع الباب، لكنه رفض المغادرة وأصرّ على أنني موجود في الداخل. راح يقرع باستمرار ويقول: افتح يا لونغ، أنا أعلم أنك في الداخل وتحاول خداعي.. هيا افتح.."

".. أما قصة هذا الرجل فهي كما يلي.. اختبر في فترة سابقة من حياته حالة من سوء الحظ أصابته خلال عمله كمهندس تركيب المصاعد في إحدى الشركات الكبرى التي تصنع هذه الآلات. كان العمال الذي تحت إشرافه يصابون بالحوادث الخطيرة على أنواعها رغم حذره الشديد خلال إدارته للورشات. وفي النهاية قررت إدارة الشركة فصله من العمل. في ذلك الوقت كان لديه ابنة مقعدة عمرها حوالي العشرين سنة وهي ملازمة دائمة للسرير منذ عدة شهور. زوجته توفيت منذ عدة سنوات وكانت ابنته تدبر المنزل قبل مرضها. خسر وظيفته في فترة كانت صعبة جداً لدرجة أنه لم يستطيع إيجاد وظيفة أخرى. لتزيد الأمور سوءاً، بدأ هذا الرجل يمرض، المرض تلو الآخر، إلى أن انتهى به الأمر عند الطبيب الذي فرض عليه إلّتزام السرير معظم أوقاته.."

".. لمقاومة بأسه وإحباطه بدأ الرجل يقرأ كتب دينية خصوصاً تلك التي تعود لمذهب "كريستيان ساينس" *Christian Science* وانتقل لاحقاً إلى قراءة كتب تعود لمذهب "الفكر الجديد" *New Thought* ثم إلى كتب تعود إلى مذاهب أخرى تهتم بالعلاج الروحي، لكن دون جدوى.. وفي النهاية، بعد أن نفذت مدخراته المالية زاد بأسه والتزم السرير طوال الوقت، واستنتج أخيراً أن كافة التعاليم الدينية هي غير كاملة وبالتالي عديمة الجدوى. لكن مع ذلك فلا بد من وجود نكاء أعلى يمكن للإنسان مناقشته، لكن الرجل لا يعلم كيف.. لكن هذه الفكرة استحوذت عليه، وراح يمضي كامل وقته ومجهوده يوماً بعد يوم ساعياً إلى التواصل مع هذا النكاء الأعلى.."

".. في يوم من الأيام أحسّ فجأة بأنه على تواصل مع شيء غامض. شعر برعشة كهربائية خاطفة وحادة، هذه الرعشة الكهربائية لا تشبه شيء اختبره سابقاً. وفي الحال، صاح طالباً المساعدة من هذا الشيء، راح يستجديه لأن يعيد صحته وعافيته. صاح قائلاً بأنه عليه الحصول على مساعدة مهما كان الثمن، وأنه يهّم الآن ترك سريريه

والوقوف على رجليه مستعرضاً بذلك إيمانه الكامل. رويداً رويداً استطاعة أن يقف على قدميه من جانب السرير وهو في حالة صلاة مستمرة. ثم خطى أول خطوة، ثم خطوة أخرى، وقد فرح كثيراً عندما اكتشف بأن قوته وعافيته تتعاضدان بشكل عجيب. تحولت صلواته إلى حمد وشكر لذلك الشيء الغامض. وخلال دقائق معدودة بدى واضحاً بأنه قد شفي تماماً وعافيته عادت بالكامل..".

".. مع شعوره بالانتصار والبهجة الغامرة، ذهب مسرعاً إلى غرفة ابنته وأخبرها ما حصل معه. راح يحفزها على محاولة التواصل مع ذلك الشيء الغامض. حاول التواصل معه مرة أخرى لكنه عجز عن ذلك..".

".. مرّ عدة أيام. فعاد إلى حياته السابقة مبتدئاً من النقطة التي تركها فيها، وحاول عبر ساعات الأيام تكرار الإجراء الذهني الذي قام به عندما حصل التواصل مع ذلك الشيء. وبعد حين، وبشكل فجائي وبنفس الرعشة الكهربائية التي أصابته، حصل التواصل. فبدأ فوراً يصلي باهتياج لذلك الشيء الغامض متوسلاً إليه أن يشفي ابنته. ثم بعدها أسرع إلى غرفة الابنة مع استمراره في الصلاة والتضرّع، أمسك بها من يديها وراح يشدها للوقوف على رجليها. قال لها: استخدمي إيمانك! انهضي واثبتي أنك تستطيعين!.. فتجاوبت الابنة لطلب والدها فراحت تصلي وتتضرّع للتحرّر من سجن السرير. وكما حصل معه تماماً، عادت العافية لابنته بشكل عجيب. نهضت من السرير وخطت أول خطوة، ثم الثانية. لقد تجلّت معجزة الشفاء الفوري في الفتاة كما سبق وتجلت في والدها. بعد الحمد والشكر، ارتدت لباسها وبدأت حياة جديدة مفعمة بالصحة والعافية..".

".. بعد عدة أيام استطاع مرة أخرى الحصول على ذلك التواصل المكهرب. لقد كان بانتظاره، وكان حافظاً للصلاة عن ظهر قلب، فراح فوراً يتليها في حضور ذلك الشيء. طلب أن يستعيد وظيفته السابقة مع شركة المصاعد الكهربائية. مع ثقته بأن صلاته استجيبت، ذهب مباشرة إلى إدارة الشركة وتحديداً إلى المدير الذي طرده قبل شهر. دون أن يروي أي تفسير أو شرح من أي نوع، قال بهدوء: أنا جاهز للعمل مرة أخرى، في أي ورشة تحتاجني أن أكون؟.. ما كان على الرجل وراء المكتب أمامه سوى النظر

إليه بإمعان لمدة لحظات، ثم أخذ من مكتبه مجموعة أوراق وسلمه إياها، وسمى المدينة التي تقع فيها ورشة التركيب التي عليه استلامها..".

".. هذه كانت بداية مستقبل مزدهر لا يصدق. من خلال الممارسة، تعلم الرجل كيف يتواصل مع ذلك الشيء الجليل حسب الرغبة والطلب، ولم يمر أي صباح أو مساء دون إجراء تواصل معه. وفي النهاية تكونت لدى الرجل حاسة خاصة بحيث يستطيع التنبؤ بحصول حادث مستقبلي في الورشات التي عمل بها، وكان ذلك الشيء يرشده بطريقة فوق حسية بموقع الحادث المستقبلي، فكان الرجل يسبق الحادث من خلال الحضور في الموقع قبل الأوان والسعي إلى تدارك الأمر فتمضي الأمور بسلام..".

تعليق: في هذا المثال السابق حصلنا على مجموعة ظواهر تتراوح بين الشفاء الفوري من العلل المزمنة، وكذلك الفرج المادي حيث تحرر الرجل وابنته من المشاكل المالية. الدور الذي لعبته النفس العليا (التي سماها الرجل ب"الشيء") واضح جداً، حيث استغرق الرجل فترة من الوقت لتدريب النفس الدنيا لديه (العقل الباطن) لإجراء تواصل مع النفس العليا. الأمر الأهم الذي استنتجناه من هذا المثال هو إمكانية التواصل اليومي، أو حتى بالساعة والدقيقة، مع النفس العليا التي لن تبخل بإرشاداتها وعطاياها إذا طلبنا منها ذلك.

نظرية الكاهونا بهذا الخصوص تقول بأنه مسموح لنا ممارسة الإرادة الحرة، حيث النفس العليا لا تتدخل في شؤوننا مهما كانت حياتنا ملتوية أو شاذة عن المسار. إن تدخلها لن يحصل إلا إذا طلبنا منها مساعدتنا. الطلب هو الذي يفتح أبواب السماء. يقول الكاهونا بأن النفس العليا تتوق إلينا وتتحسر علينا كما تفعل الأم أو الأب تجاه ابنه. فهي متشوقة دائماً لمساعدتنا وإرشادنا لكنها ممنوعة من ذلك لأننا بعيدون عنها في تفكيرنا وتوجهنا وحتى معتقداتنا وقناعاتنا التي تمثل جميعاً سد منيع ضد التواصل معها، وسوف يبقى الأمر كذلك إلى أن نكتشف وجود هذا الكائن السماوي الجليل ووجود سبيل للتواصل معه وتلقي حسناته وعطاياه.

لا يمكننا معرفة أي قانون كوني بالضبط يمنع التواصل الطبيعي والتلقائي بين النفس العليا والإنسان الدنيوي، لكن يمكننا الحكم بأنه لا بد من وجود قانون، لأن هذا التواصل لا يحصل طبيعياً بل وفق شروط معينة. لكن أنا شخصياً أعتقد بأن النفس العليا، وهي الشمس الباطنية في كيانتنا، الكائن النوراني الجليل، لا تتدخل في حياتنا بشكل تلقائي لأننا جننا إلى هذه الدنيا لنختبر ونتعلم ومهما كانت الظروف صعبة وقاسية علينا فهي تعلم أنها مجرد وهم وبالتالي لا يمكن لهذا الوهم أن يؤذينا مهما بدا الأمر كذلك، وعندما تنتهي زيارتنا إلى هذا العالم الدنيوي (الموت) سوف نعود إليها سالمين مطمئنين. فنقف أمام هذا الكائن النوراني الجليل ونُحاكم أنفسنا على أفعالنا (أنظر في الجزء السادس) ثم بناء عليها نقرر كامل السيناريو لحياتنا الدنيوية التالية فنعود ونتجلى في الدنيا مرة أخرى لتتعلم المزيد من الدروس بالاعتماد على هفوات الحياة السابقة، فيزداد الوعي لدينا وتتوسع معرفتنا وحكمتنا وهذا هو الهدف من تجليتنا أصلاً. وسوف تستمر هذه الدورة الأبدية إلى أن تكتمل حكمتنا وتصبح نفسنا كاملة النقاء فلم يعد ضرورياً تجليتنا مرة أخرى في هذا الملعب الدنيوي الذي استخدمناه كمدرسة ساعدتنا على إدراك الكمال. فننتقل إلى مرتبة أخرى تتمثل بعالم آخر لا نستطيع تصوره بناء على مفاهيمنا الحالية.



عند موت الجسد وحضور الأنا
أمام الذات بشكل مؤقت، تعود
النفس للإندماج مع محتوى
الكينونة انتظاراً للتجلي مرة أخرى
في العالم الدنيوي، هذا الحضور
المؤقت أمام الكائن النوراني هو
ذاته المحكمة الأوزيرية التي
تحدثت عنها المخطوطات
المصرية القديمة، التي جاءت
منها مفاهيم الأديان السماوية
لاحقاً بخصوص المحاكمة بعد
الموت.

الإيمان وحده لا يكفي

وجب تحديد عناصر أساسية يتمحور حولها هذا الإيمان،

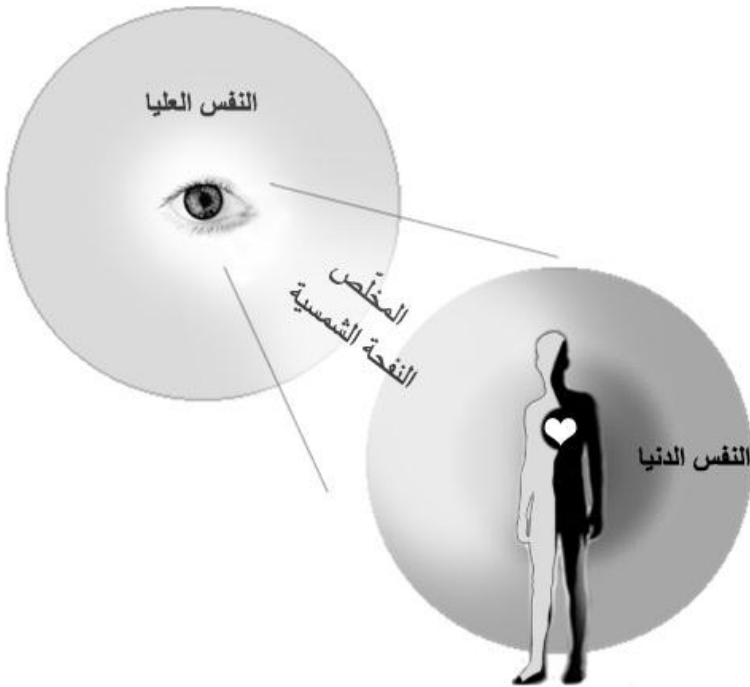
أهمها حقيقة وجود النفس العليا

بعد التعرف على مدى تأثير الإيمان على كامل منظومتنا الجسدية وكذلك على ظروف حياتنا وعلى مصيرنا عموماً أصبح واضحاً أنه من أجل خلق حياة مناسبة لأنفسنا وجب إيجاد سبيل مناسب للسيطرة على الإيمان لدينا. بعد أن تحسم مسألة الإيمان وتعرف كيف تخلق واقعاً جديداً تؤمن به وتسلم به أنه حقيقي، أصبح عليك الآن تحديد المواضيع التي وجب الإيمان بها وتسلم بواقعيتها. أهم المواضيع هي التسليم بوجود كائن أسمى جليل المرتبة وعظيم القدرة. وهذا بالضبط ما فعله الكاهونا في هاواي وباقي الشمانيين والسحرة في الثقافات المختلفة.

إن الإيمان بكائن أعلى ليس خيار بل ضرورة. طبعاً أنا لا أقصد ذلك الإيمان الذي تفرضه الأديان والذي يفرض الإيمان بالله يكره الآخرين ويأمر بقتلهم وسبي نسائهم وسرقة ممتلكاتهم، بل كائن يمثل أعلى مستويات كيانك المتجلي، وقد أشرت إليه بأسماء مختلفة مثل الشمس الباطنية أو النفس العليا. هذا هو الكائن النوراني الجليل الذي نرفض إدخال نوره إلى حياتنا اليومية لأننا غير مستعدين للتخلي عن أي من مكتسباتنا الدنيوية الفانية مقابل تجلي هذا النور حتى لو كان مخلصنا الوحيد والأبدي من العذاب السرمدى. هذا النور يحاول دائماً التجلي في كياننا الدنيوي لكنه يواجه مصير بائس حيث رمز إليه القدماء بأنه ابن الشمس الذي صُلب وعذب وعاد إلى والده في السماء. هذا ما تتمحور حوله التعاليم المسيحية أصلاً. لكن لا يفطن أحد إلى أن هذا النور الشافي يتجلى دائماً وبشكل متكرر في كياننا وبالتالي يُعذب ويُصلب بشكل متكرر من قبل القوى الدنيوية التي تسيطر على توجهنا الفكري.

نحن مشغولون دائماً وأبداً بشؤون الحياة الدنيوية محاولين دائماً توفير كل ما يشبع غرائزنا ورغباتنا ومهووسين بالبقاء سالمين ومعافين في هذه الدنيا الفانية وبالتالي ننسى

أن المخلص موجود دائماً وأبداً لكنه يطرد من منظومتنا العقلية دائماً وأبداً. وسوف يبقى الحال كذلك إلى أن يأتي اليوم الذي نتعلم فيه كيف نُسلم تماماً لهذا الكائن النوراني الجليل بحيث نتركه يدير شؤوننا كما تراه حكمته الإلهية مناسباً. وهذه الحالة الأخيرة تسمى الإسلام الكامل. هذه هي الحالة التي يدعونا إليها الإسلام الحقيقي.. الدين الإسلامي الحنيف والذي هو أكثر الأديان التي تعرضت للظلم وسوء التفسير بسبب اختطافه من قبل جهات دنيوية مقبّية موعلة في الظلم والاستبداد والمكر والشرّ المطلق.



بعدما تسمح لنور النفحة الشمسية في الدخول إلى عالمك الدنيوي، يتجلى المخلص، ابن الله، نور النفس العليا، تصبح حينها مسلماً حقيقياً لأنك سلمت كامل شؤونك الدنيوية للكائن النوراني الجليل لكي يديرها وفقاً لما تراه حكمته مناسباً

سبق وذكرت أنك، بفضل تلك القوة العظيمة بداخلك، تستطيع تجسيد ما ترغب به لكن بنفس الوقت تستطيع تجسيد القوة التي تمكنك من تجسيد كل ما ترغب به ويوجد فرق

كبير بين الحالتين. وطبعاً أنت بكل تأكيد سوف تختار الخيار الثاني، ومن أجل أن تتجح في تفعيل تلك القدرة التي تمكّنك من تجسيد كل ما ترغب به يوجد عنصر مهم جداً وجب حضوره في المعادلة وهو الإيمان بكائن أعلى (النفس العليا) بحيث تسلّم بوجوده منطقياً وتتفاعل معه وجدانياً وتكون واثقاً كل الثقة بأنه يستطيع تلبية كل ما ترغب به. من هنا جاء مفهوم علاء الدين والفانوس السحري. كل فرد منا يوجد بداخله مارد سحري يستطيع تلبية كل ما يرغب به لكننا نجهل هذه الحقيقة الرائعة. وفقاً لرواية علاء الدين، من أجل أن تجد الفانوس السحري الخاص بك (صيغة التواصل مع المارد السحري) عليك النزول إلى المغارة تحت الأرضية (خفايا النفس الدنيوية) وتبحث عن الفانوس. وفي النهاية لا بد من أن تجده.

وفقاً للمصريين القدامى، مجرد أن بدأ هذا الكائن الأسمى التجاوب مع طلبات الشخص ورغباته فسوف يستحق هذا الشخص حينها لقب الكاهونا أي أن الـ"كا" (النفس العليا) أصبحت في "حوزة" الشخص ومتغاممة مع إرادته، ومن هنا جاءت كافة الكلمات الرديفة والمشابهة والتي تحمل معاني القوة والعظمة والجلالة، مثل كاهن، كوهين، كهان، كيهون، خان.. إلى آخره.

الفرق بين الكاهونا والمشعوذ

لكن تمهل قليلاً وتريث، إذ لا بد من توضيح مسألة مهمة جداً، وهذه المسألة هي التي تحدد الفرق بين الكاهونا الحقيقي والمشعوذ الدنيوي. الفرق بين الكاهونا الأصيل والكاهونا المشعوذ هو أن الأول قام بتفعيل الوعي السحري لديه لكن يترافق معه حكمة إلهية جليلة تمنعه عن اقتراف الخطايا من أي نوع، أهمها الأذى. بينما الثاني لازال يعتمد على القوى والقدرات التي تمنحها النفس الدنيا فقط، أي قام ببرمجة المقامات الثلاثة الدنيا (وفقاً لمخطط شجرة الحياة) بحيث ضبط معايير الإيمان لكي تتجلى لديه قوة سحرية. بينما من أجل تفعيل الوعي السحري (النفحة الشمسية) لا يمكن للفرد أن يستخدم قواه للأذى إطلاقاً.. هذا مستحيل.. لأن نور النفس العليا قد تجلّى في كيانه وبالتالي أصبح يتمتع بالحكمة الكافية ليمتنع عن فعل أي نوع من الأذى أو يتصف بأي

نوع من الطمع الدنيوي. لقد فرضت عليه أخلاقياته أن يصبح خادماً للجميع.. يخدم دون مقابل.. أصبح يعلم بفضل حكمته الجليلة بأنه جاء إلى هذه الدنيا ليتعلم، ليختبر، وليخدم.. وما يكتسبه من حكمة ومعرفة نتيجة ذلك هي الكنوز الحقيقية التي يستطيع أخذها معه بعد الموت، بينما القصور والذهب والجواري والخدم وغيرها من ممتلكات دنيوية فانية سوف تبقى مكانها. لا يستطيع أخذها معه إلى العالم الآخر. لا يستطيع أخذ سوى ما سوف يحاكم عليه من أعمال اقتترفها في هذه الدنيا الفانية، وما اكتسبه من حكمة ومعرفة بعد ما اختبره وتعلمه خلال حياته الدنيوية المؤقتة.

لا يمكن للإنسان الذي يتجلى فيه المخلص أن يفعل أعمال خالية من المحبة والرأفة والعفة والزهد والكرم والتضحية.. لا يمكن أبداً. حينما يتجلى المخلص يتجلى معه نور الحكمة والبيّنة والاطمئنان. هذا هو الكاهونا الأصيل. وبالتالي لا يمكن أن يكون المشعوذ بأي طريقة من الطرق سوى إنسان دنيوي محكوم بشؤون الدنيا ومسحور بمغرياتها وبالتالي أهدافه وغاياته هي دنيوية. من هنا يمكننا التمييز بين الساحر الأبيض والساحر الأسود. المشكلة لا تكمن في السحر بذاته، بل في من يستخدمه وكيف يستخدمه ولأي غاية يستخدمه.

معظمنا يجهل وجود ذلك الكيان العظيم في جوهرنا والذي هو مسؤول عن وجودنا أصلاً. بدلاً من ذلك نحن نتجاهل عالمنا الداخلي بكل عظمته ونوجه انتباهنا إلى عالمنا الخارجي بحثاً عن السعادة والأمان والحياة الرغيدة. وجب أن نبدأ في تغيير طريقة تفكيرنا، خصوصاً بما يتعلق بامتدادنا الباطني حيث يقبع كائن عظيم. جميعنا لدينا عقدة نفسية تقبع عميقاً في النفس الدنيا (العقل الباطن) وتمنعنا من التواصل مع النفس العليا. هذه العقدة النفسية هي عبارة عن قناعة راسخة بأنه لا وجود لنفس عليا أو كائن جليل يقبع في أعلى مستويات كياننا. المدارس السرية تعرف جيداً هذه العقدة النفسية وتعلم كيف تزيلها تماماً من النفس الدنيا. هذا أول ما يفعله المنتسبون إلى المدارس السرية، أو تلاميذ الحوزة السرية في هاواي. إن معرفة الذات أو النفس العليا وتعلم كيفية التواصل معها هو أول دروس الراجا يوغا RAJA YUGA مثلاً. والموضوع التالي يوضح المسألة أكثر.

فكرة موجزة عن مناهج اليوغا الأساسية

لقد عرف الحكماء البيوجيون، ومنذ زمن غابر، بأن العقل قابل لأن يلعب دور الكمبيوتر الذي نعرفه اليوم، أي يمكننا تحميله ببرنامج فيه "منظومة معلوماتية" خاطئة أو غير صحيحة أو مزورة، والمحصول الناتج هو مجموعة من الأوهام التي يتخبط فيها العقل وصاحبه. وها نحن نعود للحكمة الهندية القديمة التي طالما تحدثت عن "الوهم" illusion الذي يسود عقول البشر، وهذا مفهوم أساسي في معظم الفلسفات الشرقية. فحوض الحياة من خلال عقل مزود بمنظومة معلومات وهمية سيجلب لصاحبه المربك الكثير من الألم واليؤس.

وبالفعل، فالهروب أو النجاة من "الوهم" يُعتبر موضوع رئيسي في مناهج "اليوغا". ويُقصد بـ"الهروب" هنا أن "يتخلص" الفرد من "المنظومة المعلوماتية الذهنية الخاطئة" التي جردته من العناصر الأساسية التي تمكنه من عيش الواقع الحقيقي بسعادة وهناء. وهذا ما تحققه فلسفة "الفيدانتا" Vedânta بنجاح. حيث أن فروعها الفلسفية/التدريبية يمكنها تصحيح أنواع مختلفة من الأنظمة الذهنية الوهمية/الخاطئة في العقل، ومن ثم تحميل (أو إيقاظ) أنظمة ذهنية تساهم في تنشيط وتفعيل ما نسميها بالقوى الكامنة، وهي قوى عقلية/جسدية هائلة بشكل مخيف. يمكن تحديد موقع هذه القوى ثم تطويرها وتعزيزها، لكن هذا الأمر لا يتحقق إذا لم يُهَيَأ العقل والجسد بشكل صحيح، وذلك عن طريق تزويد الفرد بمنظومة معلوماتية تساعده على إدراك، أو الوعي بوجود، هذه القوى الكامنة في كيانه.

أما بخصوص المناهج التدريبية التي تساعد الفرد في التعرف على الحقيقة من خلال عيشها وممارستها عملياً، فكما ذكرت سابقاً، يمكن استخلاص عدد لا يُحصى من تطبيقات "اليوغا" من النصوص الهندية القديمة، وهذه التطبيقات تغطي كافة مجالات الحياة وبالتالي يصعب شرحها جميعاً. لكن على أي حال، بالاعتماد على فلسفة

"الفيدانتا" Vedânta التي تشمل أفرع مختلفة من علم اليوغا، يمكننا تصنيف خمسة فروع مختلفة، وهي المألوفة اليوم حول العالم:

[١] "هاثا يوغا" Hatha Yoga، هو الفرع من علم اليوغا الذي يُعلم كيف يسيطر الفرد على كامل المجريات والنشاطات المتعلقة بالقسم الجسدي من كينونته. [٢] "كارما يوغا" Karma Yoga، تمثل "الكارما يوغا" فرع علم اليوغا الذي يتناول "الكارما"، وتوصف الطريقة التي تمكّن النفس الفردية من تخليص نفسها من دورة الفعل وردّ الفعل، وبعد نفاذه من هذا القانون "السببي" الطاغي الذي يشمل الجميع، يمكنه إحراز الحرية الكاملة وإنجاز أسمى غايات الحياة، وعبر التصرف الصحيح وحده يمكنه تحقيق الهدف النهائي للدين. [٣] "بهاكتي يوغا" Bhakti Yoga، تعلّم "البهاكتي يوغا" بأنه يمكن الوصول إلى النهاية الختامية لكل الأديان عبر محبة وعبادة الله الذي هو خالق وحاكم الكون المحسوس. هذا الفرع يؤدي إلى نفس الغاية التي تتشدها فروع اليوغا الأخرى، لكنه مُخصص لكي يناسب الأفراد الذين يتصفون بطبيعة عاطفية زائدة حيث تكون مشاعر الحب والتقوى متطورة لديهم. [٤] "جنانا يوغا" Jnâna Yoga. هذا الفرع الأخير يمثل درب الحكمة. والغاية المُتلى التي ينشدها أتباعها هي معرفة الحقيقة المطلقة، التي هي المصدر المشترك لكل الظواهر الملموسة والخفية في الكون. هذا الفرع يعلم بأن هناك حياة واحدة، كائن واحد، واقع واحد، وأن كل الأفكار والعقائد المختلفة، وكل المعتقدات المسلّمة بثنائية الوجود أو تعدد الوجود هي مجرد أوهاام غير حقيقية. [٥] "راجا يوغا" Râja Yoga، وتتعامل كلياً مع الجانب العقلي من كينونة الفرد والتقوى الروحية المختلفة المتعلقة بهذا الجانب. يمكن اعتبارها نوع من علم النفس التطبيقي، وهو قريب جداً من نظام الحوزة في هاواي لكنه مختلف من حيث بعض المفاهيم. لكن كلاهما يسعيان إلى توفير الظروف المناسبة لتجلي النفس العليا. الهدف من هذا الفرع هو إزالة كل العبات الذهنية واكتساب حالة ذهنية سليمة وقابلة للسيطرة تماماً. الغاية الأساسية لتدريباته هي تطوير الإرادة وتنشيطها، وكذلك قوة التركيز، وتقود الباحث عن الحقيقة إلى هدفه المنشود عبر مسار التركيز والتأمل. تستند فلسفة هذا المنهج التدريبي على فكرة أنه من يحقق سيطرة كاملة على عقله يستطيع أن يحكم كل الظواهر في الطبيعة. إنه يُعلم حقيقة أن العقل هو القوة السيّدة في الكون، وأنه عندما تكون قواه

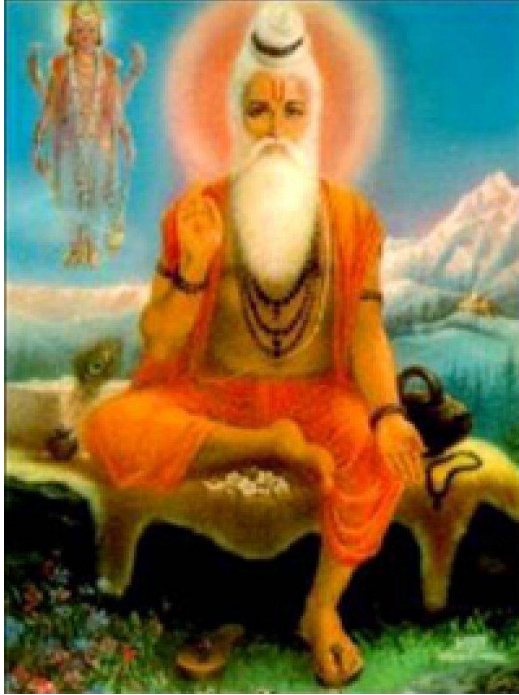
مركزة بشكل صحيح على غرض معين، سوف تُكشف الطبيعة الحقيقية لهذا الغرض. بدلاً من استخدام الأدوات (تليسكوب أو ميكروسكوب..)، كل ما علينا فعله هو التركيز على الشيء المُستهدف وسوف نعرف كل شيء عنه، وليس هذا فحسب، بل يمكن السيطرة عليه والتحكم به حسب الرغبة. يمكن لهذا الشيء المُستهدف أن يكون ذو طبيعة مادية، عقلية، أو روحية. أهم القدرات التي يمكن تطويرها عبر هذا المنهج التدريبي هي الإدراك فوق الحسي، علم الغيب، التحكم بالأشياء عن بُعد، السيطرة على العقول.. إلى آخره.

أما الدرس الأول والأساسي الذي تعلمه مدرسة الراجا يوغا" فهو التعرف على النفس العليا لدى المريد، وتسميه الذات الحقيقية. دون إدخال هذا الكيان العلوي الجليل إلى المنظومة المعلوماتية للفرد بحيث يصبح مألوفاً لديه ويسلم بواقعيته فسوف لن يتوصل إلى أي نتيجة من أي نوع. الموضوع التالي يوضح الفكرة جيداً.

معرفة الذات الحقيقية

يعتبر الدرس الأول في مدرسة الراجا يوغا

THE "I" in RAJA YOGA



في مدارس الراجا يوغا في الهند، عندما يتقدم المريدون إلى أسياد اليوغا طلباً للتعليمات، يُمنحون سلسلة من الدروس المصممة لتتويرهم بخصوص طبيعة الذات الحقيقية، وكذلك إرشادهم عبر المعرفة السرية بحيث يطورون الوعي الذي يمكنه إدراك الذات الحقيقية كامنة داخلهم. يعلمونهم كيف يمكنهم التخلي عن تلك المعرفة الخاطئة وغير الكاملة المتعلقة بهويتهم الحقيقية.

إلى أن يتقن المريد تلك التعليمات، أو على الأقل حتى تصبح الحقيقة ثابتة في الوعي لديه، تُحجب عنه التعليمات التي تليها لاحقاً، وذلك لأنه قبل صحوته إلى حالة إدراك

واعي لهويته الحقيقية لا يستطيع استيعاب مصدر قوته، وكذلك، لا يمكنه استيعاب قوة الإرادة الكامنة بداخله، وهذه القوة هي التي تستند عليها كامل تعاليم الراجا يوغا.

لم يكتفي أسياذ اليوغا إذا كَوّن المرید مفهوم فكري واضح لهذه الهوية، بل يصرون على أنه وجب الشعور بهذه الحقيقة واختبارها. عليه أن يصبح مدرکاً للذات الحقيقية. عليه أن يدخل إلى وعي يصح فيه هذا الإدراك جزءاً من حياته اليومية، بحيث يكون هذا الوعي المدرك مثلاً للفكرة الأساسية في عقله والتي تتمحور حولها باقي أفكاره وتصرفاته.

الدرس الأول الذي يعلمه أسياذ اليوغا للمريدين والذي يوصلهم إلى الدرجة الأولى في سلم المعرفة الطويل هو كما يلي: أن العقل الكلّي للكون، المطلق [جلّ جلاله]، جسّد الكائن الذي نسميه إنسان والذي يُعتبر أرقى التجسيدات في هذا الكوكب. لقد جسّد المطلق [عزّ وجلّ] عدد لا متناهي من أشكال الحياة في رحاب الكون الواسع، وهذا يشمل عوالم متباعدة وكذلك شمس وكواكب.. إلى آخره، لكن معظم هذه الأشكال من الحياة هي مجهولة بالنسبة لنا في هذا الكوكب وبالتالي يستحيل استيعابها من قبل عقل الإنسان العادي. لكن موضوعنا الحالي ليس له علاقة بذلك القسم من الفلسفة والذي يتناول تلك الأشكال اللامتناهية من الحياة، حيث سوف نركز اهتمامنا هنا على تكشّف الطبيعة الأصلية والقوة الحقيقية في عقل الإنسان. قبل أن يسعى الإنسان إلى كشف أسرار الكون الخارجي عليه أولاً معرفة الكون الداخلي الكامن في جوهره.. مملكة الذات. عندما يحقق هذا الأمر، يمكنه حينها، أو وجب عليه، التقدم إلى الأمام سعياً إلى استكشاف المعرفة الخارجية بصفته سيّد يطلب الحصول على أسرارها بدلاً من أن يكون عبداً يتوسل الفئات الساقط من مائدة المعرفة. إذًا، المعرفة الأولى التي تتوفر للمريد هي المعرفة بالذات.

الإنسان الذي هو أرقى تجليات المطلق [جلّ وعلا] في هذا الكوكب، هو كائن مكوّن بشكل عجيب، رغم أن الإنسان العادي لا يفهم سوى القليل عن طبيعته الحقيقية. هو يحوي ضمن تركيبته الجسدية والعقلية والروحية المكونات الأرقى والأدنى معاً. في عظامه يتجسد بمستوى الحياة المعدنية، وفي الحقيقة، فإن عظامه وجسده ودمه تحوي

فعلماً أنواع كثيرة من المعادن. الحياة المادية للجسد تشبه حياة النبتة. الكثير من الرغبات والعواطف الجسدية هي مماثلة لتلك التي لدى الحيوانات. وفي الإنسان غير المتطور نجد هذه الرغبات والعواطف طاغية وتحكم الطبيعة الأرقى بداخله فتبدو هذه الأخيرة غير موجودة أصلاً. ثم نجد أن للإنسان مجموعة من الخصائص المتعلقة بفصيلته والتي غير موجودة في الحيوانات. بالإضافة إلى تلك الملكات العقلية المألوفة لدى البشر (لكنها بدرجات متفاوتة بين البشر) يوجد أيضاً ملكات أرقى كامنة في جوهر الإنسان والتي إذا تجلّت أو تم التعبير عنها سوف تجعل الإنسان أكثر من إنسان عادي.

إن تكشف هذه الملكات الكامنة ممكناً بالنسبة لكل من ارتقى إلى مرحلة معينة من التطور، وإن رغبة المريد ونهمه الشديد للحوزة على هذه التعاليم يعود سببه إلى الضغوط التي تخلفها هذه الملكات الكامنة والتي تتوق إلى التكتشف والتجلي في وعي المريد. ثم هناك ذلك الشيء الرائع، وهو الإرادة التي لازالت غير مفهومة من قبل الجهلاء الذين لا يفقهون فلسفة اليوغا. هذه الإرادة تمثل قوة الذات الحقيقية، إنها حقها بالولادة والتي منحها إياها المطلق [جلّ جلاله].

لكن في الوقت الذي تكون فيه هذه الأشياء العقلية والمادية ملكاً للإنسان، نجدها في الحقيقة لا تمثل الإنسان ذاته. قبل أن يتمكن الإنسان من السيطرة على، والتحكم ب، ومن ثم توجيه، هذه الأدوات العقلية والجسدية التي تعود إليه، عليه أولاً الصحوّة لإدراك ذاته الحقيقية. وجب عليه أن يتمكن من المميز بين "الذات" و"اللاذات". وهذا أول مهمة وصعت أمام المريد.

الذات الحقيقية التي تتجلى في إنسان هي الشرارة الإلهية (النفحة الشمسية) المبعوثة من التوهج المقدس (الشمس الباطنية). هي الابن المقدس المبعوث من والده الإلهي. هي خالدة وأبدية ولا تُقهر أبداً بحيث يتعذر تدميرها. تحوز بداخلها القوة والحكمة والواقع الحقيقي. لكن كما الطفل الذي يحوي بجوهره مستقبلة كرجل بالغ، نجد أن عقل الإنسان يجهل إمكانياته وخصائصه المستقبلية وبالتالي يجهل ما يحتويه بجوهره. لكن مع صحوته نحو معرفة طبيعته الحقيقية، يبدأ العقل بتجسيد خصائصه ثم يدرك ما وهبه إياه

المطلق [جلّ وعلا]. عندما تبدأ الذات الحقيقية بالصحوه داخلنا، تنحي جانباً تلك الأشياء التي هي ليست سوى زوائد وإضافات عديمة الجدوى لكنها في السابق خلال سباتها العميق كانت تعتبرها نفسها الحقيقية. تنحي جانباً هذا وذلك إلى أن تتخلص في النهاية من كل ما هو "لا ذاتي"، تاركة الذات الحقيقية متحررة من عبوديتها لتلك الإضافات والزوائد الوهمية. لكنها في النهاية تعود وتلتقط تلك الإضافات والزوائد لتستخدمها، لكن ليس كما السابق حيث كانت خادمة لها، بل سيدة لها.

مع إعادة النظر في السؤال: ما هي الذات الحقيقية؟، دعونا نتوقف لنفحص ماذا يعني الفرد عادةً عندما يقول "أنا".

الحيوانات المنتمية للمستويات الأدنى لا تملك أي إحساس بالـ"أنا". هي فقط واعية بالعالم الخارجي عبر رغباتها وغرائزها ومشاعرها. لكن الوعي لديها لم يرتي إلى مستوى الوعي بالذات. ها لا تستطيع التفكير لنفسها ككيانات منفصلة، وهي لا تعرف بأنها تفكر أصلاً. لا يوجد أي أثر للذات الحقيقية في وعيها. رغم أن الذات الحقيقية، تلك الشرارة المقدسة، تقبع كامنة في كافة المخلوقات، حتى في أدنى مستويات من الحيوانات، لكنها تكون مخفية تماماً بحيث لا يكون لها منفذ للتعبير عن نفسها في ذلك المستوى، حيث تكون مدفونة تحت طبقات عديدة تمنعها من التجلي. لكن مع ذلك فهذه الشمس الباطنية موجودة دائماً في كل المخلوقات، لأنها سبب تجلي تلك المخلوقات أصلاً.

كما في حالة الحيوان، هي موجودة في عقل الإنسان المتوحش أيضاً، لكنها غارقة في سبات عميق، لكن مع تقدمه الفكري والحضاري نجدها تشرق بعضاً من نورها. أما في داخل المرید الذي قرر الانتساب إلى المدرسة السرية (راجا يوغا في هذه الحالة) نجدها تصارع بقوة لكي تسطع بنورها عبر العقبات الدنيوية المادية التي تمنعها من ذلك. عندما تبدأ الذات الحقيقية في الصحوه من سباتها، تختفي أحلامها (وهي حياتنا اليومية) وتبدأ برؤية العالم كما هو على حقيقته. فتري نفسها أولاً على حقيقتها وليس كما الصورة المشوهة السابقة التي حرفتها الأحلام.

الإنسان الهمجي والإنسان البربري نادراً ما يختبران الوعي بالذات الحقيقية. هما بمستوى يعلو الوعي الحيواني بقليل، ومحكومان بالأنا التي تهدف إلى إشباع الحاجات الجسدية والرغبات الدنيوية على أنواعها، وكذلك إشباع الغرائز على أنواعها. إذا استطاع الهمجي أن يحلل أفكاره سوف يقول بأن الأنا فقط موجودة وهي تمثل الجسد المادي، والجسد له مشاعر ورغبات وحاجات وجب إشباعها. إن الأنا التي يتحدث عنها هكذا إنسان تمثل أنا مادية فحسب، حيث يمثل الجسد هيئتها ومحتواها. لكن هذه الطريقة في التفكير ليست منسوبة للهمجي فقط بل حتى لبعض الذي يسمون أنفسهم أشخاص متحضرين في هذا العصر الحديث، حيث لا يعترفون سوى بوجود الأنا الجسدية ويعرفونها بنفس الطريقة. هؤلاء الأشخاص تكون القوة الفكرية والعقلانية متطورة لديهم لكنهم لا يعيشون ضمن مجال عقولهم كما الآخرين، بل يستخدمون قواهم الفكرية لإشباع الحاجات والرغبات الجسدية، أي يعيشون ضمن مجال العقل الغريزي. هكذا أشخاص يتحدثون عن عقولهم أو نفوسهم ليس من موقع يجعلهم يرون هذه الأشياء من مستوى عالي، أي من مستوى السيّد الذي أدرك الذات الحقيقية، بل يرونها من مستوى أدنى، أي من مستوى العبد المطيع لغرائزه الدنيوية. بالنسبة لهؤلاء الناس لا يوجد ذات حقيقية تقبع في الجانب الباطني من وجودهم، بل فقط الأنا الجسدية. هذه الأنا مندمجة مع الحواس وبالتالي مرتبطة معهم عن طريق الحواس فقط. لكن بالطبع، الإنسان يتقدم بالحضارة والثقافة وبالتالي تتهدب حواسه مما يجعلها تُشبع بأمور أكثر رقياً من الغرائز، بينما الإنسان الأقل مستوى في الحضارة والثقافة لا يمكن إشباعه سوى بالغرائز الدنيوية. لكن هذا لا يجعل الحضارة والثقافة عنصران مهمان في معرفة الإنسان للذات الحقيقية، لأن الإنسان المتحضر يسعى إلى إشباع حاجات تبقى دنيوية مهما كانت مهذبة وارتقت فوق الغرائز. هو لا يتقدم بالضرورة في مستوى الوعي لديه ولا يسعى بالضرورة إلى التّكشّف نحو الذات الحقيقية. أما بخصوص السيّد الذي تعرّف على الذات الحقيقية وأصبح يحوز حواس متطورة جداً بحيث تفوق مستوى الإنسان العادي بدرجات عديدة، فقد تم تهذيب تلك الحواس المتطورة لديه وإخضاعها لسيطرة الإرادة بحيث أصبحت خادمة للأنا بدلاً سيدة لها وتتحكم بسلوكها وتفكيرها فتشكل عقبات في طريق تقدم النفس في مسيرتها نحو النقاء.

مع تقدم الإنسان في سلم الارتقاء، يبدأ تدريجياً بتطوير مفهوم أرقى للذات الحقيقية. يبدأ أولاً باستخدام تفكيره وعقلانيته لفعل ذلك. إلى أن يترك المستوى الجسدي ويدخل المستوى العقلي حيث يبدأ عقله بالتجلي والعمل في هذا المستوى الفكري. فيكتشف حينها بأنه يوجد شيء بداخله أرقى من المستوى الجسدي. يكتشف بأن عقله يبدو أكثر حقيقة من القسم الجسدي، وفي أوقات التأمل والتفكير العميق يمكنه نسيان وجود الجسد تماماً.

لكن في هذا المستوى الثاني يصاب الفرد بالحيرة والضياع. يواجه مسائل تتطلب أجوبة، لكن مجرد أن بدأ الإجابة عليها تبدأ تلك المسائل باتخاذ هياكل مختلفة بحيث تقدم نفسها بمظاهر جديدة مختلفة عن السابقة، فيضطر إلى إعادة تفسير التفسيرات السابقة. فالعقل، رغم أنه في هذه المرحلة لازال متحرر من سيطرة الإرادة، إلا أنه يتمتع بمجال واسع المدى، لكن رغم ذلك يجد الفرد نفسه يدور ويدور ضمن دائرة مغلقة، فيدرك أخيراً بأنه دائماً ومع كل محاولة يواجه المجهول. هذا الأمر يزعجه، وكلما تقدم في تعليمه الذي ينهله من الكتب كلما زاد إزعاجه بسبب شعوره بعدم الاكتفاء. الإنسان الجاهل لا يرى وجود ذلك العدد الكبير من المسائل التي تفرض نفسها أمام الإنسان العالم بحيث تفرض عليه ضرورة إجابتها وتفسيرها. إن عذابات الإنسان الذي أحرز النمو العقلي، بحيث تمكن من إدراك مسائل جديدة واستحالة إجابتها، لا يمكن تصورها من قبل الفرد الذي لم يتقدم إلى ذلك المستوى العقلي بعد.

الإنسان الذي تقدم إلى المستوى العقلي ينظر إلى الأنا لديه بصفتها شيء فكري وله رفيق أدنى مرتبة وهو الجسد. يشعر هذا الفرد بأنه تقدم وارتقى، لكن مع ذلك، تعجز الأنا لديه عن تقديم الجواب على التساؤلات والألغاز التي تحيره. فيصبح هذا الفرد يائس وحزين. بعض من هؤلاء يطورون حالة نفسية متشائمة ملوثة بالإحباط والقنوط، ويعتبرون الحياة بكاملها شريرة ومحبطة.. يعتبرونها لعنة بدلاً من نعمة. التشاؤم ينتمي إلى المستوى العقلي فقط، بينما لعنة التشاؤم لم تطال أبناء المستوى الجسدي في الأدنى ولا المستوى الروحي في الأعلى. فالمنتمي إلى المستوى الجسدي نادراً ما يفكر أصلاً، إذ هو مشغول بشكل كامل بإشباع طبيعته الحيوانية. أما المنتمي إلى المستوى الروحي فهو يرى عقله كأداة يستخدمها بدلاً من كونها تمثله هو، وبالتالي هو يعرف بأن عقله غير

كامل في مرحلته الحالية من النمو. هو يعلم أن في جوهره يقبع مفتاح كل المعرفة (الذات الحقيقية) وأن العقل المدرب والمصقول والمطور، والموجه من قبل الإرادة الصاحبة، يستطيع استيعاب هذه الذات ويندمج معها. بعد معرفته هذه الحقيقة لم يعد الإنسان المتقدم روحياً يصاب بالإحباط، ومع إدراكه لطبيعته الحقيقية وإمكانيات الفعلية مع صحوته إلى وعي جديد بقواه وإمكانياته، يضحك من الأفكار المحبطة والمتشائمة التي حكمت عقله سابقاً والتي انتزعها من نفسه كرداء عتيق ورماها بعيداً. الإنسان المنتمي للمستوى العقلي يشبه الفيل العملاق الذي يجهل مدى قوته، حيث يستطيع تدمير أي حاجز يعيق طريقه ويثبت نفسه وسط أي ظرف أو حالة، لكن بسبب جهله لقدراته الحقيقية ومدى جبروته نراه قابل للخضوع لأوامر رجل ضعيف أو يرتعب من سماع خشخشة ورقة.

عندما يصبح المرید منتسباً رسمياً إلى مدرسة الراجا يوغا، وهذا لن يحصل قبل ارتقائه من المستوى العقلي إلى المستوى الروحي، يدرك بأن الذات، أو النفس العليا، هي شيء أرقى من العقل والجسم حيث كلاهما في الحقيقة يُستخدمان كأدوات ووسائل من قبل الذات. هذه الحقيقة لا يمكن التوصل إليها عن طريق التحليل الفكري أو التسلسل المنطقي رغم أن هكذا جهود من قبل العقل قد تكون ضرورية أحياناً للمساعدة على التكتشف نحو التتور، إذ حتى الأسياد يستخدمونه أحياناً. لكن على أي حال، العلم الحقيقي يأتي واضحاً جلياً من الوعي.. لا حاجة إلى تفكير. خلال تجلي هذا النوع من الوعي الجليل، يصبح المرید مدركاً بالذات الحقيقية، ومع إحرار هذه المعرفة يرتقي المرید إلى مرتبة المنتسب الرسمي إلى الراجا يوغا Initiate. عندما ينجح المرید المنتسب في المستوى الثاني من هذا الوعي الجليل، حيث يبدأ بالنمو نحو إدراكه علاقته مع الكل العظيم، حيث يبدأ بتوسيع امتداد النفس، حينها يكون في طريقه نحو السيادة Mastership. مجرد أن أدرك المرید صلته الفعلية مع الكل العظيم يحرز حالة التتور Illumination التي طالما سعى إليها.

إذاً، مجرد أن دخل المرید إلى مرحلة الوعي بالذات يصبح منتسباً Initiate، والمنتسب الذي يدخل إلى عتبة التتور Illumination يكون قد تقدم بخطوة أولى على طريق

السيادة Mastery. بالتالي فالإنتساب إلى الراجا يوغا هو إيقاظ الذات (التي تكون نائمة في الكيان المتجلي للإنسان العادي) إلى معرفة وجودها الحقيقي. أما التتور فهو الكشف عن الطبيعة الحقيقية للذات وعلاقتها مع الكل العظيم. بعد إحرار الفجر الأول للوعي بالذات (الدرجة الأولى)، يصبح المريد قادراً على استيعاب السبل المؤدية إلى تطوير وعي آخر ينتمي إلى درجة أرقى. كما يصبح قادراً على استخدام القوى الكامنة بداخله، أي التحكم بحالاته العقلية المختلفة، أو تجسيد مركز من الوعي المؤثر بحيث يسطع وينبعث إلى العالم الخارجي المليء بالناس التي تتوق إلى إيجاد هكذا مركز جليل من الوعي لكي يطوفون حوله والاستفادة من بركاته.

على الإنسان أن يسيطر على نفسه قبل أن يفكر في التأثير والسيطرة خارج نفسه. لا يوجد طريق سهل نحو الارتقاء والقوة. يجب اتباع كل خطوة على حدى، وعلى كل مريد أن يخطو هذه الخطوة بنفسه وبمجهوده الخاص. لكن بالإمكان، وسوف يتم، مساعدته من قبل المعلمين الأسياذ الذين مشوا على هذه الدرب قبله ويعرفون في أي ماقع من هذا الطريق يتطلب الأمر مؤازرة من للمريد فيساعدونه دون تردد.

إن أغلبية الناس في هذه الفترة من وجودنا لا يملكون سوى فكرة شاحبة عن حقيقة الذات. هم يقبلون فكرة وجودها رغم أنهم يدركون أنفسهم ككائنات تأكل وتنام وتعيش دون جدوى، كما لو أنهم مرتبة عالية من الحيوانات. لكنهم لم يصحوا إلى ذلك الوعي أو الإدراك للذات الحقيقية لديهم. هذا الوعي بالذات الحقيقية الذي يجب أن ينشط لدى كل من أصبح يمثل مركزاً للتأثير والقوة، لكن للأسف الشديد فالأمر ليس كذلك في هذه الأيام حيث معظم (أو الكل) الذين يحتلون مناصب رفيعة من التأثير والسلطة اليوم في هذا العالم يخدمون الشيطان بدلاً من القوة الإلهية الجلييلة.

بعض الأشخاص قد تعثروا بالصدفة فوق هكذا نوع من الوعي الجليل، أو درجة منه على الأقل، لكن دون أن يستوعبوا مدى أهمية الأمر وحتى خطورته. لقد شعروا بحقيقة هذا الوعي وتمايزوا عن باقي الناس وتحولوا إلى مراكز سلطة شريرة أو خيرة حسب الحالة. هذا الأمر المؤسف المتمثل بإمكانية تسخير قوى الذات لأغراض دنيوية شريرة

يعود سببه إلى عامل الجهل، لأن هذه القوة الهائلة التي يحوزها الفرد بطريقة أو بأخرى (دون توجيه وإرشاد من قبل مدرسة مخصصة مثل الراجا يوغا مثلاً) يجب أن تترافق دائماً مع معرفة سليمة تحدد كيفية استعمالها والتصرف بها، وإلا فسوف تجلب لصاحبها الكثير من الألم والعواقب الوخيمة. لكن في النهاية ليس علينا سوى القول:

".. عندما ترى الذات نفسها كمركز يحيط به محيطه... عندما تعلم الشمس بأنها شمس ويحيطها ضمن مجال تأثيرها الكواكب والأقمار... حينها تكون جاهزة لتلقي الحكمة والقوة من الأسياذ.."

.....

الخاتمة

تعني عبارة "راجا يوغا" Rāja Yoga باللغة السنسكريتية "الاتحاد الملكي" Royal union. تعتبر مدرسة الراجا يوغا منظومة مجدية لتطوير القوى النفسية والعقلية والروحية معاً (أي القوى التابعة للنفس الدنيا والوسطى والعليا معاً)، وذلك بعد التواصل والاندماج مع النفس العليا التي تعتبر المصدر الإلهي الجليل لوجودنا. إن هذا الاتحاد الملوكي مع النفس العليا هو مصدر العبقرية والإلهام السامي الذي يتجلى في عقل الإنسان. يزيد الإنسان من مستوى تلقية للقوى الإلهية القادمة من جوهر كيانه (النفس العليا) من خلال التعاون مع الطبيعة على المستوى الروحي، أي أكثر من مجرد التعامل معها على المستوى المادي. هذا التكامل إلى حد الاندماج مع الطبيعة على المستوى الروحي لا يمكنه أن يحصل دون حضور المحبة الوجدانية الموجهة إلى كافة الكائنات الحية، لأنها جميعاً متشابهة على مستوى نفوسها العليا. لا يوجد فرق بين نفس عليا وأخرى، جميعها شمس باطنية يسطع نورها بنفس الطريقة ونفس الهيئة. وبالتالي، بعد تعرفه على هذه الحقيقة، لم يعد سيد الراجا يوغا طامعاً بأي من التجسيدات الدنيوية التي أصبح واضحاً بأنها وهمية وليس لها أساس واقعي. فيتحول طموحه إلى تحقيق حالة الـ"موكشا" Moksha (أي "سامسارا" Samsara وفقاً للمصلح الهندوسي) وهو التحرر كلياً من دورة الموت والولادة المتكررة في هذه الدنيا (التناسخ أو التقمص). هذا هو الهدف الأسمى الذي يسعى إليه كل سيد حكيم في جميع أنحاء العالم. وقد ذكرت في الجزء السابق بأن هذا التحرر من قيود الوهم الدنيوي يأتي إما طبيعياً (أي عبر الدروس التي يتعلمها الفرد خلال حيواته الدنيوية المتعددة والتي تستمر عبر ملايين السنين إلى أن تحرز النفس لديه النقاء الكامل)، أو يكون هذا التحرر اصطناعياً (أي يقرر الفرد بناء على إرادته أن يتحرر، ويسعى إلى ذلك عبر الانتساب إلى مدارس خاصة وخوض تدريبات خاصة لتحقيق مبتغاه خلال فترة حياة واحدة فقط). لكن هذه المدارس التي تمكنه من النجاح في تحقيق هذا الهدف السامي النبيل لم تعد قائمة لأنها تعود إلى عصور غابرة تمتع حينها الإنسان بمستوى روحي وعقلي وأخلاقي أرقى مما هو عليه اليوم.

يبدو أننا فقدنا ذاكرة تلك الفترة الذهبية التي سادت يوماً وجه الأرض. تلك الفترة التي كانت فيها معرفة النفس العليا والاندماج معها أمراً طبيعياً. هذه المعرفة تولد معنا منذ مجيئنا إلى الدنيا. لكن بعد التعرف على موضوع الإيقاع الفلكي حيث الدورات الزمنية طويلة الأمد (السنة الكبرى) أصبح واضحاً سبب انحطاطنا إلى هذا المستوى المريع من الجهل والتخلف والهمجية. لكن الانحطاط طال مستوى الوعي لدينا فقط، وليس إمكانية التواصل مع النفس العليا لدينا. فهذا التواصل موجود وممكن في أي وقت من الأوقات. لكن للأسف الشديد، طالما أن الوعي متأثر بتلك الدورة الفلكية فهذا يجعل طريقة التفكير تتأثر وكذلك المعايير الأخلاقية تتأثر وكذلك جودة المعرفة تتأثر وكذلك الطبيعة العقلية عموماً... جميعها تأثرت بهذا الإيقاع الفلكي الكوني. أي أن الفرق بيننا وبين سكان ذلك العصر الذهبي العابر ليس في إمكانية التواصل مع النفس العليا لدينا (لأن هذه الإمكانية متوفرة دائماً وأبداً) بل في المعرفة التي تمكننا من التواصل مع هذا الكائن العلوي الجليل. هذه المعرفة كانت متوفرة في تلك العصور الذهبية الغابرة، أما الآن فهي مفقودة دون أن نترك أثر. كيف ضاعت هذه المعرفة عبر العصور؟ من ساهم في ضياعها (أو إخفائها قصداً) بحيث اختفت تماماً من ذاكرتنا ومجال إدراكنا؟ نسبة كبيرة من الناس اليوم لا يؤمنون بوجود هكذا معرفة أصلاً! أنظروا إلى التعاليم الروحية السائدة اليوم في كافة أنحاء العالم، تعاليم دينية أو فلسفية أو غيرها، جميعها تفسيرات محرّفة أو ترجمات خاطئة لتلك المعرفة الرائعة التي سرقت منا في إحدى العصور الغابرة. من ساهم في تشويهها وتحريفها؟ لماذا نجد اليوم أن معظم المؤمنين الدينيين يسلمون دون أدنى شك بصحة تعاليمهم الدينية والتي في صيغتها الحالية لا تجدي نفعاً من الناحية الروحية، بينما نجدهم لا يصدقون بأن تعاليمهم الدينية هي نسخة مشوهة أو تفسيرات مزورة للتعاليم الجليلة الأساسية التي تهدف إلى التواصل مع النفس العليا أو الذات الحقيقية أو الشمس الباطنية أو غيرها من أسماء تستخدم للإشارة إلى هذا الكيان الباطني الجليل؟! العيب إذاً ليس في إمكانية تواصلنا مع النفس العليا، بل في مستوى الوعي الذي نحن فيه (بسبب الدورة الفلكية) والذي يرفض التسليم بوجود تعاليم أصيلة تمكننا من التواصل مع النفس العليا.

إن السعي إلى إعادة إحياء أو تجلّي نور الذات الحقيقية (النفحة الشمسية) في كيانتنا الدنيوي ليس شعوذة بل هي تمثل حقناً في الولادة. لقد حُرمتنا من السبل التي تمكننا من ذلك، وكان هذا لمصلحة الجهات المسيطرة علينا والتي تستعبدنا منذ عصور طويلة،... مستغلة جهلنا وبؤسنا وانحطاطنا الفكري والأخلاقي...، هي لا ترغب أبداً في تحريرنا من قيود الاستعباد الفكري التي فرضت علينا منذ زمن بعيد. الاستعباد الفكري يؤدي إلى الاستعباد الجسدي المباشر، وهذا هو الهدف الذي يسعى المسيطرون إلى تحقيقه دائماً وأبداً. هم يعرفون جيداً أنه لا يمكنهم السيطرة جسدياً على كل تلك المليارات من البشر بشكل مباشر، بينما التحكم بطريقة تفكيرهم والمحافظة على قمع الوعي لديهم سوف يجعل ذلك الاستعباد الجسدي ممكناً.. بحيث لم يعد العدد يمثل أي مشكلة. وقد نجحوا فعلاً في خلق مجتمعات خاضعة خانعة سخيصة وتافهة، يراقب أفرادها بعضهم البعض ويفرضون على بعضهم البعض الامتثال، والمسيطرون يسرحون بنا كما لو أننا قطعان أغنام! لقد صنعوا كائنات بشرية مشوهة، تؤمن بكل ثقة وبشكل جازم بأنها عبارة عن كائنات ضعيفة لا حول لها ولا قوة، ولدت من العدم، ثم تعيش حياتها دون غاية أو هدف سامي، تهتم فقط بإشباع الغرائز والرغبات الدنيوية، ثم تموت وتعود إلى العدم مرة أخرى.

هذا الكتاب لا يسوق لأي نوع من الممارسة السحرية أو غيرها من ممارسات محرمة أو ممنوعة، بل يسلط الضوء على الفرق الكبير والشاسع بين الشعوذة (التي تهدف إلى تحقيق مصالح دنيوية شخصية) وبين السحر الإلهي الذي يتجلّى في الفرد بعد توفير الظروف العقلية المناسبة لذلك. هذه القوة العجيبة التي نسميها "سحر" (لأنه ما من كلمة أخرى في اللغة العربية تتناسب جلالتها وعظمتها للأسف الشديد) تترافق في تجليها مع الحكمة والبيينة والرأفة والوداد، وأهم من ذلك كله: المحبة البريئة والتوق الدائم لخدمة الآخرين دون مقابل. لماذا نفر من هذا المجال؟ فهذه هي طبيعتنا الأصلية وحقنا منذ الولادة. من له مصلحة في انتزاع هذا الحق منا؟ لماذا كل هذا الهوس في قمعها وقهرها وملاحقتها وسحقها عبر خطها مع مجال آخر مختلف تماماً وهو الشعوذة المقيتة والمؤذية؟!

أنصحك يا أيها القارئ الكريم أن تستخدم عقلك جيداً وابدأ السعي في التمييز بين هذين الموضوعين المختلفين تماماً. إن السعي نحو تحقيق هذا التمييز هو الذي يجعلك تتجح في التقريب بشكل واضح وجلي بين الدين الحقيقي والشعوذة الحقيقية. وبعد أن تجري المقارنات سوف تتدهش مما تكتشفه، سوف تصاب بالذهول من مدى الخلط في معايير الأشياء. هذا الخلط والتزوير الذي سعى إلى تحويل الدين الحقيقي إلى شعوذة بينما الشعوذة تحولت إلى دين رسمي! يا لها من محنة يعيشها الإنسان!

أصبحت معرفة الحقيقة أمراً ضرورياً وليس مجرد مسعى كمالى يدغدغ المشاعر. تعرف على الحقيقة وتحرر. الحقيقة هي دوائك الشافي من كل العلل. الجهل هو أخطر وباء ضرب وجه الأرض! فقط الحقيقة تحرك بالكامل من أوهامك التي تجعل حياتك جحيماً. هذا الجحيم الذي يتألف من ثلاثة قوى أساسية: قوة الجهل، وقوة الخرافة، وقوة الخوف. هذه القوى الثلاثة هي التي أدت إلى اقتراف أبشع المجازر بحق الجسم المعرفي الأصيل الذي ساد في إحدى الأزمنة القديمة، حيث حُرقت المئات من المكتبات العظيمة وقُتل الآلاف من الفلاسفة والحكماء. إنه جهل الحشود، وخرافات المعتقدات الكاذبة، والخوف من الأذى الذي يجعل الإنسان خائفاً وتابعاً للمتجبرين. هذه هي الأشياء التي دمرت وأفسدت المؤسسات العلمية العظيمة التي ازدهرت يوماً في أحد العصور الذهبية الغابرة.

أما اليوم، فقد يظن الفرد بأنه يتمتع بمستوى متقدم من العلم والحضارة والاطمئنان، لكن هذه مجرد شعارات فارغة علمونا على تردادها بشكل تلقائي دون تفكير. إذا دقت النظر جيداً سوف تكتشف الحقيقة المرعبة! نحن لازلنا اليوم محكومون من قبل هذه القوى الثلاثة، والتي أصبحت أكثر شراسة من قبل. فنحن لازلنا نجهل الحقيقة الأصلية، وتحكمنا أفكار خرافية (ليس دينية فحسب بل علمية أيضاً)، أما الخوف فحدث دون حرج... نحن نرتعب من الخوف! خوف متعدد الأنواع والوجوه، وتزداد أسبابه وعناصره يوماً بعد يوم في هذا النظام الاستهلاكي الذي يسيطر علينا ويدفعنا عنوةً إلى عبادة المال ولا شيء غيره. وفقاً للتفكير العصري، مجرد أن جمعت المال الوفير انهالت عليك البركة والنعمة من كل جهة وصوب. فيصبح الهدف الأسمى لدى الإنسان العصري جمع المال مهما كانت الوسيلة. هذا الهوس في كسب المال جعلنا ننسى ونتجاهل الكثير من

الأمر المهمة. نسينا لماذا جننا إلى هذا العالم وما هو هدف وجودنا أصلاً. نحن نتجاهل حقيقة مهمة جداً، حقيقة أننا مجرد ضيوف مؤقتين إلى هذه الدنيا، بينما منزلنا الأبدي يقبع في مكان آخر يتجاوز هذا العالم. وعندما نعود إلى هناك سوف نترك كل ما جمعناها من ممتلكات وأموال ولا نأخذ معنا سوى ما اكتسبناه من خبرات وتجارب تزيد من توسع الوعي وتساهم في نقاوة النفس لدينا. بالتالي فمسألة جمع المال لنيل المتعة والهناء الدنيوي الزائف هي مسألة مؤقتة. أما المسائل الأبدية التي وجب الاهتمام بها لأنها تخص جوهر وجودنا فلا نقلق لها بال وكأنها غير موجودة أصلاً. لكن هذا ليس ذنبنا على أي حال، فهكذا نشأنا ونشأت أجيال من قبلنا. هذا الجهل بالحقيقة ليس له أي علاج سوى التور حيث تتجلى الحقيقة بأبهى حلتها. ولكي نحوز على هذا التور لا بد من اكتساب العلم الحقيقي. وللأسف الشديد فإن العلم الحقيقي لا يمكن الحصول عليه عبر المعرفة الحالية التي نتعلمها في المدارس والتي هي مجرد ذراع من أذرع النظام الاستهلاكي المسيطر على عالمنا المهووس بكسب المال. قيل أن نحوز على العلم الحقيقي علينا أن نكتسب الحكمة وليس المعرفة. ولكي نزيد من حكمتنا علينا أولاً التعرف على بعض الأساسيات المتعلقة بالحقيقة. أهمها هو سبب مجيئنا إلى هذه الدنيا والهدف من وجودنا أصلاً. بالإضافة إلى طبيعتنا الحقيقية وطبيعة الكون وآلية عمله والقوانين التي تحكمه. بعد التعرف على هذه الأساسيات تزداد حكمتنا وبالتالي نصبح مؤهلين لحيازة العلم الحقيقي الذي يجعل عيشنا المؤقت في هذه الدنيا هنيئاً وميسراً. أما التور، فسوف يأتي حينها بشكل تلقائي لأنه مجرد أن نمشي على الدرب الصحيح فلا بد أن نصل في النهاية إلى تلك الحالة الجلية. التور هو حالة الاندماج مع العالم العلوي... عالم النور والحقيقة الأبدية. هذا الاندماج يحصل بعد تجلي النفحة الشمسية (المخلص) في كياننا. التور هو نتيجة حتمية للحكمة التي نكتسبها عبر خوض التجارب وتعلم الدروس من تلك التجارب التي نخوضها في حياتنا الدنيوية. إذا لم تستفد من الدروس فسوف لن تنال الحكمة، وبالتالي لن ندرك حالة التور.

يمكننا تلخيص الأمر بعبارة أو اثنتين: نحن جننا إلى هذه الدنيا لنختبر ونتعلم. ومع تقدمنا في الدرب، عبر خوض التجارب والاختبارات الدنيوية المختلفة، يزيد الوعي لدينا ويرافق ذلك مع زيادة نقاوة النفس والتي مع الوقت (تسلسل الحيوانات المتكررة) تحقق

الطهارة الكاملة وهذا هو الهدف النهائي لكل من ينشد التتور والخلص من قيود العالم المادي الدنيوي. لكن كيف تستطيع إقناع شخص يعيش في هذا العالم الدنيوي المحكوم تماماً بنظام استهلاكي يعبد المال والسلطة والمكانة الاجتماعية؟! هذه مهمة صعبة وحتى مستحيلة أحياناً. لكنني سأحاول تحقيق ذلك عبر الجزء التالي ربما أنجح في مهمتي. مع العلم أن الجزء التالي هو الأخير في هذه السلسلة من الكتب (مجموعة من نحن)، وهو بعنوان: "درر وعتور من حكمة العصور". بالإضافة إلى ذلك، سوف نتعرف على المزيد بخصوص النفس العليا لدينا، ودورها في إرشادنا ورعايتنا خلال خوضنا التجارب الدنيوية وكسب المزيد من الدروس مع تقدمنا في الدرب نحو التتور والخلص. سوف نتعرف على حقيقة أن النفس العليا، هذا الكائن الجليل الذي يمثل ذاتنا الحقيقية أصلاً، ترافقنا في كل خطوة وخلال كل دقيقة وثانية من حياتنا لكننا لا نلفظ إلى ذلك! نحن لا نشعر بحضورها لأن انتباهنا موجّه كلياً إلى العالم الخارجي ومغرباتها. إذا اختبرت حالة مأساوية من أي نوع فاعلم أنك لست وحيداً بل تخوض هذه التجربة الأليمة برعاية وإرشاد النفس العليا لديك! هذه التجربة أليمة بالنسبة لك كإنسان جاهل للحقيقة لكنها ليست كذلك بالنسبة للنفس العليا لديك التي تدرك الحقيقة وتعلم بأنك تختبر حياة وهمية لكن جهلك بهذه الحقيقة يجعلك تشعر بالألم والمعاناة! إن حياتنا الدنيوية ممتعة فعلاً إذا عرفنا كيف نعيشها. مهما تبدو الحياة قاسية وأليمة فهي مجرد اختبار وهمي للذات الحقيقية.. إنها حلم لا أكثر ولا أقل.. الجهل فقط يجعلها جحيماً لا يطاق. هذا الشعور بالعذاب والمعاناة هو الذي يسود لدى معظم (أو كل) الناس. هم ليسوا كائنات مغضوب عليهم ولا لأنهم محكومون بأي عقاب من أي نوع. هم يعانون من حالة واحدة فقط: **الجهل**! وهذه أكبر لعنة يمكن أن تصيب الإنسان!

.....

انتهى

المراجع

- Discovering the Ancient Magic*, Max Freedom Long 1936
Mana or Vital Force, Max Freedom Long 1949
The Secret Science Behind Miracles, Max Freedom Long 1948
Secret Science at Work, Max Freedom Long 1953
The Sirius Mystery: Temple, Robert K. G. [1976].
Walter Cruttenden, "The Great Year" (documentary film)
Lost Star of Myth and Time, Walter Cruttenden
Yuktswar, Swami Sri (1949), *The Holy Science*, Yogoda Satsanga Society of India
Richter-Ushanas, Egbert (1997), *The Indus Script and the Rg-Veda*, Motilal Banarsidass Publ

Raja Yoga or Mental Development (A Series of Lessons in Raja Yoga), William Walker Atkinson